مقارنة الأديان

اليهودية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج
أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

(الطبعة الثامنة) ١٩٨٨

مع زيادات واسعة وبخاصة عن الاسلام والفرق



الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى
القاهرة

الطبعة الأولـى سنة ١٩٦٠

الطبعة الثانيـة سنة ١٩٦٦

الطبعة الثالثـة سنة ١٩٦٩

الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢

الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨

الطبعة السادسة سنة ١٩٨٢

الطبعة السابعة سنة ١٩٨٤

(الطبعة الثامنة) سنة ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً ، والذين أوحَيْنا اليك ، وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى .

(قرآن كريم : الشورى ١٣)

كتب للمؤلف

اولا : موســوعة التاريخ الاســلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجزاء لتاريخ العالم الاســلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى اسهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ ـ الجزء الأول : (الطبعة الثانية عشرة)

ـ مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى ـ تفسير التاريخ ـ هل التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ ـ فائدة التاريخ ـ مراحل تدوين التاريخ ـ قضية الالتزام فى كتابة التاريخ الاســلامى ـ علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...
ـ تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر ـ حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
ـ السيرة النبوية العطرة : جوانب من السيرة تدون لأول مرة
ـ الدعوة الاسلامية وفلسفتها ـ عصر الخلفاء الراشدين

٢ ـ الجزء الثانى : (الطبعة السابعة)

الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها .

٣ ـ الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ ـ الجزء الرابع : (الطبعة السابعة)

ـ الاندلس الاسلامية ، وانتقال الحضارة الاسلامية الى اوربا عن طريقها .
ـ المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ ليبيا (من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر) .
ـ السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ ـ الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

ـ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .
ـ الحروب الصليبية : دوافعها ـ ادوارها ـ نتائجها .
ـ الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ — الجزء السادس : (الطبعة الثالثة)

الاســلام والدول الاســلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلهــا الاســلام حتى الآن :

— دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :
مراكز الشمال — هجرات عربية وغير عربية — التجار — الطرق الصوفية — مراكز داخلية .

— الدول الاسلامية قبل الاستعمار الأوربى :
غانة — مالى — صنغى — دول الهوسا — برنو — باجــرمى — واداى — الفونج — مقدشو — مملكة الزنج .

— الدول الاسلامية الحالية :
موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيــا — مالى — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال — جيبوتى .

٧ — الجزء السابع : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

— دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :
المملكة العربية السعودية — اليمن — جمهورية اليمن الجنوبية — عمان — دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت .

— العراق من مطلع الاسلام حتى الآن .

٨ — الجزء الثامن : (الطبعة الثانية)

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى الآن :

ايران — افغانستان — الباكستان — بنجلاديش — ماليزيا — اندونيسيا
الأقليات الاسلامية فى الهند والصين وروسيا والفيليبين ..

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ — الجزء التاسع : (الطبعة الثالثة)

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . عصر محمــد نجيب وعصر جمــال عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ — الجزء العاشر :

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ، عصر أنور السادات . (عصر النجاح فى الشئون الخارجية والفشل فى الشئون الداخلية) ..

(ترجمت اكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الاسلام لهداية البشرية فى شئون العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، والتشريعية والقضائية ، كما تبرز جهود المسلمين فى الحضارة التجريبية ،

واجزاؤها هى :

١١ — الجزء الأول : تاريخ المناهج الاسلامية (الطبعة الثالثة)

مناهج التعليم فى صدر الاسلام — انحرافاتها فى عصور الظلام — وجوب تصحيحها .

١٢ — الجزء الثانى : الفكر الاسلامى : منابعه وآثاره (الطبعة السابعة)

١٣ — الجزء الثالث : السياسة (الطبعة السادسة)

فى الفكر الاسلامى

مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

١٤ — الجزء الرابع : الاقتصاد (الطبعة السادسة)

فى الفكر الاسلامى

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة . ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

١ — الاسلام والمسلمون فى مواجهة المشكلة الاقتصادية .
٢ — مبادىء الاسلام الاقتصادية .
٣ — الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة (شهادات الاستثمار ...) .
٤ — من تاريخ الاقتصاد فى الاسلام (بيت المال : موارده ومصارفه ...) .
٥ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيها .

١٥ — الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة الثامنة)

نظمها — تاريخها — فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وامكنته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ — الجزء السادس : المجتمع الاسلامى (الطبعة السادسة)

أسس تكوينه .. أسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ — الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)

فى الفكر الاسلامى

— فى نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المراة ...

— وفى نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء ...

١٨ — الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة الثالثة)

وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام

مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع

ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ — الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)

فى الفكر الاسلامى

بحث علمى يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الاسلام فى مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، واخلاق المجاهد ، والخديعة فى الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والاسرى ..

٢٠ — الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)

تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب للمؤلف

خامسا : المكتبة الاسلامية لكل الأعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ومن التاريخ والحضارة وقصص القرآن للأولاد والشباب والسيدات والرجال
ظهر منها الأجزاء التالية :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية المطرة :

ج ١ محمد قبل البعثة

ج ٢ من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام فى مكة)

ج ٣ الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات .

ج ٤ الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها

ج ٥ الرسول الداعية ومربى الدعاة

ج ٦ الرسول فى بيته : ازواجه — أولاده واحفاده — خدمه

ج ٧ الرسول فى بيته : مشكلات الحياة فى بيت الرسول وكيف عالجها

ج ٨ الرسول بين اصحابه — الرسول يربى الفرد المسلم ويربى المجتمع الاسلامى

ج ٩ الرسول يربى القضاة ، ويربى القوة العسكرية ، ويربى الولاة والحكام

ج ١٠ الرسول والشباب — الرسول والعمل

ج ١١ توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرمات للرسول — الرسول والمنافقون

ج ١٢ الرسول والنصارى — الرسول واليهود

ج ١٣ الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — اهم احداث غزوة بدر

ج ١٤ غزوة احد والهزيمة التى اخافت المنتصر — غزوة الاحزاب وكلمة عن سلمان الفارسى

ج ١٥ صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء — غزوة مؤتة وبدء الصراع ضد الروم .

ج ١٦ فتح مكة — غزوة حنين والطائف — غزوة تبوك — الفترة الأخيرة فى حياة الرسول

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف :

ج ٣٤ لماذا انحرف المؤرخون بتاريخ الأمويين .
نماذج من عباقرة الأمويين .

ج ٣٥ اتجاهات حضارية من صنع الأمويين .

ج ٣٦ اتساع العالم الاسلامى يد من أيادى الأمويين .

ج ٣٧ نشاط الشيعة فى العهد الاموى ، وقصة استشهاد الأمام الحسين .

المجموعة السادسة : الاسلام والمرأة :

ج ٣٨ المرأة فى الحضارات القديمة .
المرأة فى أوربا خلال العصر الوسيط .
ماذا قدم الاسلام للمرأة ؟ .

ج ٣٩ سيدات مسلمات : السيدة زينب أخت الامام الحسين .

ج ٤٠ سيدات مسلمات : بنتا الحسين : نفيسة وسكينة .

ج ٤١ سيدات مسلمات : عائشة بنت طلحة .

ج ٤٢ زيجات شهيرة فى التاريخ : بوران — قطر الندى .

ج ٤٣ سيدات مسلمات : رابعة العدوية .

(الأجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

(لم تدخل أعداد « المكتبة الاسلامية » ضمن العدد الخاص بكتب المؤلف)

كتب للمؤلف

ثالثا : مقـــارنة الأديـــان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الأديان ، تعتمـد على أدق المراجـع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

٢١ — الجزء الأول : اليهـودية : (الطبعة السابعة)

— دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهـود فى التاريخ من عهـد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل ، عقيدة بنى اسرائيل ، يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين ...

— مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون .

— اليهود فى الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

— من صور التشريع فى اليهودية .

٢٢ — الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة الثامنة)

— المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة.

— بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر .

— شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والأديرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى ونتائجها ونقدها .

٢٣ — الجزء الثالث : الاســلام : (الطبعة الثامنة)

— الله فى التفكير الاسلامى ، النبوة فى التفكير الاسلامى ، غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة فى الاسلام ، الرق وموقف الاسلام منـه ، السياسة والاقتصاد فى الاسلام .

٢٤ — الجزء الرابع : أديان الهند الكبرى : (الطبعة السابعة)

« الهندوسية — الجينية — البوذية »

— تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات فى الهند ، الأديان فى الهند .

— دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجاواسستها ، كيتـا .

— أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجـود .

— تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها .

كتب للمؤلف

رابعا : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ — كيف تكتب بحثا او رسالة (الطبعة السابعة عشرة)

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

كتابان باللغة الانجليزية هما :

مكتبة النهضة المصرية

٣٦ — ISLAM : Belief - Legislation - Morals

٣٧ — History of Muslim Education

وكتب باللغة الاندونيسية والماليزية :

Pustaka National (Singapore)

٢٨ — Negara dan Pemerintahan Dalam Islam

٢٩ — Masjarakat Islam

٣٠ — Hukum Islam

٣١ — I Sedjarah dan Kebudajaan Islam

٣٢ — 11 Sedjarah dan Kebudajaan Islam

٣٣ — 111 Sedjarah dan Kebudajaan Islam

٣٤ — Perbandingan Agama (Jahudi)

٣٥ — Perbandingan Agama (Masihi)

٣٦ — Perbandingan Agama (Islam)

٣٧ — Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbeser di India : Hindu-Jaina-Buddha)

٣٨ — Sadjarah Pendidikan Islam

٣٩ — Politik dam Ekonomi Dalan Islam

٤٠ — Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam

٤١ — Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Masehi

٤٢ — Perang Salib

٤٣ — Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah

٤٤ — Pengajian Al Quraan

٤٥ — Sedjarad Kehakiman Dalam Islam

كتب للمؤلف

سادسا : تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

— برنامج شامل ميسّر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
— اول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
— دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
— تضم هذه السلسة الكتابين التاليين :

٤٦ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثالثة)

يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالاملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة فى القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملا فى هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الاسلامى والعربى اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت فى اسلوب مناسب ، مع اسئلة وتمرينات مفيدة .

٤٧ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثالثة)

عرض لجميع ابواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لأهم ابواب الصرف

هذا الكتاب ضرورى للمثقف العربى وغير العربى

كتب نفدت ولن يعـــاد طبعها

٤٨ — فى قصور الخلفاء العباسيين :
اكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .

٤٩ — مصر فى حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .

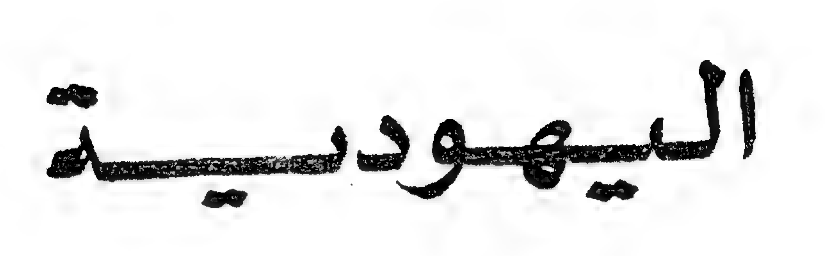
٥٠ — الحكومة والدولة فى الاسلام :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .

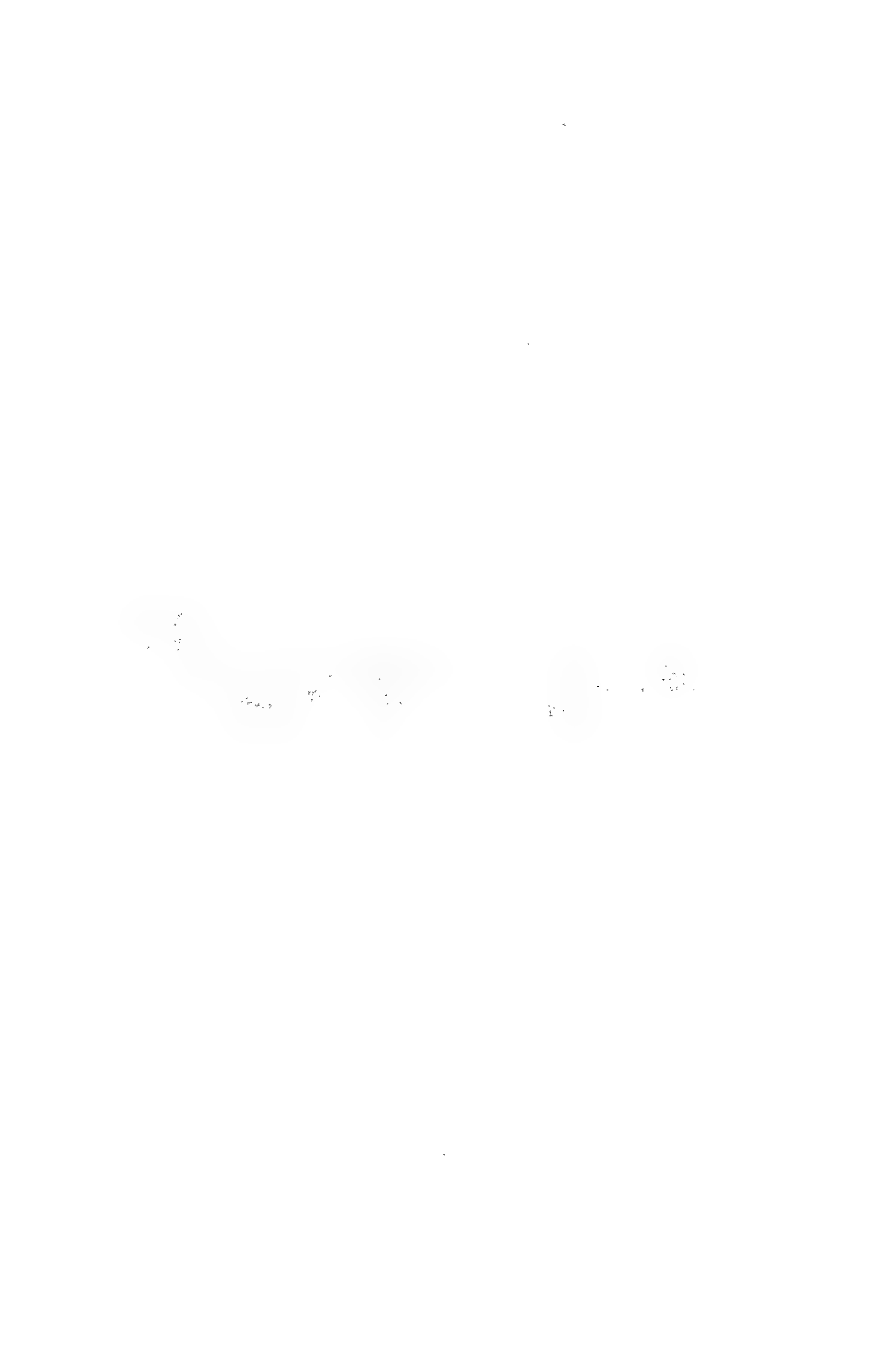
٥١ — الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى :

٥٢ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيها
واكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة

محتويات الكتاب

فهرس الخرائط


اليهودية



مقـدمة الطبعة الأولى

يارب ... إنه من أجمل ساعات العمر أن يصـل الإنسان الى الغاية التى ينشدها ، وأنا بعونك قد وصـلت فى ميدان هـذه الدراسة الى الغاية التى رجوتها .

يارب ... لقد دخلت ميدان مقارنة الأديان بين الأمل وبين الخوف ، ثم تغلَّب الأمل على الخوف ، ثم أصبح الأمل حقيقة ، فأخرجتُ أجزاء هـذه السلسلة على نحو ما أردت أو أحسن مما أردت ، وأُحِسُّ الآن — فى نشوة وتواضـع — أننى قدمت لدينى ولوطنى شيئاً أعتزُّ به ، فإن هـذه الدراسة عن مقارنة الأديان هى الأولى من نوعها فى المكتبة العربية .

يارب ... أشكرك شكر من يعرف حقَّك ، ويعترف بأن نجاحه كان منـك ، وأن هدايتك هى التى ألهمتنى التوفيق ، وسكَبَتْ الضـوءَ أمامى .

* * *

وقـد بدأت دراستى فى مقارنة الأديان حوالى منتصف هذا القرن ، (القرن العشرين) فوجدتها دراسـة شاقة ، كثيرة المراجع ، متشـعبة الاتجاهات ، ولو أخـذنا الإسلام مثالا لكلامنا ، واستعرضنا ما كتب عنه لهالنا الموقف ، لقـد كتب عنه اليهود والمسيحيون والمسلمون بطوائفهم ، وتختلف وجهات النظر اختلافاً كبيراً فى هـذه الكتابات ، بل إن ما كتبه المسيحيون يختلف من كاتب الى كاتب ، أما ما كتبه اليهود أو أكثره فهـو غالبا سلسلة من الاتهامات والعدوان .

وسرت فى مقارنة الأديان على الرغم من هـذه الصعوبات واتخذت الصبر وسيلتى ، ورحت فى بحث علمى لم تتدخل العاطفة فيه ، أقرأ ، وأستوعب ، وأناقش ، وأقارن ، وأخطط ، وأعرض ؛ حتى استطعت بعد

اثنتى عشرة سنة من الكدح والعمل الدائب ، أن أُخرجَ الجزء الثانى عن « المسيحية » فالجزء الثالث عن « الإسلام » فالجزء الرابع عن « أديان الهند الكبرى : الهندوسية ، والجينية ، والبوذية » وتأخر إخراج الجزء الأول عن « اليهودية » ، وكان عجيباً أن ينشر الجزء الثانى والثالث والرابع قبل الأول ، ولكن النظرة الفاحصة تدرك مدى الصعوبة التى يلاقيها باحث منصف عن اليهودية ، فاليهود كتبوا عن دينهم وتاريخهم أعداداً ضخمة من المراجع والكتب ، صوّروا فيها تاريخهم بأنه تاريخ البشرية ، وحضارتهم بأنها منبع الحضارات ، وعقيدتهم بأنها أسمى العقائد ، وهاجموا تاريخ سواهم ، وأديان سواهم ، وشوّهوا صور أبطال العالم غير اليهود . وكان لابد أن نُحِقَّ الحق بين هذه المَوْجة الصاخبة من المراجع ، لنأخذ منها الرأى المنصف ، والفكرة العادلة ، دون تأثر بميل أو هوى .

وبجانب مشكلة المراجع والأفكار كانت هناك مشكلة العداء بيننا وبين اليهود ، وهى مشكلة عصبية بالنسبة للبحث العلمى . ومن الواضح أن اليهود يحاربوننا بكل سلاح ، وأن سلاح القلم والفكر من أقوى أسلحتهم ، ولكنى حاولتُ ألا أنزل هذا الميدان فى مجال البحث العلمى ، وكان علىَّ أن أبحث عن الحقيقة دون تأثر بأية عوامل ، لأقدّم لقرائى أدق الحقائق من أصدق المصادر فالبحث العلمى أمانة ، أمانة فى محراب الجامعة ، وأمانة فى محيط القراء ، ومن الممكن أن يتكلم الإنسان من زاوية أو أخرى ، ولكنه عند ما يكتب يترك هذه الزاوية ويدع تلك ، ويبحث عن الحق أنَّى يكون .

وهذا الموضوع يقودنى الى كلمة صريحة لا أجد مناصاً من الإشارة اليها ، هى أنه فى مجال الخلاف والعداء بيننا وبين اليهود ، وفى أعقاب نكبة فلسطين ، كتب العرب عشرات الكتب أو مئات الكتب عن القضية وعن فلسطين ، واضطررت لقراءتها جميعاً وأنا أُعِدُّ هذا الكتاب ، ولكنَّ كثيراً منها كان قليل الجدوى ، كان فيضاً من السِّباب

والشتائم لا تعطى فكرة ، ولا تحقق هدفاً ، حتى وجدتنى أحياناً أقول : هل يتحتم على كل الناس أن يكونوا مؤلفين ؟ .

إننى أدرك أن استعادة فلسطين لابد أن تمر بعدة مراحل ، وأن المرحلة الأولى هى مرحلة الكلمة المقولة والكلمة المكتوبة ، ولكن هذه المرحلة لابد أن تكون أكثر خصوبة مما هى عليه الآن حتى تقود للغاية التى ترمى إليها ، ولندرس تجربة اليهود فى هذا المجال ، فقد كانوا يعتقدون أن فلسطين وطنهم ، وكانوا يعملون للعودة الى هذا الوطن ، ومروا بالمراحل التى نمر نحن بها فى وقتنا الحاضر ، فكتبوا عن فلسطين كتبا ومقالات وأبحاثا ، ولكن دونها المتخصصون والأساتذة وكبار الباحثين بمختلف اللغات ، حتى أوهموا الكثيرين بأن الحق فى جانبهم [1] . فإذا أردنا نحن أن نكتب أو نتكلم ، وهذا واجبنا الآن ، فلتكن كتابتنا وكلامنا فى المستوى الذى يليق بهذه القضية .

وعن الصراع بيننا وبين اليهود حول فلسطين أحب أن أقول إنه على هذه البقعة نفسها زحف الصليبيون يوماً ، واحتلوها ، وبدأت الجهود الإسلامية العربية تعمل لطرد المحتل ، وكان من أقوى الوسائل ، تلك الوحدة التى جمعت العرب فى إطار واحد وقوة واحدة ، بقيادة نور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبى ومن جاء بعدهما ، وقد طوقت هذه القوة الأرض المحتلة وزحفت على العدو فقضت عليه ، ويوم تعود الوحدة العربية التى هى أنشودة العرب جميعا ، سيكون من الممكن أن نضرب اليهود ضربة قاصمة كتلك التى أنزلها صلاح الدين بالصليبيين فى حطين .

هل نخاف تدخل دول الغرب ... ؟

---

(١) ليس الغربيون فقط هم الذين خدعهم ما كتبه اليهود ، بل ان كثيرين من العرب والمسلمين خدعوا ايضا ، وطالما سألنى طلابى : أليست فلسطين وطن اليهود ؟ أليس من حقهم ان يعودوا لوطنهم ؟ وفى الصفحات الآتية ايضاح لزيف هذه الأسطورة .

الإجابة الحازمة هي بالنفي ، فيجب ألا ننسى أن هـذه القوى لم تكن بعيدة عن المعركة إبان عهـد صلاح الدين ، وقـد استطاع بطلنا أن يقف في وجـه تحالف ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا ، وفردريك برباروسا إمبراطور ألمانيـا ، ولم يسـتطيع هؤلاء أن يكسروا شوكته أو ينالوا منه .

يارب ... هيِّيء الظروف التي نستطيع بهـا أن نطهر أرضنا المقدسة مما حل بها من رجس وما نزل بهـا من داء .

* * *

وهـناك جهود بذلت من أجل فلسطين ولا تزال الجهـود تبذل ، وقـد اشترك في هـذه الجهود ، الجنودُ الأبطال ، ورجال السـياسة ، والكتّاب ، ورجال الصحابة ، والشعراء ، وغيرهم ، ولا تزال في حاجة الى جهود وجهـود من كل هؤلاء ، فالمعركة في حاجة الى فكر ودماء وأقلام ومـال ، وهـذا الكتاب وسيلتي في هـذا المجال ، وهو في الوقت نفسـه هـديتي لأرواح الشـهداء الذين سقطوا أو سيسقطون في هـذه المعركة الكريمـة .

* * *

وليس في النية ـــ الآن ـــ أن أواصـل الكتابة عن أديان أخرى ، كالزرادشتية والكنفوشية والأديان البدائية وغيرها ، لسببين :

أولا : أن الهدف الذي قصدتُ اليه كان الكتابة عن الأديان السماوية . فهي التي تعنينا أكثر من سواها ، ويدور بينها صراع طويل كان لابد أن نتتبع دوافعه وأن نتبين أهـدافه ، ثم امتد بنا الحـديث الى البوذية ، لأنها دخلت ميدان التنافس في الدعـوة والانتشار وبخاصـة في الشرق الأقصى ، ولم يكن من الممكن أن نتكلم عن البوذية دون الحـديث عن أديان الهنـد ، هـذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنَّ أفكاراً جمـة تسربت من

أديان الهنـد واختلطت بعقائد الديانات السـماوية ، وسيتضح ذلك من الدراسة الآتية ، ومن هنا كانت دراسة أديان الهند ضرورية ، ولا يتحقق هـذا فى الزرادشتية والكنفوشية والأديان البدائية ، فهذه الأديان تنكمش الآن ولا تأثير لها يذكر فى عقائد الديانات السماوية واتجاهاتها .

ثانيـا : إن دراساتى فى التاريخ الإسلامى تحتاج الى جهـدى كله فى الوقت الحاضر ، رجاء أن أكمل أجزاء موسوعة التاريخ التى كان إقبال القراء عليها داعياً الى مزيد من الجهد ومزيد من العناية [1] .

* * *

يارب ... هيىء بهذا الكتاب النفع ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم .

دكتور أحمـد شلبى

---

(١) ظهرت بفضل الله الاجزاء التسعة من موسوعة التاريخ الاسلامى ، وبقى منها الجـزء العاشر عن أنور السادات وعهـده ، وهـو الذى اعمـل فيـه الآن .

مقـدمة الطبعة الســابعة

« الله أكبر » ذلك هو الهتاف الذى دوّى ظهر العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ (السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣) وفى ظله انطلق جنودنا يقتحمون الصــعاب ، ويهبطون كالقدَر على العــدو الصهيونى ، فبدّدوا قوته ، ودمروا بنيانه ، واستطاعوا أن يستردوا الأرض الســليبة وأن يستعيدوا كرامة مصر ، وأثبتوا أنهم أحفاد الأبطال الذين قضوا على الهكسوس فى التاريخ القــديم ، وعلى التتار والصليبيين فى العصــور الوسطى ، والذين اقتحموا شرق البحر المتوسط وآسيا الصغرى وقلب إفريقية فى القــرن التاسع عشر حاملين القوة والحضــارة ، على أســنة الرماح وأســنة الأقــلام .

« الله اكبر » لقد زالت سنوات الهزائم ، وجاء عهــد النصر بعــد أن غربت شمس عبد الناصر ، فقد كان عهــد هــذا الرجل عهد حقــد فى النفوس واضطراب فى الجهاز الحاكم ، ولهــذا لم يستطع جيشنا أن يحقق اى نصر ، بل مُنِىَ بهزائم قاتلة فى عــدة أمكنة ، وفى عــدة أزمنة ؛ فى اليمن وفى ســنة ١٩٥٦ وســنة ١٩٦٧ ، كما ازدحم عصره بأنين المقهورين وصرخات المظلومين .

وفى عهــد السادات حققنا النصر الذى رفــع رءوسنا ، وكان عــلى الرجل ان ينحنى لله شــاكرا ، وأن يدرك أن النصر من الله ، وأن جهــد الشعب فى نيْله عظيم ، ولكن الرجل اكتسى بهذا النصر ثوبا ســميكا من الغرور ، واندفع للعودة للديكتاتورية وحياة المعتقلات والتأله ، فدفع رأسه ثمنــا لهــذا الانحراف .

فاللهم نسألك الا تدفع لمكان الرياسة فينــا مَنْ يجعل بأسنا بيننــا شديداً ، ومن يفْسح الطريق لانتصار أعداء الإنسانية ، ولا من يخــدعه الغرور فيرفع نفسه الى شاهق ، ثم يهوى منه فلا يجــد من يترحم عليه .

وألهم يارب كل حاكم أن يدرك أن لكل إنسان نهاية ، وأن الظلم مهما طال سينهار ، وأن التاريخ لا ينسى الذين أساءوا والذين أحسنوا ، وأن الذين يخدعون الغوغاء لا يستطيعون أن يخدعوا التاريخ ، وأن عقوبة التاريخ أطول وأقسى من كل نعيم يحرص عليه الظالمون .

* * *

يارب إن أرواح الشهداء فى الحروب الخاسرة ستمسك بتلابيب الظالمين ، فإن هزيمتهم وقتلهم لم يكونا عن ضعف ولكن عن سوء تدبير ، فارعنا يارب حتى لا تنزل بنا هزيمة مرة أخرى ، وبخاصة أن عدونا لا يعرف القيم ولا الأخلاق ، وقد وَجَد فى حكام عهد الهزائم وسيلته ليضربنا ويقسو علينا .

* * *

وكالعهد بنا يارب نشكرك أجلَّ الشكر ، وننحنى لعطائك ، فقد كان التوفيق الذى منحتَه لهذه السلسلة أعظم مما تمنيتُ ، ومع هذا فأطماعنا فى عطائك تزداد ، وآمالنا فى جاهك تنمو .

والشكر للقارىء الكريم على إقباله وتشجيعه ، مع الوعد أن أبذل أقصى الجهد لأطوِّر عملى وأحسِّنه . **ويسرنى أن هذه الطبعة فيها زيادات ذات بال ترتبط بالماسونية وأندية الروتارى والليونز ومنظمة اليوجا ، ذلك الوباء الذى دفعت به الصهيونية الى أرضنا فى لفافات براقة ، وأوشك أن يفرخ فى هذه الأرض عند من لم يعرف أن السم يختفى بين ثنايا هذه اللفافات والمؤسسات .**

فنسألك اللهم أن تحقق بهذا الكتاب الخير ، وترشد به الناس ، وتجعله من العلم الذى ينفع صاحبه فى دنياه وآخرته ، إنك نعم المجيب .

فى الثانى من يناير سنة ١٩٨٤

دكتور أحمد شلبى

مقـــارنة الأديان

عــلم إسلامى ضــاع ثم عــاد

من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا عــلم مقارنة الأديان ، وسنرى أن مفكرى الغرب يعترفون بذلك ، ومن الطبيعى أن هــذا العلم لم يظهر قبل الإسلام ؛ لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أىٌّ منهــا بالأديان الأخرى ، وكان كل دين يَعُدُّ ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالا وحســبك أن تتذكر موقف اليهودية من المسيحية ومن المسيح ، وبالتالى موقف المســيحية من اليهودية واليهــود ، فاليهودية لم تعترف بالمسيحية ولا بالمسيح واعتُبِر المســيح ثائراً استحق عنــدهم الحــكم بالإعدام ؛ والمسيحية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية ولم تر مع وجــودها وجوداً لليهودية . ومثل ذلك موقف الهندوســية من البوذية والبوذية من الهندوسية ، ومثله موقف المسيحية من الإسلام بالأندلس .

بل وصــل الأمر الى أكثر من ذلك ؛ إذ أنكرت كلٌّ طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين وعدَّت اتجاهاتها هرطقة وضلالا ، وربما حكمت كل منها بالإعــدام على أتباع سواها ، وحسبك أن تذكر مذبحة باريس التى حــدثت فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ حيث سطا الكاثوليك على ضيوفهم البروتستانت فذبحوهم وهم نيــام ، وأصبحت شــوارع باريس تجرى بدماء الضحايا ، وراح البابا يهنىء ملك فرنسا على هذا التصرف .

وهــذا الاتجاه كان هو الاتجاه العام بين الأديان وبين المذاهب .

ومن هنــا لم يوجد عــلم مقارنة الأديان قبل الإسلام ، لأن المقارنة نتيجة للتعدد ، ولم يكن التعدد معترفاً به عند أحد ، فلم يوجد ما يترتب عليه وهو المقارنة .

وجاء الإســلام وكان موقفه بالنسبة للأديان الأخرى ينضوى تحت اتجاهين : الناحية النظرية ، والناحية الواقعية :

فمن الناحية النظرية يعلن الإسلام أنه الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأديان ، وأنه بالتالى ورث أهم ما فى الأديان السابقة وأضاف الى ذلك ما تحتاجه البشرية فى مسيرتها الى يوم الدين ، قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) [1] وبذلك يصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذى لا دين سواه قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)[2] . وقال (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَلَ منه) [3] .

ويجمع المفكرون المسلمون على أن كل رسول يجيء برسالة تناسب زمانه وتحقق أغراضها فى ذلك الزمان ، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد يتفق مع الأديان السابقة فى أصل الوحدانية الكبير ويختلف فى فروعه تبعاً لحاجات الناس ، وهذا هو موقف الإسلام بالنسبة للأديان السابقة ، وبالنسبة لحاضر البشرية ومستقبلها ، ويتجه المفكرون المسلمون فى تفسير قوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدًى للناس وأنزل الفرقان ، إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد) [4] يتجهون الى أن الكفر بأى دين من الأديان التى نزلت بها الكتب المشار اليها ضلال يستحق مرتكبُه العذاب الشديد .

واذا كان هذا هو موقف الإسلام بالنسبة للأديان الأخرى من الناحيه النظرية فإنه من الناحية الواقعية يعترف بالوجود الفعلى لجماعات غير مسلمة ، ويتحدث عن أهل الكتاب وأهل الذمة ، وينظم حقوقهم وواجباتهم ، وفى ضوء هذا وُجِدَ علم مقارنة الأديان .

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .
(٤) سورة آل عمران الآيات ١ — ٤ .
(٥) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ٥٣ — ٥٤ .

القرآن الكريم وعـلم مقارنة الأديان :

إن القـرآن الكريم يضـع جـذور عـلم مقارنة الأديان عنـدما يقول « ولا تجادلوا أهل الكتـاب إلا بالتى هى أحسن » [١] فالمجـادلة بالحسنى هى مفهوم هذا العـلم ، بل ورد فى القرآن الكريم بعض الآيات التى تحمل اتجـاه المقارنة كقوله تعـالى (لو كان فيهما آلهـة إلا الله لفسدتا) [٢] . ففى الآية مقارنة بين التوحيد والتعـدد ، وبيان أن التعدد يسبّب الفساد ، ومثل قوله تعـالى : (أفمن يخـلق كمن لا يخلق) [٣] ففى الآية نوع من المقارنة ؛ فالخالق الأعظم لا يمكن أن يماثله هـذا النوع من الآلهة التى لا تستطيع أن تخلق ذباباً ولو اجتمعت هذه الآلهة لخلقه .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة أخـرى للمقارنة ، كمـا أن القرآن تحـدّث عن كثير من الأديان سماوية كانت أو وضعية ، فتحدث عن اليهود واليهودية والمسيح والمسيحية ، وتحـدث عن عبدة الأصـنام والطاغوت والملائكة ، وسماهم القرآن أدياناً مع بطلانها ، قال تعالى : (لكم دينكم ولى دين) .

الحـديث الشريف وعـلم مقارنة الأديان :

واهتم الرسول صـلوات الله عليه بعـلم مقارنة الأديان كما تفيد ذلك كتب الأحاديث وكتب السيرة ، وقـد أورد ابن هشام محاورةً رائعة بين الرسول عليه السلام وبين عدىّ بن حاتم الطائى ، الذى كان قد اعتنق المسيحية وهى تعـد دراسة جيـدة فى علم مقارنة الأديان ، وقد انتهت بأن أعـلن عـدىّ دخول الإسلام وتبعه قومه [٤] .

---

(١) العنـكبوت ٦ .
(٢) الانبيـاء ٢٢ .
(٣) النحـل ١٧ .
(٤) موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف جـ ١ ص ٤٢٦ وما بعـدها من الطبعة الحادية عشرة .

وجرت مناقشات بين الرسول وبين اليهود حول الكتب المقدسة وكان محسور بن سبحان هو المتحدث عن اليهود ، وقد سأل هذا رسول الله سؤالا هو : ما دليلك على أن القرآن من عند الله ؟ فجاء الجواب من الله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » [١] .

وجرت مناقشات كثيرة بين اليهود وبين الرسول ، وكان بعضها يجرى فى « بيت المدراس » وجرت مناقشات أخرى بين الرسول وبين وفد نجران من النصارى ، وعلى إثر المقارنات والمجادلات الدينية الهادئة دخل الإسلامَ من اليهود بعض قادتهم مثل عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسد بن عبيد ، كما دخل الإسلامَ كثير من نصارى نجران .

وقد أوردنا بعض التفاصيل عن هذه المقارنات والمجادلات فى كتابنا « تاريخ المناهج الإسلامية » [٢] .

تدوين علم مقارنة الأديان عند تدوين العلوم الإسلامية :

فلما جاء عصر التدوين فى منتصف القرن الهجرى الثانى وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث اتجهوا كذلك للكتابة فى علم مقارنة الأديان ، فهو بذلك علم إسلامى كباقى العلوم الإسلامية ومن المشاهير الذين كتبوا فى مقارنة الأديان النوبختى (٢٠٢ هـ) ويعتبر كتابه « الآراء والديانات » أول كتاب فى هذا المجال ، وبعده كتب المسعودى (٣٤٦ هـ) كتابين عن « الديانات » ثم جاء المسبحى (٤٢٠ هـ) فكتب كتابه « درك البغية فى وصف الأديان والعبادات » وهو كتاب مطول يقع فى حوالى ثلاثة آلاف ورقة . وكثر بعد ذلك التأليف فى هذا المجال ، ومن أبرز الكتب التى كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنوانا لها كتاب « الملل والنحل » لأبى منصور البغدادى (٤٢٩) وكتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الأندلسى (٤٥٦) وكتاب

---

(١) النساء ٨٢ .

(٢) ص ٩٨ وما بعدها .

« الملل والنحـــل » للشهرستانى (٥٤٨) وهناك كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » لأبى الريحان البيرونى ، وهو — كما ينبىء اسمه — خاص بأديان الهنـــد وليس شـــاملا للأديان والعقائد المختلفة كالكتب السابقة .

ويقرر أن هـــذا العـــلم علم إسلامى ، ولكنه لا يعود به الى أصـــوله القرآنية أو المرتبطة بالأحاديث الشريفة ، ويكتفى بظهوره كعـــلم فى مرحلة التدوين ، وكلماته هى [١] :

إن تسامح المسلمين فى حياتهم مع اليهود والنصارى ، ذلك التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى ، كان سببا فى أن يلحق بمباحث عـــلم الكلام شىء لم يكن قط من مظاهر العصـــور الوسطى وهو عـــلم « مقارنة الأديان » ونشأة هـــذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين ، ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحطّ من الأديان الأخرى ، وإنما كان دراســـة وصفية ، لا تعصب فيها ، تؤدى الى نتائجها الطبيعية . وبواسطة هـــذا العلم دخل الآلاف والملايين فى الدين الإسلامى .

أسباب اختفاء مقارنة الأديان :

ضَعُفَ عـــلم مقارنة الأديان واختفى لأســـباب أوردناها فى كتابنا « تاريخ المناهج الإسلامية » ونورد فيما يلى خلاصة لهـــا :

١ — ازدحمت قصور الملوك والخلفاء فى عصور الضعف بزوجات من أهل الكتـــاب ، وبعدد من الأطباء والوزراء من غير المسلمين ، وبسبب نفوذ هؤلاء ضعف صـــوت مقارنة الأديان الذى كان يطعن فى عقائدهم المنحرفة ، وقـــد استطاع أصحاب النفوذ أن يسكتوا أصـــوات المتحدثين فى مقارنة الأديان ، حتى اختفت هـــذه المـــادة من الدراسة ومن المناهج .

---

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ١ ص ٣٦٦ .

٢ — زحف الصليبيون على الشرق الإسلامى بقصد تدمير الإسلام والمسلمين ، وقابل المسلمون القوة بالقوة ، وكان من الواضح أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الدينى ولا الجدال بالحسنى ، فخفت صوت هذه المجادلة تحت صليل السيوف .

٣ — فى عصور الضعف التى ألمت بالمسلمين اتجه أكثر فقهاء المذاهب الى التعصب لمذاهبهم الفقهية ، وقلّ أو انعدم اطلاعهم على المذاهب الأخرى ومن باب أولى قلّ أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخرى وقضاياها .

٤ — ومما دفع المسلمين الى إهمال علم مقارنة الأديان — بالإضافة الى ما سبق — أن بعض المسلمين تبنوا الاتجاه الذى كان سائداً لدى أتباع الأديان السابقة للإسلام ، فقد كان هؤلاء لا يعترفون بغير دينهم ، وبالتالى لا يعترفون بإمكان المقارنة بين الأديان ، فلما اقتبس بعض المسلمين هذا الاتجاه دانوا به ، ووجد منهم من يهاجم مقارنة الأديان باعتبار أن الإسلام لا يُقارن بسواه ، وقد نسى الذين ينتهجون هذا الاتجاه ما سبق أن أوردناه من أن القرآن الكريم هو الذى وضع جذور هذا العلم ، ووجدت به بعض آيات تحمل اتجاه المقارنة .

انتقال علم مقارنة الأديان للغرب :

اذا كان المسلمون فى عصور الظلام قد أهملوا مقارنة الأديان لسبب أو لآخر ، فإن موقف المسيحيين من هذا العلم كان مختلفاً ، لأن اللقاءات السلمية بين المسلمين والمسيحيين فى الشام والأندلس وصقلية عرّفت المسيحيين بمقارنة الأديان ، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم فراحوا يتعلمون أسسه ويحاولون الانتفاع به .

ثم جاء عصر الاستعمار ، وقرر الخبراء من المبشرين أن الإنسان به نزعة دينية فى أعماقه مهما كان مادياً أو تظاهر باللادينية ، كما قرروا

أن رباط الدين لا يقل عن رباط الدم والجنس ، ثم إن معرفة الداعى بدين المدعو واعتقاده يساعد كثيراً فى التأثير عليه ، وبناء على هـذه الأسس زاد علـم مقارنة الأديان بالغرب نشاطاً ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية .

عودة مقارنة الأديان للساحة الإسلامية :

بيـد أن المسلمين فى العصر الحـديث أفاقوا من غفوتهم ، وراحوا يحاولون أن يستعيدوا الزمام ، وأن يُحيوا من جديد علـم مقارنة الأديان ليكون فى أيديهم سلاحاً فى الحاضر كما كان سلاحاً فى الماضى ، وقـد سار جيلنا فى هـذا الطريق شـوطاً طيباً حتى استطعنا أن نصـل حاضرنا بماضـينا فى مجال هذه الدراسات ، وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قوانين هـذا العـلم وهو يقومون بالدعوة للإسلام .

وهـكذا عاد علـم « مقارنة الأديان » للظهور فى معاهد العـلم الإسلامية ، ولكنه فى الحق لم يأخـذ بَعْدُ مكانه اللائق ، ونرجو أن يتجه إليه مزيد من الاهتمام ليلعب هـذا العـلم دوره فى التعريف بالإسلام وردّ العـدوان عنه ، وليكشف عن أنواع الزيف التى ألصقها المغرضون بكثير من الأديان ، ويوم ينشـط هـذا العـلم ستخبو ترهات الباطل ، وتتضح معالم الحق ، وليس هـذا اليوم ببعيد .

ونحب أن نوضح أن بعض المفكرين يستعملون أحياناً مقارنة الأديان فى بحوثهم ربما بدون أن يقصـدوا الخوض فى هـذا العلم ، ولعل من ذلك ما ورد فى كتـاب « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » ونصه « الدلائل الدالة على صـدق محمد أعظم من الدلائل الدالة على صـدق موسى وعيسى ، ومعجزات محمد أعظم من معجزات غيره ، والكتاب الذى أرسل به أشرف من الكتب التى بعث بهـا غـيره ، والشريعة التى جاء بها أكمـل من شريعة موسى وعيسى ، وأمته أكمل فى جميع الفضائل من أمة

هـذا وذاك ، ولا يوجد فى التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلا وهو فى القرآن أو مثله أو أكمل منه ، وفى القرآن من العلم النافع والحث على العمل الصالح مالا يوجد فى التوراة والإنجيل ... »[1] .

فهـذه اتجاهات مفاضلة ، ولكنها فى الحق نتائج بدون مقدمات ، وعندما يمسك بها علم مقارنة الأديان يُخْرِج منها ثروة فكرية رائعة تبرز جمال الإسلام ورجحانه على سواه ، فعلم مقارنة الأديان يمسك القضايا الدينية ويشرحها ويبرز عناصرها ، ويقارن بينها ، كما فعلنا فى قضية الألوهية حيث عرضنا اتجاهات الأديان المختلفة تجاه الله سبحانه وتعالى ، وقد وضّحت هـذه الاتجاهات أن الفكر الإسلامى قمة شامخة ، وأن ما سواه حافل بالانحراف والوثنية والتعدد ، ومثل هـذا ظهر عند ما تدارسنا معجزات الأنبياء ، والكتب المقدسة ، والتشريع ، وغير هـذه من القضايا .

وفى كلمة مجملة نتمنى أن يعود علم مقارنة الأديان الى المعاهد الإسلامية ، وأن يأخذ قدره بين العلوم الإسلامية ، ليخدم الإسلام فى الحاضر والمستقبل كما خدمه فى الماضى .

ولكننا نحذر من شىء نخشى وقوعه ، أو قل إنه وقع فعلا ذلك أن بعض الجامعات الإسلامية اتجهت لإحياء مقارنة الأديان ، ولكنها للأسف وكلَتْ تدريس هـذه المادة لغير المتخصصين وغير المتحمسين ، وكانت النتيجة أن ظهر كائن هزيل سمى مقارنة الأديان ، وهو ليس كذلك ، ومن أجل هـذا أتمنى أن تكوّن لجان دقيقة لتضع الخطة التفصيلية لهذه المادة .

---

(١) نقلا عن : الكواشف الجلية عن معانى الواسطية ص ٤٥ للاستاذ عبد العزيز السلمان (من مطبوعات رابطة العالم الاسلامى) .

فائدة علم مقارنة الأديان :

استكمالا للحديث عن مقارنة الأديان يجدر بنا أن نلخص الفائدة العظمى التى يحصل عليها المسلمون من مدارسة « مقارنة الأديان » ، وهى بإيجاز كالآتى :

أولا : الأديان من منبع واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والإسلام خاتمتها ، ولذلك كان أشمل وأكمل ، فمن طبيعة اللاحق أن يضيف جديدا للسابق ، ومع أن الأديان من الله فإنه تعالى أعطى الدواء بقدر طاقة المريض ، فكان يعطى البشرية من الهدى والتوجيه بقدر ما تحتمله البشرية ، وما يناسب عودها الذي بدأ ضعيفاً ثم اشتد رويداً رويداً حتى اكتمل نموه ، وقد تحدث الإمام محمد عبده عن هذا التطور فى الأديان ، وشرحنا ذلك بإضافة فى كتابنا « الإسلام » من سلسلة مقارنة الأديان فى موضوع خاص بعنوان « تطور الرسالات مع تطور الجنس البشرى » .

ومن الواضح تبعاً لذلك أن المسلم عندما يقرأ الكتب المقدسة سيعرف المكانة العظمى للقرآن بين هذه الكتب ، وكذلك عندما يقرأ التشريع هنا وهناك ، وعندما يدرس العقيدة وهكذا .

ثانيا : إن دراسة علم مقارنة الأديان ستلزم الدارس أن يتعرف عن تاريخ كل دين ، والى أى مدى تأثر أو انحرف فى رحلته التاريخية الطويلة ، وستقوده هذه الدراسة العلمية الى حقيقة مهمة هى أن المسيحية الحالية مثلا ليست مسيحية عيسى على الإطلاق ، وأن اليهود جعلوا تاريخهم بعض دينهم ، وإن المحاولات التى جرت للانحراف بالإسلام قد فشلت تماماً ، وحافظ ديننا على نقائه بفضل القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الصحيحة ، وأن ما دخل عليه من إسرائيليات أو نحوها هى الآن هدف هؤلاء الباحثين المسلمين للقضاء عليها .

ثالثـــا : سيدرك الباحث فى علم مقارنة الأديان أن كثيرا من المسلمين بعـــدوا عن الدين الصحيح ، فهم عرفوا مبادىء الإسلام ولكنهم بعدوا عن أخلاقه ؛ فمنهم مَنْ يستطيع أن يفسر آيات الحســـد ولكنه يحسد ، ويفسر آيات التعاون ولكنه لا يتعاون وهكذا ، واذا انحرف هؤلاء وبخاصة ممن يُعْرَفون برجال الدين انجرَّ سواهم الى الانحراف عن الإسلام . وعـــلم مقارنة الأديان يدرس طبيعة الإسلام ويبحث عن أسباب بُعْد المسلمين عنه ، ويعالج هـــذا الأمر بعناية ليعـــود المســـلمون للإســـلام الصـــحيح .

* * *

أسس لدراســـة « مقارنة الأديان »

أولا — فيما يتعلق بالمنهج :

لدراسة مقارنة الأديان طريقان :

١ — الطريق الأول أن تكون المباحث الكبرى بالأديان هى عناوين الكتب ؛ كأن نكتب كتـــاباً عن « الله » وندرس به مختلف الاتجاهات عن الإله ، ونكتب كتاباً عن « النبوة » وثالثاً عن « التشريع » ، وهـــكذا ... وقـــد سار على ذلك المنوال بعض الباحثين مثل الأستاذ العقاد فى كتابه « الله » . ومثل Max Muelle: (ماكس مللر) فى كتابه « أبحاث فى الأسطورة الدينية المقارنة » .

ولكن يؤخـــذ على هـــذه الطريقة بعض مآخـــذ أهمها :

أولا : أن مباحث الأديان ليست متشـابهة ؛ فمثلا :

— تاريخ اليهودية له أثر كبير فى عقيدتهم ، ومن ثمَّ وجب أن يكون مبحثاً هاماً عند دراسة « اليهودية » ، ولكن التاريخ الإسلامى ليس ذا أثر

فى العقيدة الإسلامية ، ومن ثم فليس ضرورياً أن يكون ضمن مباحث كتاب عن « الإســـلام » .

— لم يتـــكلم بوذا عن الإله ، ولكنَّ محمدا تكلم عنه وأفاض :

— فى البوذية موضوع النرفانا ، وفى الجينية موضوع النجاة ؛ وليس فى الأديان السماوية ما يماثل هـــذه المباحث ؛

— فى أديان الهند موضوع التناسخ ، وليست كذلك الأديان السماويه . واذا لم تتشـــابه المباحث كانت المقارنة غير دقيقة .

ثانيــاً : دراسة مقارنة الأديان على هـــذا النحو لا تعطى فــكرة متكاملة عن كل دين ، إذ ستَرِدُ مباحث كل دين متناثرة هنا وهناك .

ثالثــاً : المباحث التى توجــد فى دين واحــد من الأديان ســـيكون موضوعها قلقاً فى هـــذه الدراسة ، إذ لا توجــد مقارنة بين الأديان عنيا .

على أن دراســـة مقارنة الأديان على هـــذا النحو ينبغى أن تجىء بعد دراسة الأديان نفســـها ، فإن طبيعـــة المقارنة أن تتأخر عن استيعاب الأصـــل ، ففى الأدب المقارن يلزم أن ندرس الآداب المختلفة ثم نقارن بينها ، وفى الفقـــه المقارن يلزم أن ندرس التشريعات المختلفة ثم نقارن بينهـــا ، وفى مقارنة الأديان يلزم أن ندرس الأديان ثم نعقد المقارنة بين مباحثهـــا .

٢ — الطريق الثانى هو أن يخصص كتاب لكل دين . تُدْرس فيـــه مباحثه فى العقائد والتشريعات المختلفة مشفوعة بالمقارنة كلما وُجِد لهـــا مجال ، وهذا الطريق هو الذى يسير عليه أغلب الكتّاب ، وهو ما اتّبعناه فى هذه الدراسة ، وبه نتحاشى المآخـــذ التى سبق أن أوردناها على الطريق الأول ، ويمكن القول إنه — بسبب هـــذه المآخذ — لم يسر أحد الى آخر الشوط فى دراسة مقارنة الأديان متبعاً الطريق الأول .

* * *

ثانيـــا : فيما يتعلق بالمراجـــع :

من المفاخر التى أشعر بهـــا وأحمد الله عليها أننى اتّبعت الفـــكرة الأصـــلية فيما يتعلق بالمراجع فى دراســـة مقارنة الأديان ، فاعتمدت — أساساً — على المراجع الرئيسية ، ودرست عقائد هـــذه الديانات وعرضت أفكارها من مراجعها ، وكان هـــذا سبيلى فى كل هذه الكتب ، كانت الكتب المقدســـة الهندية وما كتبه الهنود يمثل أهم مراجعى وأنا أبحث أديان الهنـــد ، وكان العهد الجـــديد وما كتبه المسيحيون أبرز ما اعتمدت عليه وأنا أكتب المسيحية ، وكان القرآن الكريم وأحاديث الرســـول وكتابات المسلمين مصادرى التى اغترفت منها ما صـــورت به الإسلام ، وهنا مع اليهودية كان العهـــد القديم ، والتلمود ، وبروتوكولات حـــكماء صهيون ، وما دوّنه مشاهير اليهود ، أهم مصادرى التى سيقابلها القارىء من حين الى حين ، ومن أهم ما تلزم الإشارة إليه هنا فى هـــذا العرض المراجـــع التاليـــة :

أسفار العهـــد القديم .

التـــلمود .

بروتوكولات حـــكماء صـــهيون .

The Jewish Encycopaedia

Arthur Hertezberg	:	Judaism
Ch. Guignebert	:	The Jewish World in the Time of Jesus
J. Hosmer	:	The Jews
Charles Foster Kent	:	A History of the Hebrew People
Margolis and Marx	:	A History of the Jewish People
Laurance Browne	:	From the Babylon to Bethlehem
J. W. D. Smith	:	God and Man in Early Israel
E. H. Weech	:	Civilization of the Near East
Berry	:	Religions of the World
J. Shotwell	:	The Religious Revolution of to day
Reinach	:	History of Religions
G. Allen	:	Evolution of the Idea of God

وسواها من المراجع التى سيقابلها القارىء من وقت لآخر مشفوعة بآرائي فقــد كنت دائماً هناك ، أخطط ، وأمهّد وأعرض ، وأعلق ، على نحو ما يلزم فى البحث العلمى .

* * *

ثالثــا : فيما يتعلق بالحيــدة :

والحــديث عن المراجع يقودنا للحديث عن الحيدة اللازمة فى دراسة « مقارنة الأديان » ومن الواضــح أن أكثر الذين كتبوا عن الأديان هم من اليهود أو من تلاميذهم ، فالمدرسة اليهودية عن الأديان سبقت كل المدارس تقريباً وأثرت فيها ، ولم يكن أكثر هؤلاء محايدين ، وقــد أدى ذلك الى كثير من الاضطراب العلمى ، فاليهود استخدموا كل وسائلهم وكل مواهبهم لا ليخدموا الحق بل ليخدموا أهــدافهم ، فتركوا للناس تراثاً حافــلا بالانحراف ، يحتاج تصــحيحه وتحقيقه الى جهــد كبير ، أرجو أن يكون هــذا البحث لَبِنَةً من لَبِنـاته أضيفها الى لبنــات الزملاء والباحثين الذين يشيدون صرح الحق ويدمرون بناء الباطل .

وقــد سرت فى دراسة مقارنة الأديان والحيدة طريقى ، لا أحيــد عنها ولا أنحرف ، كما اتخــذت اليسر وسيلتى ، فكنت أتتبع النصــوص لتقودنى الى الغاية ، دون أن أفرض نفسى أو فكرى عليها ، وكان هــدف أن أجعــل الدراسة موضوعية لا ذاتية .

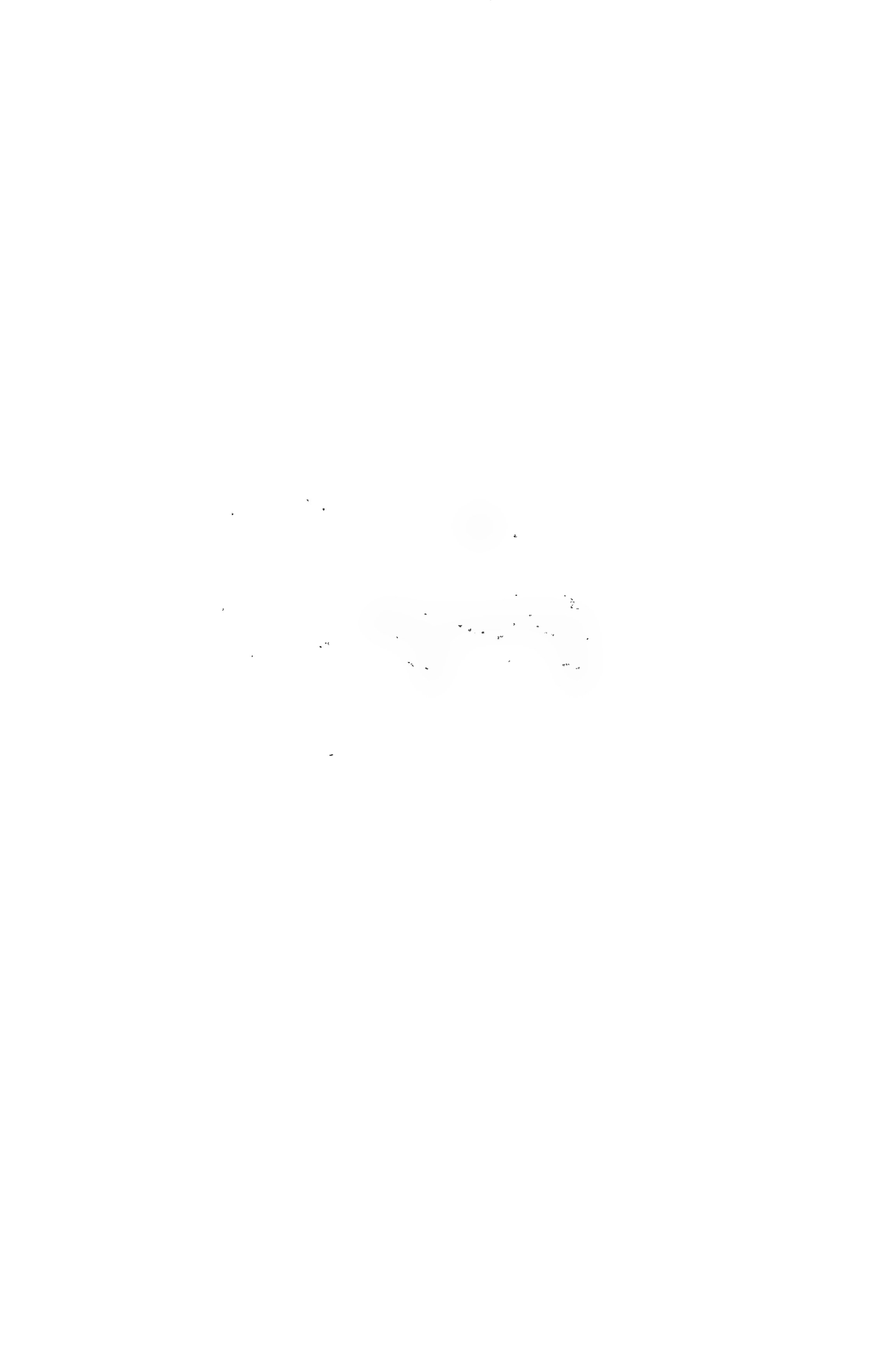
ولا شك أن هذا هو الطريق الصــواب ، والكاتب الذى يظهر تعصبه ينفض عنــه القراء ، فلا يكون لعمله جــدوى ، ولقد حاولت جهــدى أن أكون منصفا وموضوعيا وأرجو أن أكون قــد وفقت فيما حاولت الوصول إليــه .

وفى ضوء هــذه المقدمات نخطو لنعرض أبحاثنا عن اليهودية :

* * *

الباب الأول

اليهود في التاريخ



المنطقة وسكانها :

المِنْطَقَة التى ستدور حولها دراستُنا تقع على الضفة الغربية لنهر الأردن ، وتمتدُّ جنوباً حتى قمة خليج العقبة ، وينبغى أن نتعرف على طبيعة هذه المنطقة ، ومَنْ هم سكانها فى تلك العصور السحيقة التى ستبدأ عندها أبحاثنا ، وينبغى كذلك أن يمتد بحثنا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى نكوِّن صورة واضحة عن فلسطين ، وعن الدول المحيطة بها والتى كان لها أثر فيها ، وستفيدنا هذه الدراسات طوال هذا البحث ، فتمدُّنا بعناصر خطيرة تشرح لنا كثيراً من الظواهر ذات الأثر الفعال فى مجريات الأمور :

وهذه المنطقة أشبه بشريط ضيق ينتهى من جهة الجنوب بمثلث ، رأسه الى الجنوب وقاعدته الى الشمال ، ويلتقى رأسه بطرف خليج العقبة ، وتمتد قاعدته من نهر الأردن الى البحر الأبيض المتوسط .

ومساحة هذه المنطقة ليست واسعة ، فهى حوالى ٢٧ ألف كيلو متر مربع ، أى أقل من ثلث مساحة سيناء ، فمساحة سيناء حوالى ٨٢ ألف كيلو متر .

وهذه المنطقة ليست غزيرة الغنى ، وتتركز الثروة بها فى المعادن الراسبة بقاع البحر الميت ، وأهمها كلورات البوتاسيوم وكلورات الصوديوم وكلورات المغنسيوم ، أما الثروة الزراعية فتشمل البرتقال بالسهل الساحلى ، والحبوب بمرج ابن عامر ووادى الأردن ، والزيتون بالمنطقة الجبلية ، أما منطقة النقب فترتبط الزراعة بها حتى كتابة هذه السطور بكمية الأمطار التى تسقط عليها . ومساحة النقب حوالى مساحة المنطقة كلها .

وعلى هذا فاهمية هذه المنطقه ليست لاتساعها ولا لثرائها ، ولكن لموقعها الفذّ بين مناطق الشرق الأوسط ، فهى بالنسبة لخريطة العالم حلقة

اتصال بين أوربا وآسيا وإفريقية ، وهى مع صغر مساحتها متصلة بالبحر الأبيض والبحر الأحمر ، وعن طريقهما تتصل بالمحيط الأطلسى والمحيط الهندى وبالدول الواقعة عليهما ، وهى بالنسبة للعالم العربى تعتبر المنطقة الوحيدة التى تتصل بأكبر عدد من دول العالم العربى ، فهى تتصل بلبنان وسورية والأردن والسعودية ثم بجمهورية مصر العربية ، وهذا ما لا يتوافر لسواها من دول هذه المنطقة ، ثم يمكن أن تكون حاجزا أو حلقة اتصال بين الدول العربية بآسيا والدول العربية بإفريقية ، ومن هنا كانت عروبة هذه المنطقة وحسن صلتها بجيرانها ضرورة حيوية ما لها من محيد .



أهمية موقع فلسطين

وبعد هـذا الحديث الموجز عن المنطقة نسير خطوة جـديدة لنتحدث عن سكانها من أقـدم العصـور المعروفة ، فلنعد الى الألف الثالث قبل الميلاد لنرى أفواجاً من القبائل العربية تهاجر من شبه الجزيرة العربية الى الشمال تحت ضغط القحط وقسوة الصحراء ، ويقول Charles Foster Kent إن الفينيقيين كانوا أسبق هـذه الجماعات المهاجرة ، وقـد وجـدوا على شاطىء البحر المتوسط مسـتقراً لهم فأقاموا به ، وكان مقرهم شريطاً ساحلياً ضـيقاً يحدُّه البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقى المنطقة ، ومن هنا اتجه هؤلاء الى البحر فركبوه واتصـلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق التجارة ، وسرعان ما أصـبح هؤلاء جنساً شهيراً فى سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتـد نشاطهم فأصبحوا حملة الحضـارة بين دول العالم القـديم .

والى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشـهرها قبائل الكنعانيين حوالى سنة ٢٥٠٠ ق‌م واستقرت على ضـفة الأردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط وسـميت هـذه المنطقة باسمهم فأصـبحت تـدْعَى « أرض كنعان » وهو الاسـم الذى يكثـر وروده فى التوراة . وحوالى سنة ١٢٠٠ ق‌م نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات من جزيرة كريت (اقريطش) وكانت هـذه الجماعات أو القبائل تسمى قبائل فلستين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتمّ بين هؤلاء وأولئك مزيج غلب عليه الدم العربى واللغـة السامية من جانب ، والاسم الوافـد من كريت من جانب آخر ، فأصبحت هـذه البلاد تعرف بفلسطين (٢) .

وفى الشمال الشرقى لنهر الأردن كانت تعيش قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات بعـد أن ازحمت سهول دجـلة والفرات بالوافدين من

---

(1) A. History of the Hebrew People p. 29.

(٢) Ibid ص ٣٠ وغوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضـارات الاولى ص ٢٦ .

الجزيرة العربية • وهذه القبائل هى المعروفة فى الكتب المقدسة بالسوريين • وكانت دمشق عاصمتها ، وكانت هذه القبائل تعمل فى الزراعة ، ولكن موقعها دفعها للعمل فى التجارة البرية ، فاذا كان الفينيقيون قد اشتهروا بركوب البحر متاجرين ، فإن السوريين ركبوا البر منافسين لهم فى النشاط التجارى ، والآراميون كانوا قريبين جداً من الكنعانيين فى لغتهم وديانتهم وعنصرهم •

والى الشرق من نهر الأردن ثم الى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاثة عمون ومؤاب وإدوم ، وسكانها ينحدرون — كالآراميين — من سهل



المنطقة قبل زحف العبرانيين

الفرات وتربطهم بهم روابط نَسَب ، كما أن روابط جمة تشمل اللغة والعادات والأفكار الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض . وكانت لغتها لهجة من الكنعانية ، وتعتبر مؤاب أكثرها حضارة إذ كانت أسرعها فى التحول من نظام البدو الى عالم الحضارة ، ويبدو أن خصب موقعها ساعد على سرعة التحول فاستقرت واشتغلت بالزراعة وبَنَتْ المدن العظيمة . أما مملكة إدوم فكانت تمتد الى خليج العقبة ، وأهم ما كانت تشتغل به هو رعى الأغنام فى السهول الفسيحة التى تتبعها ، ومن أجل هذا كانت أقل الممالك الثلاثة حضارة ومدنية ، وكانت عمون — فى الشمال من مؤاب — تعمل فى الزراعة والرعى جميعاً فبعض بطونها استقر وبنى المدن واشتغل بالزراعة ، والبعض الآخر ظل يتجول ويرعى الغنم والماشية ، وهي لهذا تعد من جهة المدنية وسطاً بين مؤاب التى اتجهت الى الاستقرار والزراعة ، وبين إدوم التى ظلت تعيش عيشة البادية (1) .

المناطق المحيطة :

المناطق السابقة هى المناطق ذات الصلة الوثيقة بدراستنا عن اليهود ، وبقى علينا بعد ذلك أن نتكلم كلمة عن الدول المحيطة بهذه المناطق ، ونعنى بها مدين فى الجنوب الشرقى ، ومصر فى الجنوب الغربى ، وبابل وآشور فى الشمال والشمال الشرقى ، وطبيعى أن اليهود وهم فى فلسطين عرفوا هذه الدول واتصلوا بها مسالمين حيناً ، ومحاربين حيناً ، وتأثروا كثيراً بأفكار السكان ومعتقداتهم ، فتَعَرُّفنا على هذه الدول هنا يُعَدّ أساساً من أسس هذه الدراسة .

تقع مدين فى الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وكانت لها صلة وثيقة بالجزيرة العربية وبمصر وأرض كنعان ، وسنرى أن موسى لجأ إليها عقب

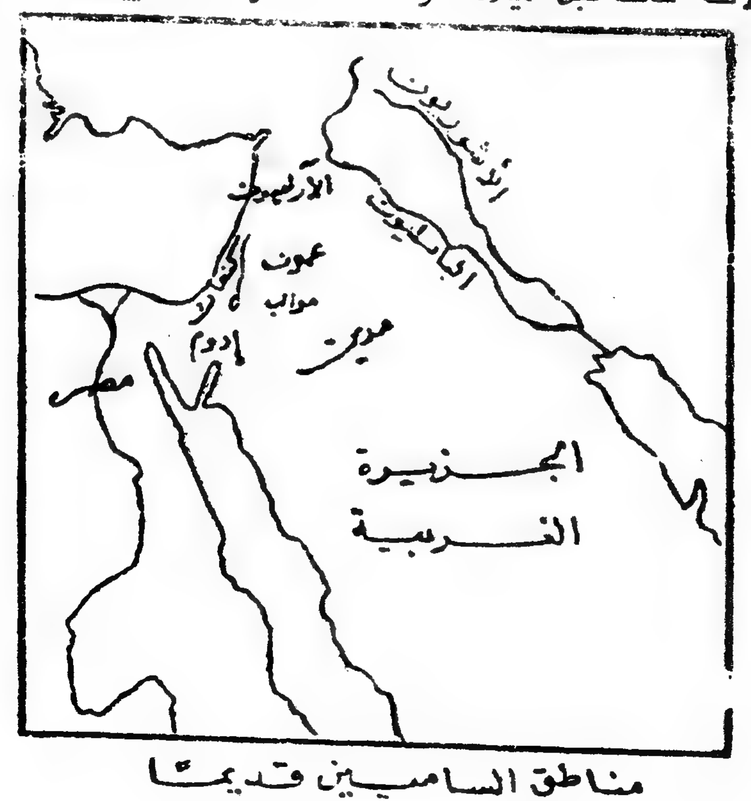
---

(1) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People pp. 31-32.

هربه من مصر . وتعتبر مدين مَعْبَراً بين الصحراء العربية وبين فلسطين وما حولها .

على أن مصر وبابل كانتا أكثر تأثيراً فى أرض كنعان فإن أرض كنعان وقعت بين هاتين الدولتين الكبيرتين اللتين ازدهرت فيهما أرقى حضارة فى العصـــور القديمة ، وكانت هناك حروب ومنافسات لا تنقطع بين هاتين الدولتين ، وكانت أرض كنعـــان ميداناً لهـــذه الحـــروب كما كانت تتأثر بنتائجها ، فالغالب منهما يسيطر على كنعـــان وتكون له الســـيادة على سكانها ، ولذلك يقـــول ول ديورانت (١) إن موقع فلســـطين جاءها بالغنى والحـــرب .

وتدل الآثار البابلية على أن بابل كان لها السلطان على أرض كنعان فى الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت حضـــارة الكنعانيين شـــديدة التأثر



مناطق الساميين قديماً

(١) قصـــة الحضارة ج ٢ ص ٣٢١ .

بحضارة بابل ، وساعد على تقديم بابل تغلب الرعاة الهكسوس على مصر ، وهؤلاء الرعاة هم من أعراب الجزيرة العربية وقد اجتاحوا أرض مصر مدفوعين بالقحط الذى كان قد أصاب الجزيرة العربية وسوريا ، وقد انتهز الهكسوس فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية بسبب الخلاف على ولاية العهد ، فاستولوا على شرق الدلتا ، واتخذوا « منف » بالقرب من القاهرة عاصمة لهم ، ثم انتقلوا الى أواريس بالقرب من الزقازيق ، وكونوا لهم أربع أسر من الأسر القديمة التى حكمت مصر ، واستمر حكمهم من حوالى ١٨٠٠ ق.م الى سنة ١٥٨٧ ق.م ،

أما الفراعنة فقد بقوا بجنوب مصر متخذين طيبة (الأقصر) عاصمة لهم ، ثم انتقلوا الى غرب الدلتا واتخذوا « سخا » عاصمة لهم ليكونوا مواجهين لأعدائهم الغاصبين وكانت هذه الفترة فترة نضال بين الهكسوس الذين سلبوا السلطة وبين الأمراء المصريين الذين هبوا يصارعون لاستعادة سلطانهم وطرد المعتدين ، وقد تمكن البطل أحمس فى النهاية من النصر ، فطرد الهكسوس وأسس الأسرة الثامنة عشرة المصرية ، ومن أشهر الملوك المصريين الذين أكملوا انتصارات أحمس الملك تحتمس الثانى الفاتح العظيم ، الذى دانت له فلسطين وامتد سلطانه لسوريا ، فتوارى أمامه سلطان بابل فى تلك البقاع ، كما خضع له الحيثيون بالشمال [1] ، وسنرى أنه فى عهد الهكسوس عاش اليهود بمصر ، فلما سيطر الحكم الوطنى بها اضطرب موقف اليهود ولذلك يرى Maspero أن سيطرة الساميين على مصر أتاحت لليهود بعض الحماية [2] .

تحركات العبريين :

ونجىء الآن الى العبريين أو العبرانيين لنسير معهم خطوة خطوة ، ولكن ينبغى لنا فى مطلع هذا البحث أن نقف وقفة نتساءل :

---

(1) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People pp. 27-28.
(2) Struggle of the Nations vol. 4, p. 70.

ما معنى كلمة عبرى ؟

فى الإجابة عن هـذا نقرر أن العلماء لا يتفقون على معنى هـذه الكلمة وإن اتفقوا جميعاً على مدلولها ، فالعبرى هو المنحـدر من ذرية إبراهيم ، ولكن لماذا سمى عبرياً أو عبـرانياً ؟ يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمى عبرياً لأنه عبر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصـود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن [١] .

ويروى الدكتور إسرائيل ولفنسون رأياً آخر هو احتمال أن يكون إبراهيم منسوباً الى جـد من أجداده الأقدمين يعرف باسم « عِبِر » . ولكن الدكتور ولفنسون لا يرضى بهـذا الرأى . ولا بالرأى الذى قبله . ويرى أن كلمة عبرى لا ترجع الى حادثة بعينها أو شخص بعينه ، وإنما ترجع الى الموطن الأصـلى لبنى إسرائيل . وذلك أن بنى إسرائيل كانوا فى الأصـل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة الى أخرى بإبلها وماشيها للبحث عن المـاء والمرعى ، وكلمة عبرى فى الأصـل مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادى أو النهر من عِبْرِهِ إلى عِبْرِهِ . أو عبر السبيلَ : شقَّها ، وكل هـذه المعانى موجودة فى هـذا الفعل سواء فى العربية أو العبرية ، وهى فى مجملها تدل على التحول والتنقل الذى هو من أخص ما يتصـف به سـكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى أى ساكن الصحراء أو البادية . وقـد كان الكنعانيون والمصريون والفلسـطينيون يسمون بنى إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء ، وليميزوهم عن أهل العمران ، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنيّة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبرى التى كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حيـاة البداوة والخشونة ، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببنى إسرائيل فقط [٢] .

---

(١) سليمان مظهر : قصـة العقائد ص ٢٨٤ .
(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ — ٧٨ .

والعبريون ينحدرون من العرق السامى الذى ينتسب له الآشوريون والعرب ، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم الى الشمال فى بلاد بابل حيث كانت السلطة لحضارة السومريين والأكّاديين ، فأقاموا بها من الزمن ما أشْبِعُوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد فى أدوار مختلفة ، فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى ثم انتشروا فى جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والإسرائيليون [١] .

ويرى I. W. D. Smith [٣] أن العرب فى العصر الحديث هم الذين يمثلون ملامح الساميين القدماء الجسمانية ، أما اليهود فإن صلاتهم مع الحيثيين بآسيا الصغرى ، وتبادل الزواج معهم قد أثر فيهم ، وأخفى منهم كثيراً من الملامح السامية .

ورئيس الأرومة السامية التى دخلت فلسطين قادمة من العراق هو إبراهيم الخليل ، وهو ابن تارح ، وينتهى نسبه الى نوح ، وقد نشأ فى أور الكلدانيين ، وكان أبوه يزاول عمل الأصنام وسَخِرَ إبراهيم من عمل أبيه ومن قومه الذين يعبدون ما ينحتون ، وناقشهم مناقشة عقلية يرويها القرآن الكريم ، قال تعالى « واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال : هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لى إلا رب العالمين » [٢] ثم تحولت السخرية الى عمل ضد

---

(١) غوستلف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٤ ج ٢٥

(3) God and Man in Early Israel p. 5.

(٢) سورة الشعراء الآيات : ٦٩ — ٧٧ .

هذه الأصنام ، إذ انتهز إبراهيم فرصة وجوده وحده فى حانوت أبيه فأمسك فأساً وحطم هذه الأصنام ، وجعل منها كومة من الحطام ، ولم يدَعْ إلا صنما كبيراً كان أعظمها شكلا وأكبرها حجما ، فوضع الفأس فى يده ، وجلس ليرى ، فلما عاد أبوه وقومه من عيدهم الذى كانوا يحتفلون به خارج المدينة جُنَّ جنونهم لما رأوا ، وصاحوا بإبراهيم :

أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟

وأجاب إبراهيم فى هدوء : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم .

قالوا فى ثورة : كيف نسألهم وهم لا ينطقون : وكيف يعمله كبيرهم وهم لا يتحركون ؟ .

قال إبراهيم : إذاً كيف تعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون .

وكان ذلك من إبراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان فى بلاد الكلدان ، ولم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين هرباً من شرهم ، وهاجرت معه زوجته سارة ولوط ابن أخيه وبعض الأقارب والخدم ، وأخذوا معهم ما يملكون من أغنام وماشية وأخذوا يضربون فى الأرض ، ويبدو لى من تتبع المراجع ، ومن دراسة الآثار اللغوية والاجتماعية التى اقتبسها هذا الرهط أن خط سيرهم كان أشبه بجزء من دائرة ، فقد اتجهوا الى الشمال حتى اتصلوا بمناطق الآراميين ، ثم انحدروا الى الجنوب حتى دخلوا أرض كنعان [1] ، وأطلق أهل كنعان على إبراهيم ورفاقه « العبريين » لعبورهم نهر الفرات إذ لم يكونوا قد عبروا نهر الأردن بعد ، أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد الى واد كما ذكرنا من قبل .

---

(١) قصة ابراهيم وردت فى القرآن الكريم فى سورة الأنعام ومريم والأنبياء والشعراء وغيرها .

متى تَمَّت هـذه الرحلة ؟ يرى أكثر الباحثين أنها تمت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م ، ويرجح بعضهم حدوثها حوالى سنة ١٨٥٠ ق.م [١] .

وحط إبراهيم رحاله فى تلك البقاع ، ونعم بما فيها من رخاء وخير ، ولكن شيئاً خطيراً كان يحـدث دون أن يلتفت إليه أحـد ، أو ربما دون أن يدبره أحـد ، ذلك هو الانعزالية التى كانت طابع الوافدين الجـدد ؛ لقـد رأينـا الكنعانيين يختلطون بالفلسطينيين ، ورأينا السـاميين الذين هاجروا الى مواقع الخصـب فى الشمال يمتزجون بسـكان الشمال ، أما العبرانون فقـد عاشوا وحـدهم وآثروا العزلة منـذ هاجروا من أور الكلدانيين ، قـد يكون السبب فى ذلك أنهم كانوا يرفضون عبادة الأصنام فى حـين كانت الأصـنام هى معبودات الكلدانيين كما سـبق ، فاعتزلهم إبراهيم ومن آمن معه ، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا أو عاد أكثرهم الى عبادة الأصنام . كانت العزلة طابعهم فى أرض كنعـان ، وكانت طابعهـم فى مصر بعـد ذلك بسـبب ارتباط العبرانيين بالحـكام المستعمرين فى مصر (الهكسوس) وبالتـالى نظر الشعب لهم نظرة ريبة فلم يتم اختلاط بين هؤلاء وأولئك ، ثم إن البون كان شاسعاً بين العقليتين ، فالعبرانيون كانوا قوماً بدواً لا ثقافة لهم ، نزلوا بين أقوام لهم تاريخ ولهم حضـارة ، فلم يكن من السهل الاندماج بين الطائفتين [٢] . ثم أصبحت العزلة تقليداً يهودياً لا محيـد عنـه ، وترتب على هذه الانعزالات مجافاتهم لمن حولهم فى جميع مراحل التاريخ ، واعتبارهم مَنْ حولهم من الأمم أعداء لهم [٣] ، ويصف الدكتور وايزمان أول رئيس لإسرائيل طابع العزلة فى اليهـودية بقوله : وكان اليهـود فى موتول (مسقط رأسه) بروسيا يعيشون كما يعيش اليهود فى مئات المدن

---

(١) J. W. D. Smith : God and man in Early Israel p. 5.

(٢) دكتور فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ .

(٣) Charles Kent : A History of the Hebrew People p. 25.

الصغيرة والكبيرة ، منعزلين منكمشين ، وفى عالم غير عـالم الناس الذين يعيشون معهم [١] • ثم اتجه الفكر اليهودى الى اعتبار العزلة أسـاس حياة اليهود ، وأدق صـورة للتحريض على العزلة والتمسك بها ، ما ذكره سلامون شختر فى خطابه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا ، حيث قال : إن معنى الاندماج فى الأمم هو فقدان الذاتية ، وهـذا النوع من الاندماج مع ما يترتب عليـه من النتائج ، هو ما أخشـاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات [٢] •

وتسبب عن هـذه العزلة أحـداث بالغة الخطورة ، فقـد نظروا الى سواهم نظرة عـداء وحـذر ، وبالتالى لم يدينوا بولاء الى الوطن الذى يجمعهم بالآخرين ، وإنما اتجهوا بولائهم الى جماعاتهم ، فأصبحت هـذه الجماعة هى وطنهم ، وهى دينهم ، وهى موضـع تقديسهم ، وليس لهم بسواها صـلة أو ارتباط • وقد نتج عن ذلك ما ذكره Charles Kent [1] **بقوله : خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الأمم المعادية التى تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فـكاكا •**

لغـة العبريين :

ونتوقف الآن قليلا عن الاسـتمرار فى وصـف تحركات العبرانيين لنتحـدث عن لغتهم ، وينبغى عند الحـديث عن لغة العبرانيين أن نتذكر أن هؤلاء المهاجرين استغرقوا فى رحلتهم فترة طويلة لم تحـددها المراجع التاريخية ، ولكن لنا أن نتصـور أن رحـلة من أور الكلدانيين الى أرض كنعان ، يمضـيها مهاجرون معهم أنعامهم وأبقارهم ، لابد أن تكون قـد قطعت فى عـدة سنوات ، وبخاصـة إذا لاحظنا أن هؤلاء المهاجرين لم يكن

---

(١) مذكرات وايزمان ص ٣ •
(٢) عبد الرحمن سامى : الصهيونية والماسونية ص ٤٦ •
(1) Ibid. pp. 24-25.

لهم هدف يسعون له ، وإنما كان كل هدفهم أن يهربوا من أعدائهم الذين نفروا من دعوة إبراهيم ، ومن أجل هذا نتصور رهط إبراهيم يحط الرحال من حين الى حين كلما وجد مرعى للماشية أو مستراحاً للرهط ، كما نتصور أن هذا الرهط قد انضمَّ اليه خلال المسيرة أو الإقامة بعض أفراد من سكان المناطق التى يمرُّ بها ، ولهذا اقتبس رهط إبراهيم كلمات كثيرة من الأمم التى اخترقها الرهط المهاجر ، فلما وصلوا الى أرض كنعان كانت اللغة التى يتكلمون بها عبارة عن لهجة آرامية أقرب ما تكون الى العربية ؛ ولكن العبريين كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ونحوهم ومفرداتهم اللغوية وقد اصطلح على تسمية هذه اللهجة العبرية ، ولم يبد للغة الجديدة استقلال إلا حوالى سنة ١٤٠٠ قم ، وأول النصوص المعروفة بهذه اللغة يرجع الى سنة ١٢٠٠ قم وقد ماتت هذه اللغة حوالى سنة ٢٠٠ قم فعمرها لا يزيد عن ألف عام [١] .

ويلاحظ أن اللغة العبرية عندما انقرضت كلغة للتخاطب لدى بنى إسرائيل ، بقيت حيناً يستخدمها الكهنة فى الكتابات الدينية ، أما لغة التخاطب بين الاسرائيليين فقد أصبحت اللغة الآرامية ، التى انتشرت فى العراق وفى سوريا وفلسطين وغيرها . وبعد فترة حلت الآرامية محل العبرية فى الكتابة أيضاً ، ولكن اللغة اليونانية سرعان ما زاحمت الآرامية فى الحديث والكتابة ، وقد كتبت أسفار العهد الجديد باليونانية إلا إنجيل متى فيرجح أنه كتب باللغة الآرامية ثم ترجم لليونانية [٢] .

الهكسوس والعبرانيون بمصر :

فى القرون الأولى للألف الثانية قبل الميلاد زحف الى مصر جماعتان ارتبط تاريخ كل منهما بالأخرى ، وهاتان الجماعتان هما : الهكسوس والعبرانيون . والهكسوس هم الرعاة العماليق ، وهم قوم من الأعراب الذين ذكرهم القرآن الكريم فيما بعد بقوله (الأعراب أشد كفراً

---

(١) دكتور فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ و ١٣ .
(٢) انظر الأسفار المقدسة للدكتور على عبد الواحد ص ١١ — ١٣ .

ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) [١] وعندما ادعوا الإيمان صاح فيهم القرآن الكريم • (قالت الأعراب آمنا • قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا • ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) [٢] وقد اجتاح هؤلاء الرعاة أرض مصر بسبب القحط فى الجزيرة العربية • وكان ذلك وقت انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية ، واستطاع الهكسوس أن يسقطوا هذه الأسرة ، وأن يستولوا على السلطة فى شرق الدلتا ، وكونوا أربع أسر هى الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة •

وكان ينسب الى أحمس أنه هو الذى طردهم • ولكن لوحاً أثرياً كشف سنة ١٩٥٤ يسمى « لوح كامس » وقد أبرز هذا اللوح قصة الصراع الطويل الذى خاضه المصريون ضد الهكسوس • ووضح أن هذا الصراع ينقسم فترتين :

الأولى : هى حرب التحرير التى قام بها البطل المصرى (سْقَنَنْ رع) الذى قاد معركة التحرير فى بدايتها ومات فى هذه المعركة ، وقد سَجَّلَتْ آثارُ الطعنات على موميائه أوسمة لشرف الجهاد فى سبيل الوطن الذى آمن به كأصدق ما يكون الإيمان فى نفوس الأبطال •• فضحى بنفسه راضياً على هيكل الوطن المقدس ، وخلفه ابنه الأكبر البطل (كامس) فى قيادة حرب التحرير بشجاعة وبسالة •• إتماماً للرسالة الوطنية السامية ، وحقق النصر على أعدائه وضرب على أيدى الغزاة ومثيرى الفتن ، ولكن الموت لم يمهله أكثر من ثلاث سنوات •

والفترة الثانية من حرب التحرير كانت بقيادة الشقيق الأصغر لكامس ، وهو القائد العظيم (أحمس) •• الذى رأى فيه الأعداء شاباً لا يتجاوز الثامنة عشر •• فاستخفوا به وأرادوا أن يستردوا سيطرتهم وقوتهم •• فأعادوا بناء عاصمتهم (حت وعرت) وهى (أواريس)

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٧ •

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ •

التى أطلق عليها اليونان سم (تانيس) ، ثم أطلق عليها العرب اســم (صــان الحجر) وهى غربية من مدينة الزقازيق الحالية ، إلا أن الشاب عزر أن ينتقم للوطن •• وقــد تصــدى لهم فى إصرار •• حتى طردهم خارج حــدود مصر وحقق النصر لبلاده على الغزاة المعتدين ••

والفترة الثانية من هذا الكفاح الوطنى معروفة فى الوثائق التاريخية ، أما الفترة الأولى فكانت معلوماتنا عنها بسيطة وغامضــة ، حتى اكتشف لوح (كامس) عام ١٩٥٤ •• ولذلك فإن هــذا اللوح يعتبر وثيقة تاريخية لحرب التحرير والتخلص من المستعمرين فى عصر القائد البطل (كامس) ، وقــد قال عنه (السير ألان جاردينر) إنه أهم مستند تاريخى فى القرن العشرين •

ونعتبره كذلك قطعة أدبية معاصرة رائعة •• فإن الأســاتذة كانوا يوجهون طلبة العــلم بالمدارس فى العصور الفرعونية المختلفة الى مطالعة نصــوص هــذا اللوح لما يحويه من نصوص أدبية رائعــة تخلّد أعمال الأبطال ، وبذلك يبثون الروح القومية فى نفوس الشبان من أبناء البلاد ، ومما زاد فى أهمية هــذا اللوح • أنه اللوح الكامل الوحيد الذى كتب بأمر الملك (كامس) وذكر وقائع انتصــار القائد المصرى البطل على الهكسوس أعــدائه وأعداء بلاده ، إذ أن جميع ما وصــلنا من قبل كان يتحــدث عن عهــد أخيــه أحمس •

أما من الناحية التاريخية •• فإن هــذا الكشف يؤكد لنا أن (كامس) كان أول قائد مصرى هزم الهكسوس فى حرب التحرير •• كما أنه شرح لنــا التكتيك الحربى الذى اتبعه القائد المصرى العظيم فى محاربة العــدو المستمر •• حتى كشف مؤخرة جيشه البرّى ، ومن ثمّ استطاع أن يبدأ هجومه بتطويق العــدو برا وبحرا فأوقع به الهزيمة ، ثم هــدم عاصمة العــدو (حت وعرت) (اواريس) •• مما أثر فى العــدو تأثيرا قويا بعــد أن تحطم كيانه المعنوى لما لحقه من خوف وهلع ، فلم يصــمد أمام

عجماته المظفرة ، واستسلمت فرقة خيالة العــدو التى كان يتفوق بهــا على الجيش المصرى •• ثم يصــف النص هــذا التأثير وصــفا رائعــا يبرز انهيار قوى العدو ، ويبيّن كيف ارتفعت القــوى المعنويه للجيش المصرى •

ويشير النص المدون على لوح (كامس) الى تنظيم قوة الأسطول الحربى المصرى فى النيل ، الذى كان أساس خطــة التكتيك الحربى التى وضــعها القائد المصرى للقضــاء على جيش العدو ، وقد تولى (كامس) قيادة الجيش بنفســه ، وكان دائماً فى المقدمة •• باعتباره قائد الجيش الأعلى •• مدفوعاً بقوة إيمانه وثقته بجيشه •• واعتداده بنفسه ، وحبه لبلاده ، وتفانيه فى سبيل كرامتها وعزتها •• فاستولى على تموين الأعداء الذى كان يصــل اليهم من طريق النيل وبه كمية كبيرة من العتاد الحربى فحارب أعداءه بأسلحتهم •• حتى كتب له النصر عليهم ، ومما ساعده على الانتصــار أنه أحبط مؤامرات العــدو الذى كان يتبع أسلوباً ملتوياً فى بث الفرقة بين أهل البلاد بالغــدر والخيانة والقرصنة ليتمكن من استعمار البلاد واستغلال أهلها •• إلا أن هــذه الحرب نبهت المصريين ليقفوا يداً واحــدة متيقظين أمــام كل المؤامرات التى يحاول العــدو المستعمر القيام بهــا • ولذلك لم يهمل القائد المصرى اليقظ الاحتياط لما قد يلجأ إليه عــدوه من حيل ، فاكتشف تلك المؤامرة التى دبرها الهكسوس لإشعال نار الفتنة فى جنوب الوادى •• كى ينضم أمير كوش الى حكام الهكسوس ، فيقع القائد المصرى وجيشه الباسل بين فكى الكماشة ، ولكن القائد المصرى قضى على هــذه المؤامرة بصرامة •

وقد ظل الهكسوس بمصر فترة زمنية يختلف فيها المؤرخون ، ويرجح الدكتور باهور لبيب أن مدة الهكسوس بمصر كانت من ســنة ١٧٣٠ الى سنة ١٥٨٠ ق • م وكان هؤلاء يتعاونون من الغرباء ضد المواطنين [١] •

---

(١) من بحث الدكتور المهندس محمد حماد ، بتصرف .

عودة الى الحـــديث عن تحركات العبرانيين :

وفى أثناء عهد الهكسوس بمصر أصاب القحط أرض كنعان ، فاستأنف العبرانيون تحركاتهم تجاه مصر ، وهذا يدلنا على أن أرض كنعان لم تكن هـــدف العبرانيين . وإنما كانت بالنسبة لهم بقاعاً ككل البقاع . ولذلك نجـــد إبراهيم وقومه يتركونها ويواصلون تجوالهم فيصـــلون الى مصر حيث وفرة الزرع وخصب الأرض ، وقـــد كان وجـــود الهكسوس بمصر فرصـــة للعبرانيين ؛ لأن الهكسوس — كما قلنـــا من قبل — كانوا يميلون للتعاون مع الأجانب ضـــد المواطنين شأن كل المستعمرين فى كل زمـــان ومكان . ولذلك لقى إبراهيم من الهكسوس كثيراً من الترحيب والتقدير ، وبقى إبراهيم فترة فى مصر ، فاضت عليه خـــلالها نِعَمُ فرعون ، فنمت ثروته وتضاعفت ماشيته . ولكن ملك الهكسوس طمع فى سارة زوجة ابراهيم — كما سنذكر فيما بعـــد — فلم يدع هـــذا لإبراهيم وذويه فرصة ليطول مقامهم فى مصر ، ولم يستطع إبراهيم وقومه أن يواصـــلوا سيرهم الى جنـــوب مصر خـــوفاً من الفراعنة المصريين الذين كانوا يأخـــذون على العبرانيين تعاونهم مع الهكســـوس ، فقفـــل إبراهيم راجعـــا الى أرض كنعـــان ومعـــه ثراؤه الذى تضـــاعف وكذلك « هاجر » وهى جارية مصرية أهـــديت لســـارة زوجة إبراهيم ، وقـــد دخـــل إبراهيم بهاجر بناء على طلب سارة (Sara) وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل الذى نشـــأ فى مـــكة [١] ، وصـــاهر إسماعيل جُرهم سادة مكة ، ومن نسله جاء العرب الذين يعرفون بالعرب المستعربة ، وهم الذين حملوا لواء الإسلام فيما بعد واقتحموا أرض الرومان واستعادوا فلسطين وما حولها منهم ، محققين وعـــد الله لإبراهيم أن يجعل هـــذه الأرض لنسله من نهر مصر الى النهـــر الكبير نهر الفرات [٢] ، كما اقتحموا بلاد فارس وما بعـــدها الى الهنـــد

---

(١) انظر تاريخه « فى موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية » للمؤلف ج ١ ص ٨٨ من الطبعة الحادية عشرة .

(٢) تكوين الاصحاح الخامس عشر ، الفقرات ١٨ — ٢٠ ، وهـــذا هو رأى المسلمين فى تفسير هـــذه الفقرات وهو الرأى والصواب ؛ والفتح الاسلامى

وما وراء النهر ، وسارت ألويتهم منتصرة تنشر الإسلام فى مختلف النواحى والأصقاع . وهذا يتمشى مع قوله تعالى « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا » [١] .

وبعد مولد إسماعيل بحوالى أربع عشرة سنة ولَدَتْ سارة لإبراهيم ابنه الثانى إسحق ، ثم توفى إبراهيم وترك ابنه الأكبر إسماعيل الذى استوطن الحجاز ، وابنه الأصغر إسحق بأرض كنعان ، وأنجب إسحق ولدين هما عيسُو ويعقوب المسمى إسرائيل وإليه ينسب بنو إسرائيل ، وسنتكلم عن يعقوب فيما بعد عند الكلام عن أنبياء بنى إسرائيل ، ولكننا هنا ندون عنه ما يتصل بالسير التاريخى لبنى إسرائيل ، فنذكر أنه تزوج بنتى خاله وهما ليئة وراحيل وتزوج أيضا من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل ، وأعقب منهن اثنى عشر ابناً ، هم :

من ليئة : روبين — شمعون — لاوى (من نسله موسى) — يهوذا (من اسمه أخذت كلمة يهود) — يسَّاكر — زبولون .

من راحيل : يوسف — بَنْيامين .

من زلفة : جاد — أشير .

من بلهة : دان — نفتالى .

وكان يعقوب يمنح مزيداً من العطف والحب ليوسف وبنيامين ابنيه من راحيل الحظية عنده ، فنفِسَ عليهما إخوتهما ، ودبروا المؤامرات ضدَّ يوسف أكبر الاثنين وأحبهما عند يعقوب ، فاستأذنوا أباهم ليصحبوا يوسف معهم وهم يرعون أغنامهم ، فقبل يعقوب بعد تردد ، وهناك ألقوا

=

بهذا الوضع كان انقاذا لشعوب المنطقة من الاستعمار وظلمه وعدوانه ، أما اليهود فيفسرون هذه الفقرات بالقضاء على الشعوب الأصلية واحلال اليهود محلهم ، وحاشا لاله ان يكون هكذا قضاؤه فهو قضاء ظالم .

(١) سورة آل عمران الآية ٦٨ .

يوسف فى بئر عميقة وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، وقد لوثوا قميص يوسف بدم كذب ، وقالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، ثم مرت بالبئر قافلة أرسلت واردها ليأتى بالماء من البئر ، فتعلق يوسف بالدلو ، وفرحت به القافلة ، وبيع يوسف لرئيس الشرطة فى مصر ، ثم زُجَّ به فى السجن نتيجة اتهامه كذبا بمحاولة الاعتداء على شرف زوجة سيده ، وفى السجن تعرَّف على رئيس سقاة فرعون ، وبواسطته أفرج فرعون عن يوسف بعد حين ، واستخلصه لنفسه ، وفرعون هذا هو « فوتى فارع » أو « فوطيفار » فيما تذكره التوراة ، وهو من ملوك الأسرة السادسة عشرة فى القرن السابع عشر ق م •

وأصبح يوسف مديراً لخزائن الطعام بمصر ، وهو منصب يماثل منصب وزير التموين فى العهد الحاضر ، وقد هيأ هذا المنصب السبيل ليعقوب وأولاده أن يرحلوا الى مصر فراراً من الجوع الذى عم بلادهم مثلما حدث لإبراهيم من قبل [1] وكان السلطان بهذه المناطق لا يزال فى أيدى الرعاة العماليق (الهكسوس) الذين كثيراً ما خلت تصرفاتهم من الولاء لمصر وشعبها، إذ كانوا — كما قلنا — غاصبين للسلطة فيها ، وكانت حركات المواطنين لا تفتأ تعمل للإيقاع بهم ، ثم كان من تخبُّط العماليق أن يتعاونوا مع غير المصريين ، ويبدو ذلك مما ذكرته التوراة من أن فرعون الهكسوسى أغرى إخوة يوسف أن يَحضروا لمصر ووعدهم بالغنى والثراء قائلا لهم : خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلىّ فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض ، خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا ؛ ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم [2] • وسنرى أنهم استجابوا لهذه الدعوة السخية •

اسرائيل وبنوه فى مصر :

ومرت بمصر سنون من الرخاء ، فاض خلالها الخير ، وادُّخِر الكثير

---

(١) اقرأ الجزء رقم ٣٣ من « المكتبة الإسلامية لكل الأعمار » وهو عن قصة يوسف عليه السلام .

(٢) سفر التكوين الاصحاح ٤٥ : ١٧ — ٢٠ •

منه ، ثم جاءت سنون أخرى من الجدب والقحط ، فهرع الناس الى خزائن الملك يطلبون عونه ، ويسألونه القوت ، وأخذ يوسف يمنحهم القوت نظير ما يملكون من فضة وذهب وماشية وأطيان ، بل اشتراهم أيضاً وجعلهم عبيداً لفرعون من أجل الطعام [١] ، وامتدت المجاعة الى الممالك المحيطة بمصر ، وكان وقعها شديداً على العبرانيين ، فدفع يعقوب أبناءه ليطلبوا الميرة من مصر ، وهناك عرفهم يوسف ، ولكنهم لم يعرفوه ، وجرت بينه وبينهم أحداث انتهت بأن جلىّ يوسف لهم الأمر ، وأعلن لهم أنه أخوهم ، وطلب إليهم أن يحضروا أباه وأهلهم أجمعين (كانت أمه قد ماتت وهو صغير) وبدأت بذلك الجولة الثانية لبنى إسرائيل بمصر .

ويلاحظ على بنى إسرائيل بمصر ما لاحظناه من قبل على أجدادهم بأرض كنعان ، وهو الانعزالية التامة ، وعدم التعاون مع من يحيط بهم ، وعدم الاختلاط بأصحاب الأرض الأصليين ، فقد طلبوا من فرعون أن يُسكِنَهم فى أرض جاسان (منطقة صفط الحنة بالشرقية) فاستجاب لهم فرعون وقال ليوسف : أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ، ليسكنوا فى أرض جاسان ...... فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر فى أفضل الأرض . وعال يوسف أباه وإخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب عدد الأولاد [٢] . وكان تعداد بيت يعقوب آنذاك سبعين نسمة [٣] .

وتكاثر بنو إسرائيل بمصر تكاثراً واسعاً جداً وسريعا جداً ، فلقد أحصاهم موسى عند خروجهم من مصر كما تقول التوراة [٤] ، فوجد حملة السلاح منهم أى الذكور ابتداء من سن العشرين ، يبلغون ٦٠٣٫٥٠٠ وهذا العددمبالغ فيه جداً ، ولكن عددهم زاد على كل حال زيادة هائلة ،

---

(١) انظر « الاقتصاد فى الفكر الاسلامى » للمؤلف ص ١٧٧ واقرأ سفر التكوين الاصحاح ٤٢ : ٥ و ١١ — ١٢ .

(٢) تكوين ٤٢ فقرة رقم ٥ ثم ١١ — ١٢ .

(٣) تكوين ٢٦ : ٢٧ .

(٤) سفر العدد الاصحاح الأول .

وكانوا لا يزالون فى عزلتهم ، ولكن العزلة آنذاك أصبحت تستلفت نظر المصريين وتثير خوفهم ، فهى لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال والنساء، ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة ، فغدوا يكونون دولة داخل الدولة كما يقال فى الاصطلاح الحديث ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد نجح أمراء طيبة المصريون فى التغلب على الرعاة العماليق ، وطردهم أحمس خارج البلاد وأقام حكما وطنيا قويا فى مصر كلها ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة ، ولم يتعرض أحمس لبنى إسرائيل بسوء ، لأنه فيما يبدو كان مشغولا بالعدو الأكبر ، فلما قامت الأسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثانى الفاتح العظيم ظهر الشعور العدائى ضد بنى إسرائيل ، ونقم الحكم الوطنى عليهم ، لأنهم نالوا أطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم ، ثم إن الحكم الجديد كان يخشى أن يتآمر بنو إسرائيل ضده فى محاولة للانتكاس ، بل يرى بعض الباحثين أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بنى إسرائيل كانوا يتآمرون عليه [1] . وقد وصل التآمر الى عمل ضد سلامة الدولة ، فقد ذكر شاروبيم فى كتابه « الكافى » [2] أن الإسرائيليين ثاروا ثورة عاتية ضد منفتاح فزحف عليهم ..... وقرئت على عمارة فى طيبة أنشاها منفتاح الأول أنشودة له ذكر فيها تنكيله ببنى إسرائيل بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصرى .

ويعلل الباحثون هذه الثورات بأنها كانت نتيجة للوضع الجديد فى مصر ، فإن بنى إسرائيل تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف ، ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم [3] ، ثم جاء من الفراعنة من طلب من بنى إسرائيل أن يحرثوا الأرض كغيرهم من المصريين المنتجين ، وأن يشتركوا فى تشييد المبانى وإقامة العمران ، لا أن يختصوا بصياغة الذهب

---

(١) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٢٨٣ .
(٢) ص ٩٠ وما بعدها نقلا عن « تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم » ص ٨٠ — ٨١ .
(3) E. H. Weach : Civilization of the Near East p. 83.

والفضــة وتجارتهما ، وبتنمية المواشى بواسطة الرعى دون جهــد . فثار بنو إسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحــكم الجــديد ، وربما يكون من الاستطراد أن نذكر أن بنى إسرائيل كانوا يحرصون على حياة الامتياز والكسب السهل على مر التاريخ وفى مختلف البــلاد ، وأنهم ثاروا هنــا وهناك عند ما خافوا أن تضيع منهم هذه الامتيازات [1] .

وهناك سبب آخر نضــيفه لأسباب الخلاف بين فراعين مصر وبين بنى إسرائيل ، ذلك هو الاضطراب الصــحى الذى نتج عن التزايد المطرد فى تعــداد بنى إسرائيل ؛ فإن حياة الغنى كان ينعــم بهــا ســادتهم . أما الأكثرية العظمى فكانت تعيش فى فقر مدقع ، وكانت القــذارة تنتشر بينهم بشــكل واضــح ، فظهرت بينهم الأمراض ، وأصبحوا مصــدر قلق فرعون وشعب مصر [2] .

ويقول العــالم المؤرخ الدكتور أحمد بدوى يصف عــلاقة المصريين ببنى إسرائيل [3] :

« من الثابت فى تاريخ مصر — بناء على ما جاء فى كتب السماء من ناحية وما شهدت به آثار الفراعنة من ناحية أخرى — أن « العبرانيين » قــد عرفوا مصر منذ أيام الدولة الوسطى على الأقل ، كانوا يجيئونها أول الأمر لاجئين يطلبون الرزق فى أرضــها ، ويلتمسون فيها وســائل العيش الناعم والحياة السهلة الرضــية بين أهــلها الكرام ، ثم يجيئونها أسارى فى ركاب فرعون كلما عاد من حروبه فى أقاليم الشرق ظافراً منصــوراً ، فينزلهم حول دور العبادة يخدمون فى أعمال البناء [4] ، ويعبدون أربابهم

---

(١) انظر الصهيونية فى المجال الدولى للدكتور محمد عبد المعز نصر ص ٤٩ — ٥٠ وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ص ٢٢ .

(٢) سليمان مظهر : قصــة العقائد ص ٢٨٦ .

(٣) فى موكب الشمس ج ٢ ص ٥٨٨ واقرأ كذلك ص ٨٨٧ — ٨٨٨ .

(٤) جاء فى الاصحاح الأول من سفر الخروج أنهم بنوا لفرعون مخــازن مدينتى « فيثوم » و « عميس » .

أحرارا لم يكرهم أحـد على قبول مذهب ، أو اعتناق دين ، وتطيب لهم الإقامة فى مصر ، وتستقيم لهم فيها أمور الحياة ، ثم تنزل بالمصريين بعض الشدائد ، وتحل بديارهم بعض المحن والنوائب ، فيتنكر لهم بنو إسرائيل ويتربصون بهم الدوائر ، ويعملون على إفقارهم ، وإضعاف الروح المعنوى بين طبقات الشعب ، ابتغاء السيطرة على وسائل العيش فى هـذا القطر ، ليفرضـوا عليه سلطانهم ، تارة عن طريق الضـغط الاقتصـادى ، وأخرى عن طريق الدين والعقيدة [١] .

« وهكذا تنكر بنـو إسرائيل لسادتهم المصريين ، فخانوا عهـدهم واستنزفوا أموالهم ، ورموهم بكل فاحش من القول وباطل من الاتهام » .

« وكذلك كان مسلكهم فى كل زمان ومكان ، وتاريخهم يشـهد على ذلك فإنهم ما حـلّوا بأرض إلا وأكثروا فيها الفساد ، وأيقظوا بين أهلها شـياطين الفتنـة » .

وهكذا تأزمت العلاقات بين المصريين وبين بنى إسرائيل ، وأصبحت الكراهية والحـذر طابعها ، واستشار فرعون الكهنة والحـكماء ، وتدارس الجميع الأمر ، وانتهوا فيه الى أن عزلة بنى إسرائيل هى مصدر الخطر ، وأن تكاثر رجالهم يهـدد الدولة ، فاستقر الرأى على التخلص من الأطفال الذكـور واسـتبقاء الإناث ، فإذا تمّ ذلك ، وتزوجت الإسرائيليات من مصريين انتهت العزلة وتم الاندماج وزال الخطر ، وكان موسى عليه السلام من مواليد هـذه الفترة ، ولكن الله أنجـاه من الموت ، وفى القرآن الكريم تصـوير رائع لطفولة موسى ، تعال بنا نقتبس بعض آيات من الذكـر الحـكيم :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضـعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى

---

(١) اقرأ كذلك الاصحاح السابع من سفر الخروج .

اليمّ ، ولا تخاف ، ولا تحزنى ، إنا رادّوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون [١] ..... » .

وقالت امرأة فرعون لفرعون : ألا يحتمل ألاّ يكون الطفل عبرياً ؟ لا تقتلوهّ عسى أن ينفعنا أو نتخـذه ولداً ، واستجاب لها فرعون وتربّى موسى فى رعاية القصر ، ولكنه عند ما شب أدرك أنه من بنى إسرائيل . فقرر أن يكون ظهيراً لهم ، وذات يوم رأى خلافاً يدور بين مصرى وعبرانى ، وتطور الخلاف الى عراك ، فهتف به العبرانى أن يساعده ففعل . وسـقط المصرى قتيلا بضربة من موسى ، وثار المصريون ضـد العبرانيين . ثم اتجهت ثورة المصريين لتصبح ضد موسى عند ما اعترف عليه العبرانى الذى استغاث به بالأمس ، ولم يجـد موسى بدأ من الهرب . واتجه فى هروبه الى الجنوب الشرقى حيث قاده الطريق الى أرض مدين ، مقـر نبى الله شعيب ، وهناك تزوج ابنته وكان صـداقها خدمته لأبيها ثمانى حجج ، وبعـد أن أتم موسى الميقات فكر فى الرجوع الى مصر آملا أن يكون القوم هناك قـد نسوا خطيئته ، فوهب له صهره بعض المال والأغنام ، وسار مع زوجته فى طريق العودة حتى وصل طور سيناء ، وهناك خُيّل له أنه ضل الطريق ، فوقف متردداً ، ولكنه سرعان ما أبصر ناراً تشتعل فى جانب الطور الأيمن ، فقال لأهـله « امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجـد على النار هـدى ، فلما آتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخـلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » [٢] وبدأت بذلك رسـالة موسى .

ويعطينا المؤلف اليهودى جوزيف المتوفى سـنة ١٠٠ م معلومات عن موسى لم ترد فى التوراة ، فهو يقرر أن موسى كان قائداً بالجيش المصرى

---

(١) سورة القصص الآيتان ٧ — ٨ .
(٢) سورة طـه الآيات ١٠ — ١٤ .

خـلال الحملة المصرية على الحبشة ، وقـد تزوج موسى من أميرة حبشية فى هـذه الأثناء [١] وعرض موسى رسالته فلم يعترف فرعون برسالته ، ولم يعترف بما جاء به من معجزات ، وظل فرعون يعامل بنى إسرائيل بما كان يعاملهم به من القسوة والحـذر ، وهتف بنو إسرائيل بموسى « أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا » [٢] واتجه موسى يطلب من فرعون أن يطلق معـه شعبه « بنى إسرائيل » ليعبدوا إلهم « يهوه » فى البرية ، ولم يستجب فرعون لهـذا الطلب أيضـا ، إذ رأى من الخسارة أن يعفيهم من أعمالهم التى وكلتها لهم ، ثم من الخطر أن يطلقهم فقد يلتقون بأعداء المصريين بالشمال ويتفقون معهم على ما يؤذى المصريين • ولهذا دبر موسى أن يخرج بهم سراً •

وهناك اتجاه آخر هو أن فرعون أذن لموسى فى الخروج ببنى إسرائيل ، بيد أن نساء بنى إسرائيل استجبن لإلههم الذى تروى التوراة قوله لهم : حينما تمضـون إنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتهـا أمتعة فضـة ، وأمتعة ذهب ، وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين [٣] • وخرج بنو إسرائيل بما سلبوه من المصريين •

وسواء كان خروج بنى إسرائيل سراً ، أو كان بموافقة فرعون ولكن نساء بنى إسرائيل سلبن ثروات المصريات ، فقد كان على فرعون أن يلحق بهم وأن يمنعهم من مواصـلة السفر ، وتبعهم فرعون ومعـه فريق من جنـده ، فلحق بهم وقـد بلغوا شاطىء خليج السـويس « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معى ربى سيهدين ، فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود

---

(١) نقلا من God and Man in Early Israel by J. Smith p. 38.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٩ •
(٣) سفر الخروج ٣ : ٢١ — ٢٢ وخروج ١٢ : ٣٥ — ٣٦ •

العظيم، وأزلفنا ثَمَّ الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معـه أجمعين ، ثم أغرقنا لآخرين » [١] ويعلق أكثر المفسرين على الآية الأخيرة بأن إغراق فرعون على هـذا النحـو كان لقوله فيما حـكاه عنـه القرآن الكريم : « يا أيهـا الملأ ما علمت لـكم من إلـه غـيرى » [٢] • وقوله لموسى : « لئن اتخـذت إلهـاً غيرى لأجعلنك من المسجونين [٣] » وقوله « فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعـلى » ولذلك جاء بعـد هـذه الآية قوله تعالى « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى [٤] » وهذا التعليل هـو الذى تذكره الآية الكريمة « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين [٥] » •

وفرعون الاضطهاد هو رمسيس الثـانى (١٣٠١ — ١٢٣٤ ق‌م) • وفرعون الخروج هو منفتاح الذى خلف أباه رمسيس الثانى ، وكان خروج بنى إسرائيل من مصر حوالى سنة ١٢١٣ ق•م • وقـد جاء فى لوح عثر عليه فى طيبة أن منفتاح أباد بنى إسرائيل واستأصلهم [٦] •

وبعض المراجع القديمة والحديثة تثير الشـك حول نزوح يعقوب وأبنائه الى مصر ، وتبعاً لذلك حول خروج بنى إسرائيل منها [٧] ، ولكن

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٦١ — ٦٦ •

(٢) سورة القصص الآية ٣٨ •

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٩ •

(٤) سورة النازعات الآيات ٢٣ — ٢٦ •

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٦ •

وقصـة خروج بنى اسرائيل على هـذا النحو وردت فى التوراة كذلك على نفس الصـورة التى وردت فى القرآن (سفر الخروج الاصحاح الرابع عشر) • ومنهج الدراسات الدينية يعترف بالمعجـزات ويراها من طبيعة الرسـالات ، أما منهج الدراسـات التاريخية الذى يعنى بالأسباب والمسببات ، فيلجأ أتباعه الى تعليل ما حـدث تعليلا يناسب منهجهم ؛ فهم يرون أن ما حـدث كان نتيجة لهزات أرضية عنيفة وزلزال مصـادف مهـد طريقا لبنى اسرائيل فعبروا خليج العقبة . انظر : God and Man in Early Israel by J. Smith p. 44.

(٦) احمد نجيب هاشم وآخران : مصر فى العصـور القديمـة ص ٩٧ والدكتور احمد بدوى : فى موكب الشمس ج ٢ ص ٨٨٦ •

(٧) اقرأ جوزيف نيوتن والدكتور احمد بدوى والدكتور سليم حسن •

هذه القصة واضحة بالكتب المقدسة وبخاصة فى القرآن الكريم ، مما يزيل هذا الشك ، ثم إن أوراق البردى المحفوظة فى متحف لايد ينطابق غحواها مع ما جاء فى الكتب المقدسة ، حيث تذكر تسخير بنى اسرائيل فى أعمال البناء والطين ، وتؤيد وجود بنى إسرائيل (العبريو) فى مصر فى عهد رمسيس الثانى ، وبالإضافة الى ذلك فإن طروءهم على شرق الأردن وغربه من ناحية حدود مصر ، يؤيد خروجهم منها ، ولا يدع سبيلا الى الشك فى القصة كما أوردناها [١] .

ويقول J. Smith معلقاً على عدم اهتمام الآثار المصرية بحادثة خروج بنى اسرائيل ما يلى : ولا تدعو للدهشة أن الآثار الفرعونية لم تحفل بحادثة خروج بنى اسرائيل من مصر ولم تسجل خطواتها ، فإن فرار مجموعة من العبيد من سادتهم لم يمثل حدثاً يثير الاهتمام الفكرى لدى المصريين ، وبخاصة أن بنى اسرائيل بمصر عاصروا عهوداً حافلة بجلائل الأعمال ، استنفدت ـ فيما يبدو ـ نشاط المثالين ومدونى التاريخ ، وليس بعيداً أن تكشف أعمال التنقيب الجارية الآن ـ فيما تكشف ـ عن بعض الآثار التى تعين على مزيد من الإيضاح [٢] .

وقبل أن نتتبع حركات بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ، ينبغى لنا أن نقف هنا وقفة ندرس فيها الى أى مدى استطاع الدم اليهودى أن يحافظ على نقائه ، وتجمع المراجع التاريخية والأبحاث الأنتروبولوجية (علم أجناس البشر Anthropology) على أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان حداً فاصلا بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم ، يقول غوستاف لوبون [٣] : ولحق ببنى إسرائيل عدد من المصريين الساخطين ، من الأسارى ، ومن العبيد ، ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم بَدَوْا

(١) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم جـ ١ : ص ٨٢ .
(٢) God and Man in Eraly Isrеel p. 35.
(٣) اليهود فى الحضارات الأولى ص ٢٣ .

عشيرة" أى جماعة تبدو كأنها نسل رجل واحـد وإن كانت فى الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع الفرّار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها •

وحدث مثل ذلك الاختلاط عندما هاجرت جماعات اليهود من فلسطين ؛ يقـول Margolis :

وقد تكوّن فى الموطن الشمالى لنهـر الراين أكبر مجموعة يهـودية بأوربا ، إذ وفـد على ذلك المكان جماعة من أسباط العبريين الرحل الذين هجروا فلسـطين إثر إحـدى هزائمهم ، واختلطوا فى الطريق الى أوربا بعناصر سورية وأناضولية ، وحطوا رحالهم بالحوض الشمالى لنهر الراين ، وبمرور الزمن دخل عـدد كبير من سكان هـذه المنطقة ديانة الوافدين العبريين ، وتفرع هؤلاء بعـد فترة من الزمن : فاستوطن بعضهم بولندا ، واستوطن آخرون أوربا ، واتجـه فريق منهم الى روسيا [١] •

ويقول العـلامة « لامبروز » [٢] : إن اليهود المحـدثين هم أدنى الى الجنس الآرى منهم الى الجنس السـامى ، وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية ، وانضم اليها فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صـنوف البشر ، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق ، فمنهم « الفلاشا » سكان الحبشة ، ومنهم الألمان ذوو السحنة الألمانية ، ومنهم « الثامل » أى اليهود السـود فى الهنـد ، ومنهم « الحرز » وينتمون للجنس التركى ، ومن المسـتحيل أن نتصـور أن اليهود ذوى الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو

---

(١) اقرأ عن هـذا الموضوع المراجع التالية :

أ — A History of the Jewish People by Max Margolis and Alexander Marx p. 233 f.

ب — The Outline of History by H. Wells p. 293.

جـ — اليهودية وربيبتها اسرائيل للاستاذ عمر رشدى ص ٣٧ .

(٢) نقلا عن الصهيونية العالمية وارض الميعاد تأليف على امـام عطية ص ١٠٠ .

الكستنائى ، وذوى العيون الصافية اللون الزرقاء ، ممن نلقاهم اليوم فى أوربا الوسطى يمتون بصلة الدم الى إسرائيل أرض الميعاد أو يهود فلسطين القدماء ، الذين يعيشون بجوار نهر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم [1] .

بعد الخروج :

التف بنو إسرائيل حول موسى وهم بمصر ، لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد المصريين ، ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على موسى ، وقد سبق أن قلنا إن بنى إسرائيل ثاروا على الحكم الوطنى بمصر لما أحسوا أنهم فقدوا امتيازاتهم التى كانوا ينعمون بها خلال عهد العماليق ، وقد كرر بنو إسرائيل موقفهم هذا ضد موسى نفسه لما أفقدهم حياة الرخاء بمصر وجاء بهم الى البرية ، التى فقدوا بها ما كانوا ينعمون به فى مصر من خيرات ، فالحرية عندهم لم يكن لها جزاء ، ولهذا صاحوا به وبأخيه هاورن فيما ترويه التوراة :

— ليتنا متنا فى مصر إذ كنا جاسلين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فإنكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع [2] .

— وفى بعض أماكن البرية لم يجدوا ماء ، فخاصم الشعب موسى وتذمروا عليه ، وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش [3] .

---

(١) لا يتنافى هذا مع الانعزالية التى ذكرنا انها كانت طابع اليهود ، فاليهود فتحوا صفوفهم لهؤلاء الفرار وكون اليهود والمتهودون جماعة ظلت منعزلة عن سواها من الجماعات فكريا واجتماعيا ، فهم لا يلتقون بالناس فى ميولهم ، ولكن يمكن ان يفتحوا صفوفهم للآخرين ، لمزيد من القوة ولجذب عدد ينماع فيهم .

(٢) سفر الخروج ١٦ : ٢ — ٣ .

(٣) سفر الخروج : ١٧ : ٣ .

وفى الطريق الى فلسطين ترك موسى بنى إسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد الى جبل الطور ويمكث ثلاثين ليلة صائماً ليتلقى من الله الوصايا والتعليمات التى يسير عليها هو وشعبه ، وطالت هذه الليالى فبلغت أربعين ، لأن موسى استاك فى آخرها فكلفه الله أن يزيدها عشرا ، وهنا يتناسى بنو إسرائيل كل معجزات موسى ويعودون الى طبيعتهم الوثنية الشريرة الآثمة ، تقول التوراة :

ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى ، الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب وأتوا بها الى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا ... فقال الرب لموسى اذهب لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا [1] .

ونزل موسى من الجبل وغضب غضباً شديداً على قومه لعودتهم للوثنية وعبادة العجل ، وكان عقابهم أن تسلط بعضهم على بعض فى معارك طويلة سقط فيها عدة الآف .

ويدأ موسى يسير بقومه تجاه فلسطين ، ولكن فلسطين كانت عامرة بالسكان الذين سبق أن تحدثنا عنهم ، وكان قد شاع بين الناس غدر بنى إسرائيل وتآمرهم ضد البلاد التى ينزلونها ، فلم تعد فلسطين مفتوحة لهم كما كانت من قبل ، بل وقف أهلها فى وجه بنى إسرائيل يردونهم عنها ، وهكذا أصبحت محاولة دخولها معناها الحرب بين بنى

---

(١) خروج ٣٢ : ١ — ٨ والقرآن الكريم ينسب هذا التصرف للسامرى (سورة طه الآيات ٨٧ — ٩٦) .

إسرائيل وبين هؤلاء السكان ، وكان بنو إسرائيل يخافون الحرب ، فقد تمكنت منهم الذلة والصغار ، فصاحوا بموسى « إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » وبذلت محاولات لإغرائهم بالدخول ووعود بالنصر ، ولكنهم أصروا على موقفهم « قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » • ولم يستجب لموسى أحد سوى أخيه هارون ، فشكا موسى الى ربه قائلا : « رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » فنزل عليهم حكم الله « إنها محرمة عليهم ، أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين » [1] •

ويقرر أكثر الباحثين [2] أن التيه هو الذى حدد بأربعين سنة وليس التحريم ، فالتحريم مطلق أبدى ، أى لن يكون لهم بها استقرار ، ومن أجل هذا يُوقَف فى القراءة بعد قوله تعالى « محرمة عليهم » •

ومات هارون ثم موسى فى فترة التيه ، ودفن هارون فى جبل هور ، ودفن موسى فى كثيب أحمر حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها •

وتولى يوشع بن نون قيادة بنى إسرائيل بعد موسى ، وكان يوشع أحد أصفياء موسى ، وقد اختاره موسى قبل موته لقيادة بنى إسرائيل [3] ، فاتجه يوشع بأتباعه الى الشمال ، شرقى نهر الأردن ، ثم بدأ يوشع يعد العدة لعبور الأردن ونزل فلسطين ، فلما عبر بنو إسرائيل كانت أول المدن التى استولوا عليها مدينة أريحا ، وقد أرسل يوشع رسولين للتجسس ، فدخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب كما تقول التوراة [4] وخبأتهما المرأة عندما شاع أمرهما ، وبعد بضعة أيام

---

(١) سورة المائدة الآيات ٢٢ — ٢٦ •
(٢) انظر قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار ص ٢٧٢ •
(٣) سفر العدد ٢٧ : ١٥ — ٢٠ و
J. Smith : God and Man in Early Israel p. 52.
(٤) سفر يشوع (هو يوشع بن نون) ٢ : ٢ •

اقتحم بنو إسرائيل مدينة أريحا وقتلوا كل ما بها من إنسان أو حيوان ، وحرقوا المدينة كلها ، ولم ينج من الموت من سكان المدينة إلا المرأة الزانية وأهلها [١] . وكان ذلك أول العهد ببنى إسرائيل فى فلسطين ، وامتد سلطان يوشع عقب ذلك ، ويذكر Smith [٢] أن الذين عاصروا موسى من بنى إسرائيل قد هلكوا جميعاً فى الصحراء ولم يدخل منهم فلسطين إلا اثنان كان يوشع واحداً منهما . أما باقى الجيش الذى اقتحم فلسطين فكان من الأبناء الذين ولدوا فى فترة التيه . ويصف ول ديورانت [٣] أحداث هذه الفترة أدق وصف ، استمع اليه يقول :

كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلا واضحا لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين ، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم ، وسبوا من بقى من نسائهم ، وجرت دماء القتلى أنهاراً ، وكان هذا القتل — كما تقول نصوص الكتاب المقدس — فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى وزكاة للرب ، ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثنى عشر ألفا وأحرقوا وصلبوا حاكمها [٤] ، ولسنا نعرف فى تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف فى القتل والاستمتاع به ، وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والأناة ، أما يوشع فلم يكن إلا جنديا فظا ، وقد حكم موسى حكما سليما لم تسفك فيه دماء ، أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذى يقول إن أكثر الناس قتلا هو الذى يبقى حيا ، وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة .

ويعلق J.W.D. Smith [٥] على احتلال بنى إسرائيل لفلسطين

---

(١) اقرأ سفر يشوع وبخاصة الاصحاح السادس .

(٢) God and Man in Early Israel p. 52.

(٣) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٦ — ٣٢٢ .

(٤) اقتبس ول ديورانت هذا الرقم من سفر يشوع الاصحاح الثامن .

(٥) God and Man in Early Israel p. 54.

بقوله : إن هـذا الحادث كان عملية انتقال فى تاريخ بني إسرائيل ، لأنه كوّن أمـة من أشتات من العبيد .

وقـد قسم يوشع الأرض التى استولى عليها بين الأسباط ، وتركت ست مدن على الشاطىء الأيمن والأيسر للأردن لتكون ملجأ للمشردين من بنى إسرائيل المتهمين بالقتل خطأ .

بنـو إسرائيل فى فلسـطين

وهكذا بدأت قصـة اغتصاب اليهود لفلسطين ، ويمكن أن نقسم حياة بنى إسرائيل بفلسطين أقساما ثلاثة متميزة ، هى :

١ — عهـد القضـاة .
٢ — عهـد الملوك .
٣ — عهـد الانقسام فزوال ملك بنى إسرائيل من فلسطين .

وسنتكلم عن كل قسم من هـذه الأقسام على حدة بإيجاز :

١ — عهـد القضـاة :

لم يفتح العبرانيون فى أرض الميعاد إلا منطقة التلول الداخلية ، ولم يزيدوا عليها شيئاً ، أما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصـمد لهجـوم العبرانيين ، وظل أسباط إبراهيم أجيالا عـديدة شعباً مغموراً يعيش فى منطقة التلال الخلفية مشغولا بمناوشـات لا نهاية لهـا مع الفلسطينيين وسواهم من القبائل النازلة حولهم وبخاصـة المؤابيون وأهل مدين [١] ، وسفر القضـاة سجل يسطر كفاحهم وما أصابهم من نكبات إبان تلك الفترة ، وهو فى الغالب سجل للنكبات والإخفاقات التى دونت بصراحة [٢] .

---

(١) سفر يشوع الاصحاح الثالث عشر .
(٢) Wells : A Short History of the World p. 92.
وانظر كذلك الاصحاح الثانى والثالث من سفر القضاة .

وكان حكام اليهود فى هـذه الفترة قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب ، وكان بعض القضـاة نساء أحيانا ، ويتكلم سفر القضـاء عن دبورة قاضـية اسرائيل [١] ، ولم يـكن فى بنى اسرائيل مـلوك فى تلك الأيام ، ولا كانت إطاعة القضاة واجبة ، وقد تسبب عن ذلك — بالإضافة الى تقسيم الأرض المفتوحة بين الأسباط — أنه لم تتألف من بنى إسرائيل أمة موحـدة متماسكة ، بل ظلوا زمناً طويلا يؤلفون اثنى عشر سبطاً ، يستقل كل منها عن الأسباط الأخرى استقلالا واسعاً أو ضـيقاً ، وكان نظام الحـكم عندهم لا يقوم على أساس الدولة بل على أساس الحـكم الأبوى فى الأسرة ، فكان شيوخ العشائر يجتمعون فى مجلس من الكبراء هو الحـكَم الفصل فى شئون القبيلة ، وهو الذى يتعاون مع زعمـاء القبائل الأخـرى اذا ألجأتهم الى هـذا التعاون الظروف القاهرة التى لا مفر من التعاون فيها [٢] ، فاذا فشل التقاضى أمام هؤلاء لجأ المتقاضون الى القاضى الذى كان يمثل الرئيس فى الجماعات اليهودية • وقد استمر عهـد القضـاة حوالى أربعة قرون بناء على حساب سفر القضاة ، ولكن المحقق محمد عزة دروزة يقرر أن عهـدهم لا يزيد عن قرن واحـد ، فإن موسى خرج ببنى إسرائيل حوالى سنة ١٢١٠ ق م وتزعمهم هـو ويوشـع حوالى ثمانين عاما أى حتى سنة ١١٣٠ ق م وهى السنة التى مات بهـا يوشع ، وبدأ بذلك عهـد القضاة الذى استمر حتى سـنة ١١٣٠ قم ، ويرى هـذا المحقق أن رقم التوراة من مبالغات السِّفْر ، شأنه شأن الأسفار الأخرى فى موضوع الأرقام [٣] •

وفى هـذا العهد وُضِعَ الأساس للحياة اليهودية وللفكر اليهودى ، وقـد اشترك فى وضـع هـذا الأساس العناصر الداخلية اليهودية ، كما اشتركت فيه العناصر الخارجية والتأثيرات التى حملها اليهود معهم ، أو انفعلوا بهـا حين نزلوا بفلسطين ، وعلى هـذا بدأت حياتهم تتغير خلال

(١) الاصحاح الرابع من سفر القضاة •
(٢) ول ديورانت : قصـة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٩ •
(٣) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم جـ ١ ص ١٤٨ بتصرف •

عهـد القضـاة رويداً رويداً ، فبدءوا ينتقلون من حيـاة البدو الى حياة الاستقرار ، ومن حياة الخيام الى القرى الساذجة ، كما بدءوا يعرفون الزراعة بجانب الرعى الذى كان كل عملهم ، ومصـدر ثرائهم الوحيد ، وكان الكنعانيون أساتذة لهم فى الاستقرار وبناء القرى والزراعة ، وتعلم العبرانيون كذلك من الكنعانيين ومن الدول المجاورة التى اتصـلوا بها عن طريق التجارة ، بعض التقـدم فى الصـناعة ، فأخـذ الحـدادون اليهود عن الكنعانيين تطوير الأسلحة وصـنع آلات الزراعة ، أما عمال الفخار فقد ترقت صناعتهم بما اكتسبوه من خبرة من الكنعانيين (١) .

وبالاضافة الى هذا التأثر فى مطالب الحياة اليومية ، فإن الإسرائيليين تأثروا بالكنعانيين فى عباداتهم تأثراً كبيراً كما سنوضح ذلك عند الحديث عن معتقدات بنى إسرائيل .

٢ ــ عهـد الملوك :

انهار عهـد القضاة أمام مطالب الحيـاة الملحة ، فقـد كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملا هاما فى محاولة جمع الأسباط كلهم فى وحـدة شاملة بعد مانالهم من إخفاق فى عهـد القضاة ، وبعد ما شاع من فسق القضـاة وأخـذهم الرشوة ، ويحكى لنا الإصحاح الثامن من سفر صموئيل الأول قصـة الانتقال من عهـد القضـاة الى عهد الملوك ، وهـاك كلماته :

لـما شاخ صموئيل جعل ابنيه قضـاة لبنى إسرائيل ، ولكنهما لم يسـلكا طريقه ، ومالا وراء المكسب وأخـذا الرشوة ، وعوّجا القضاء ، فاجتمع شيوخ بنى إسرائيل وجاءوا الى صموئيل وقالوا له : أنت قـد شخت ، وابناك لم يسيرا فى طريقك ، فالآن اجعل لنا ملكا كسائر الشعوب ، فصلى صـموئيل الى الرب فقال له الرب : اسمع لصـوتهم ، إنهم لم

(١) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew people pp. 98 - 90.

يرفضـــوك أنت ولكنهم رفضونى أنا ، إنهم تركونى وعبدوا آلهة أخرى ؛ فاسمع لصـــوتهم ولكن أشـــهد عليهم • قال صموئيل لبنى إسرائيل : إن الملك الذى سيملك عليـــكم سيأخـــذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، لمراكبـــه وفرسانه ، فيركضـــون أمام مراكبه ، ويحرثون له ويحصـــدون ، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ، ويأخـــذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم ويأخـــذ جواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ••• فأبى الشعب أن يسمع لصموئيل وقالوا : لا بل يكون علينـــا ملك ، مثـــل سائر الشعوب يخرج أمامنا ويحارب حروبنا [1] ••

واختار لهم صـــموئيل شاءول ليكون أول ملك عليهم ، ويســـميه القرآن الكريم « طالوت » [2] • وقـــد قادهم شاءول فى المعارك بشجاعة ، وكان داود أحـــد رجاله فى هـــذه المعارك • ويحكى الإصحاح السابع عشر من سفر صـــموئيل الأول بروز « جلبات » قائد الفلسطينيين الذى يســـميه القرآن الكريم « جالوت » [3] ودعوته بنى إسرائيل للمبارزة ، وقـــد استطاع داود أن يتغلب عليه ، لسخرية جلبات به وعـــدم تأهبه لمنازلته ، ومنذ ذلك الحين أخـــذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم وقلوبهم ، فأثار ذلك حقـــد شاءول عليه ، حتى عـــزم على قتله لئـــلا يزاحمه على الملك ، ومن ثم أخـــذ يطارده مطاردة شديدة وينصب له شباك القتـــل أمداً طويلا ، ولجأ داود الى الفلسطينيين مرتين هارباً من شـــاءول [4] ، وانتهز الفلسطينيون فرصة هـــذا الخلاف فهاجموا بنى إسرائيل وأوقعوا بهم الهزائم العظيمة ، وسقط شاءول فى إحـــدى هـــذه المعارك بوادى بزرعيل ، وأخـــذت دروعه الى معبد غينوس الفلسطينى ، ودق جســـمه بالمسامير على أسوار بيت شـــان [5] •

---

(١) سفر صموئيل الأول الاصحاح الثامن .

(٢ ، ٣) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٤) صموئيل الاصحاح السادس عشر والاصحاحات التالية له .

Margolis and Marx : History of the jewish people p. 40.

(٥) Wells : History of the World p. 92.

وبعد موت شاءول قام صراع بين داود وإشبوشث بن شاءول يؤيده أبنير قائد جيوش أبيه ، ولكن داود تغلب عليهما ، وذبحهما ، فاستقر له الملك بذلك ، فأصبح الملك الثانى لبنى إسرائيل وبقى الملك وراثيا فى عقبه ، ومن أبرز أعمال داود أنه استولى على أهم مدن فلسطين وهى (أورسالم) أو (أورشليم) ومعناها بالكنعانية محلة السلام أو مدينة السلام ، وكانت المنطقة التى تقع فيها هذه المدينة تحت سلطان اليبوسيين من القرن الخامس عشر ق م ، واليبوسيون بطن من بطون كنعان ، وقد سميت المدينة (يبوس) خلال مدتهم ، ولما استولى عليها داود أعاد اسمها القديم (أورشليم) واتخذها عاصمة له ، ونقل لها التابوت ، وأعد بها مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس [1] .

واستكمالا للحديث عن تسمية هذه المدينة نذكر أنه فى عهد الرومان الذى بدأ سنة ٦٣ ق م سميت هذه المدينة (إيلياء كابيتولينا) باسم المعبد الوثنى الذى شيده أدريانوس سنة ١٣٥ م على إثر حرث المدينة وإزالة معالمها ومعالم هيكل سليمان ، وفى العهد المسيحى عاش الاسمان (أورشليم وإيلياء) ، فلما جاء الإسلام سميت هذه المدينة القدس أو بيت المقدس .

ولنعد الى داود لنقتبس مزيداً من التعريف به وبعهده ، يقول Wells [2] إن داود كان أكثر توفيقاً من شاءول ، وبتوليه أشرقت فترة الرخاء الوحيدة التى قدر للشعوب العبرانية أن تعرفها على مدى الدهر كله ، وهى تقوم على محالفة وثيقة الأواصر مع مدينة صور الفينيقية التى يلوح أن ملكها حيرام كان رجلا أوتى نصيباً كبيراً من الذكاء والقدرة على المغامرة ، وكان يبغى أن يكفل للتجارة الى البحر

---

(1) Wech : Civilization of the Near East p. 85.

(2) History of the World pp. 92-98. واقرأ كذلك :

The Outline of the History by Wells p. 283.

الأحمر طريقاً آمناً عبر منطقة التلال العبرانية ، وكان الأصل فى التجارة الفينيقية أن تذهب الى البحر الأحمر عن طريق مصر ولكن بعض العقبات حالت دون مرور التجارة الفينيقية فى تلك الطريق ، ومهما يكن من شىء فإن حيرام أنشأ بينه وبين داود وابنه وخلفه سليمان أوثق الملاقات ، وعند ذلك نشأت برعاية حيرام أسوار أورشليم ومقرها ومعبدها ، وفى مقابل ذلك بنى حيرام سفنه على البحر الأحمر وسيّرها فيه .

وكان عهد داود ــ بناء على ما جاء فى العهد القديم ــ غارقاً فى دماء الضحايا ، شديد القسوة ، فيروى أن داود جمع كل الشعب وذهب الى ربّة (عاصمة عمون وهى عمان اليوم) وحاربها وأخذها ، وأخذ تاج ملك عمون عن رأسه ووزنه وزنة اى (قنطار) من الذهب مع حجر كريم ، ووضعه داود على رأسه ، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً ، وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد ، وأمرّهم فى اتون آخر ، وهكذا صنع بجميع مدن عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب الى اورشليم [١] .

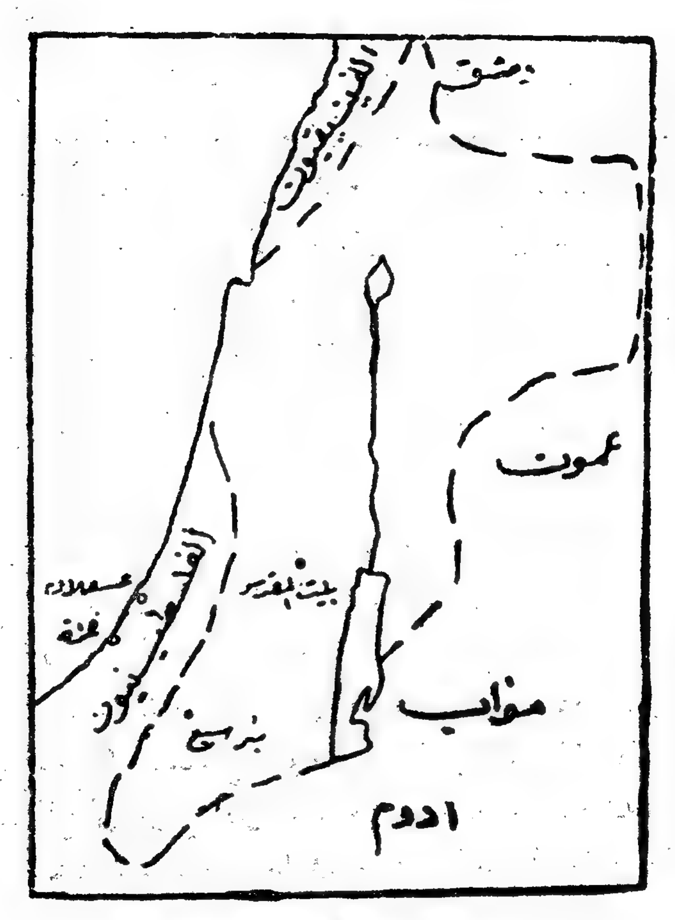
ويقول Wells معلقاً على ما ورد بالكتاب المقدس عن قسوة داود ما يلى : وقصة داود بما تحوى من قتل وسفك دماء واغتيالات متلاحقة يأخذ بعضها برقاب بعض أشبه بتاريخ أحد الرؤساء المتوحشين منها بتاريخ ملك متمدّن [٢] .

ويعترف الكاتبان اليهوديان Margolis and Marx بقسوة داود ولكنهما يعلّلان لها بالثورات التى هبت ضده وبخاصة ثورة شبية وأبشالوم [٣] .

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ٢٩ ــ ٣١ واقرا كذلك سفر الملوك الاول .
(٢) The Outline of History p 282 .
(٣) A. History of the Jewish People pp 55-57.

وقبل أن ندع عهد داود الى عهد ابنه وخليفته سليمان نذكر أنه ينبغى ألا نبالغ فى تقدير سعة ملك داود ، ونقتبس لذلك خريطة من J.W.D. Smith [1] توضح أقصى اتساع لملكة داود :



مملكة داود فى أقصى اتساعها

ويقول Wells [2] فى ذلك : ولا يستطيع أحد أن يقول إن أرض الميعاد وقعت يوماً فى قبضة العبرانيين ، على أن مما وطد ملك داود وهيأ له شيئاً من الاتساع أن أمور مصر فى عهده كانت مرتبكة ، فخفت هيمنتها

(١) God and Man in E-rly Is ael p 87.
(٢) The Outline of History p. 279.

على فلسطين وبلاد الشام ، وكانت أمور الدولة الأشورية مرتبكة كذلك . وقد منح هذا لداود شيئاً من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة [١] . وحكم داود أربعين سنة منها سبع فى حبرون والباقى فى بيت المقدس [٢] .

وينتثم Weils كلامه عن داود بقوله : وآخر ما سجل من تصرفات داود تدبيره لولده الوسيلة لقتل شيماى ((Shimei)) وآخر ما سجل من كلماته عبارات « الدم » إذ يقول لابنه « واحذر شيبته بالدم الى الهاوية » [٣] وهو بهذا يشير الى أنه وإن كان شيماى الشيخ قد حماه القسم الذى أخذه داود على نفسه للرب مادام حياً . فما من عهد يرتبط به سليمان فى هذا الشأن [٤] .

وجاء سليمان بعد أبيه وقد بدأ حكمه بقتل أخيه الأكبر أدونيا ، وقتل يؤاب رئيس جيش أبيه ، وعزل أبيانار الكاهن [٥] . وكانت حالة مصر وآشور مرتبكة فى مطلع عهد سليمان فنعم بالسلطان فترة من الزمن واستطاع أن يصاهر فرعون مصر (شيشنق) ، ويعلق Vells على هذا الزواج بقوله : كان من الجائز أن يتنازل فرعون فيقبل فى حريمه أميرة بابلية ، ولكنه كان يرفض رفضاً باتاً أن يسمح لأميرة مصرية لها مالها من قداسة أن تصبح زوجة لعاهل بابلى ، فما بالك بملك صغير كسليمان استطاع أن يتزوج أميرة مصرية ، إن هذا يدل دلالة واضحة على انحطاط مهابة مصر وتدهورها فى هذه الأثناء [٦] ولكن حالة مصر

---

(١) انظر كذلك العقد الثمين لاحمد كمال ص ١٥٢ وتاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد ص ٣٥٢ وتاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم لمحمد عزة دروزة جـ ٢ ص ٣٠٢ .

(٢) الملوك الاول ٢ : ٢١ .

(٣) الكتاب المقدس : الملوك الأول ٢ : ١٠ .

(٤) The Outline of History p. 784.

(٥) الملوك الأول ٢ : ٢٤ — ٢٧ .

(٦) The Outline of History p. 286.

بدأت فى الانتعاش فعادت سيطرتها — الاسمية على الاقل — على فلسطين ، ونشط أعـداء مملكة سليمان فاستعادوا بعض البقاع التى كانت خاضعة لأبيه ، وانكمش ملك سـليمان فى آخـر عهـده فأصـبح غرب الأردن فقط [١] ، ويشرح Wells كيف لعب الخيال فصوّر مملكة سليمان بصورة تفوق الواقع بكثير ، قال Wells [٢] :

من الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور . فسليمان لم يكن وهو فى أوج مجـده إلا ملكا صغيراً تابعاً يحـكم مدينة صـغيرة ، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم ، ونهب معظم ما فيها من كنوز ، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجـد سليمان التى توردها أسفار الملوك والأيام ، وهم يقولون أن الكبرياء القومى لدى كتاب متأخرين هو الذى دعاهم الى إضافة أشياء عن القصـة والمبالغة فيها .

ويقرر Wells فى موسوعته « معالم تاريخ الإنسانية » أن قصة ملك سليمان وحـكمته التى أوردها الكتاب المقدس ، تعرضت لحشـود وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر ، وقـد استطاعت هـذه الرواية أن تحمل العالم المسيحى بل الإسـلامى على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهـة ، وقد أسهب سفر الملوك الأول فى تصوير مجـد سليمان وأبهته وفخامته ، ولكن الحق أنه اذا قيسـت منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث ، أو رمسيس الثانى ، أو نبو خـذ نصر .. فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات .. ولم يتجاوز سليمان بالنسبة لذلك الملك التاجر « حيرام » منزلة المعـاون له على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق ، وكانت مملكة سليمان رهينـة تتجاذبها مصر وفينيقيا ، وترجع أهميتها فى معظم أمرها الى ضـعف مصر الموقوت [٣] .

(١) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم ج ٢ ص .
(٢) History of the World p. 93.
(٣) The Outline of History p 287.

وقسم سليمان بلاده الى اثنى عشرة قسما إداريا ، وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الاثنى عشر وكان يرجو من وراء هذا أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم ، وأن يؤلف منهم شعباً واحدا ، ولكنه أفلس فى هذا وأفلست بلاد اليهود معه [١] .

وتصف التوراة مسألة الهيكل وقصر سليمان أبلغ وصف ، وتصورهما فى حالة رائعة من الجلال والعظمة [٢] ، وقد سبق أن أوردنا عبارة Wells التى تفيد أن أسوار أورشليم وقصرها ومعبدها نشأت برعاية حيرام ملك الفينيقيين ، على أن Wells يعود مرة أخرى فيتحدث عن مدى الجلال فى هيكل سليمان ، فيقول : إننا لو استخرجنا من القصة أطوال معبد سليمان لوجدنا أن فى الامكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحى .

ويرى غوستاف لوبون [٣] أن وصف الهيكل وقصور سليمان قد بُولغ فيه الى حدٍّ كبير وأن هذه الأبنية تمت على كل حال بأيدى الأجانب ، اذ جاء العمال من مصر أو من فينيقية ، ويختم غوستاف لوبون كلامه بقوله : لا ينبغى لنا أن نتحدث عن وجود شيء من فن النحت أو التصوير عند بنى اسرائيل ، وقل مثل هذا عن فن البناء عندهم ، فانظر الى هيكلهم المشهور (هيكل سليمان) الذى نُشِرَ حوله كثير من الأبحاث المملة تجده بناء أقيم على الطراز الآشورى المصرى من قِبَل بنائين من الأجانب كما تقول التوراة ، ولم تكن قصور سليمان غير نسخ رديئة للقصور المصرية أو الآشورية .

ويختم Wells كلامه عن سليمان بقوله : « وواضح مما تقصه التوراة أن سليمان بدد ما يملك فى المظاهر ، وأنه أبهظ شعبه بالعمل

---

(١) ول ديورانت . قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .
(٢) الملوك الأول الاصحاحات الخامس الى الثامن .
(٣) اليهود فى الحضارات الأولى ص ٤٠ و ٤٦ .

والغرائب [١] ولعل Wells يشير الى ما ورد فى سفر الملوك الأول من أنه بعد موت سليمان اجتمع شيوخ بنى إسرائيل وكلموا ابنه رَحُبْعَام قائلين : إن أباك قسّى نيرنا ، وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا [٢] وبموت سليمان انتهى عهد الوحدة ، وبدأ عهد الانقسام ، ويوضح Weech أن بذخ سليمان وقسوته وكثرة زوجاته والخلاف بين أولاده ، كل هذا كان السبب فى انقسام المملكة وزوالها [٣] .

٣ — عهد الانقسام وزوال ملك بنى إسرائيل :

بعد وفاة سليمان حوالى سنة ٩٣٥ ق م أعلن رَحُبْعَام نفسه ملكا على دولة اليهود ، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين فى أورشليم على ذلك ، ثم اتجه رحبعام الى الشمال لأخذ البيعة من باقى الأسباط ، فاجتمع حوله شيوخ بنى اسرائيل فى شكيم (نابلس الآن) ومعهم أخوه يَرُبْعام الذى كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته ، فهرب الى مصر ، وعاد الى فلسطين بعد وفاة سليمان ، وقالوا لرحبعام العبارة التى سقناها آنفاً عن قسوة سليمان وشدة تضييقه عليهم وطلبوا منه أن يخفف من نيره ، ونصح المستشارون الشيوخ رحبعام بقبول ذلك الرجاء ، ولكن زملاؤه من الأحداث حذّروه من ذلك ، ونزل رحبعام على رأى الأحداث وأعلن للقوم أن خنصره أغلظ من متنى أبيه ، وأن أباه أدبهم بالسياط وهو سيؤدبهم بالعقارب . ولذلك رفض شيوخ الأسباط فى الشمال أن يبايعوه ، وبايع الأسباط العشرة يربعام ملكا ، وأراد رحبعام أن يحارب أخاه ولكن النبى شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب ، وهكذا

---

(١) History of the World p. 93. ومعالم تاريخ الانسانية ص ٣٨٨ .

(٢) الاصحاح ١٢ الفقرة الرابعة .

(٣) Civilization of the Near-Eaat p. 85.

انقسمت المملكة الى مملكتين جنوبية اسمها يهـوذا وعاصمتها أورشليم ، وشمالية اسمها اسرائيل وعاصمتها شـكيم [1] .

ومن مطالعتنا للعهـد القـديم [2] وللمراجع التاريخية [3] يمكن أن نوجز تاريخ هاتين المملكتين فى العبارات الآتية :

ـ ضعفت مملكة سليمان آخر أيامه وبخاصـة عندما ثار عليه ابنه يربعام وأيده كثير من الشيوخ نتيجة لسياسة سليمان فى الضغط وتحصيل الضرائب ، وكان سلطان مصر شيشنق قـد بدأ يقوى ، وأصبح فى حالة تمكنـه من استعادة سلطانه على فلسطين لولا الإبقاء على صـلة النسب بينه وبين سليمان ، عن أن شيشنق مهد لاستعادة سلطانه على فلسـطين باغتيال حـيرام ملك صـور الذى هيـأت تجارته أنواعاً من الغنى لداود وسليمان ، وكذلك بحمايته ليربعام الابن الثائر على أبيه .

ـ لما مات سليمان بدأ شيشنق ينفـذ تخطيطه ، واستغل يربعام فى ذلك ، فلما نجح يربعـام فى تقسيم الدولة والتسلط على جزئها الشمالى كان ذلك فى الحقيقة انتصارا عمليا لفرعون مصر ، ولم يكتف شيشنق بهذا بل غزا فلسطين وصـعد على أورشليم ونهبها وبسـط سيطرته على دولة يهـوذا ثم على دولة إسرائيل وامتد سلطانه الى الجليل .

ـ تعرضت هاتان الدولتان أيضـا الى الضغط من جهـة الشمال ، للقضـاء على القوة اليهودية الدخيلة فى المنطقة من جهـة ، وللمنافسة بين العراق ومصر من جهـة أخرى .

---

(١) موجز من سفر الملوك الاول : الاصحاحان ١١ ــ ١٢ .
(٢) سفر الملوك الاول والثانى .
(٣) مثل بريستند : تاريخ مصر من اقـدم العصـور ، والعقـد الثمين لاحمـد كمـال . وتاريخ سـورية للمطران الدبس ، وتاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم لعزة دورزة و ...
A. History of the Hebrow Peaple by Margolis and Marx.

— كانت دولة إسرائيل تمثل أغلبية الأسباط ، وكانت أوسع رقعة من دولة يهوذا ، ولكن دولة إسرائيل كانت مضطربة كثيرة الانقلابات ، فى حين كانت دولة يهوذا أكثر استقراراً وهدوءاً ، ومن أجل هذا تقلب على عرش مملكة اسرائيل ملوك من أسر متعددة ، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات أكثر من مرة ، أما يهوذا فقد ظل الملك بها فى سلسلة متصلة من ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم ، وتساوى عدد الملوك هنا وعددهم هناك (١٩ ملكا) .

— يتحدث سفر الملوك الأول والثانى وسفر الأيام بإفاضة عن المعارك التى تكاد تكون متصلة بين دولتى اليهود من جانب ومجاوريهم من جانب آخر ، وكذلك عن الوقائع الغادرة بين دولة يهوذا وبين دولة اسرائيل ، وطالما استعانت إحدى هاتين الدولتين على الأخرى بدولة مجاورة ، وكان وقوع دولتى اليهود بين مصر من جهة وآشور وبابل من جهة أخرى مثارا لحروب طويلة ، كانت فلسطين ميدانها ، حتى يمكن القول بأن عهد الانقسام كان عهد دماء تسيل ، وأرواح تزهق ، وأنين ينبعث .

— أما نهاية الدولتين والطريق الى النهاية فيصفه Wells أبلغ وصف فى قوله [1] : لم يتمتع الشعب العبرانى بخفض العيش إلا أمداً وجيزا ، فمات حيرام ، وانقطع عون صور الذى كانت تقوى به أورشليم ، ثم قويت شوكة مصر ثانية ، وأصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى ، تحركهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب ، وهى قصة نكبات ، وقصة تحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاصمة . هى قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج ، حتى اذا وافت سنة ٧٢١ ق م

---

(1) History of the World p. 93.

محت يد الأسر الأشورى فى عهـد الملك سرجون الثانى ملك أشور مملكة اسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملـكة يهـوذا تكافح حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق م ٠

الأسر البابلى والتدمير الأول لأورشليم :

نعود هنا لإعطاء مزيد من التفصـيل عن سقوط دولتى اليهـود ، وما تبع ذلك من نفى وأسر ، فقـد تم سـقوط مملكة اسرائيل على يـد سرجون الثانى ملك أشـور ، الذى اعتقل هوشـع بن أيله آخر ملوكها . ونفاه مع عـدد من رجاله الى مملكته ، وأقام عليها والياً يحـكم باسمه ، وفى سـنة ٦٠٨ ق‌م زحف فرعون مصر على مملكة يهـوذا ، فاحتلهـا ، واستمر فى زحفه فاحتل مملكة اسرائيل التى كانت قـد سـقطت تحت سلطة الآشوريين كما سبق القول ، وقـد ثار لذلك ملك بابل نبو خذ نصر (بختنصر) ، الذى آل له السلطان على أشـور وزحف على فلسـطين ، فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة اسرائيل ، ثم احتل مملكة يهـوذا ، وقتل صـدقيا بن بواقيم آخر ملوك يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان الى بابل ، وفـر بعضـهم الى مصر وغيرها من الأقطار ، وأقام بختنصر على فلسطين والياً من قبله ، وانتهى ذلك ملك اليهود بفلسطين ، ويعرف هـذا بالأسر البابلى ، وهـدا هو التدمير الأول للمدينة والمعبد ٠ ويذكر Guiginebert أن الأسر البابلى لم يشمل أولئك البسطاء الذين ليست لهم حماسة دينية كالفلاحين وصغار الصـناع ، فقـد ترك السيد الجـديد هؤلاء يعملون له إذ لم يتوقع منهم أية معارضـة [1] ٠

وهنا نجيب على سـؤال يروّجه اليهود ويخدعون به جماهير الناس ، وهـو : الى أى مدى يمكن أن تـعـد فلسطين وطنـا قوميا لليهود بسبب حياتهم بها هـذه الفترة ؟

---

(1) The Jewish World in the time of Jesus pp. 30-31.

والإجابة تكون بإبراز حقائق لا تحتمل التأويل سبق أن أوردناها فى هـذا البحث ، وليس دورنا هنا إلا تجميعها فى هـذا المكان بإيجاز :

فأولا : دخل بنو إسرائيل فلسطين غزاة من الخارج دون أن يكون لهم بهـا جـذور أو تاريخ ، واستعملوا القوة والوحشية ليحصلوا على الانتصـار على السكان الأصـليين ·

وثانيا : لم يستطع اليهود أن يمدوا سلطانهم الى كل فلسـطين ، ووقفوا عنـد منطقة التلال الداخلية ، أما منطقة الساحل فقـد ظلت فى أيدى السـكان الأصـليين ·

وثالثا : لم يعرف بنو إسرائيل بفلسـطين حيـاة الاسـتقرار على الإطـلاق ، وظل السكان الأصليون يناضلون ضدهم حتى أخرجوهم ·

ورابعـا : كانت مدة بنى إسرائيل بفلسطين منـذ دخول يوشـع حتى سقوط مملكة يهـوذا حوالى خمسة قرون وهى أشـبه بمـدة هولنـدا بإندونيسيا ، وبريطانيا بالهنـد ، والعجيب أن هناك تشابها من نوع آخر ، فقـد أطلق العبرانيون على فلسطين أسماء يهودية هى اسرائيل ويهـوذا مثلما فعلت هولنـدا عنـدما أطلقت على إندونيسيا اسـم جـزر الهنـد الهولندية إشارة الى التملك الذى تدّعى إسرائيل مثله بفلسـطين ، ولكن الصراع الوطنى اعاد الحق الى نصـابه ·

وخامسـا : أحس المجاورون لفلسطين من الشمال ومن الجنـوب بالعنصر الغريب الذى دخل المنطقة ، فاشترك هؤلاء المجاورون فى الصراع حتى قُضِىَ على هـذا العنصر الغريب ·

ويقول Weech واصـفاً حياة اليهود فى فلسطين : إن اليهود لم يكن لهم منفذ يذكر على البحر ، فالموانى الشمالية كانت تحت سـلطان الفينيقيين ، وموانى الجنـوب كانت تابعة للفلسـطينيين ، ومن ناحية الزمن فإن اليهود لم تكن لهم قـوة إلا خـلال نصف قرن فقط ، وحتى فى

تلك الأثناء كانوا محاطين بممالك أكثر قوة وأرقى مدنية وحضارة [١] .

ويقول معلقاً على عهـد بنى إسرائيل بفلسطين : لقد كانت حيـاة العبرانيين بفلسطين — وبخاصـة خلال القرون الثلاثة الأخيرة — أشـبه بحياة رجل أصر على الوقوف وسط ميدان صاخب ، فكان مصيره أن دهمته السيارات [٢] وهـكذا انتهت القرون التى عاشـتها السـلطة العبرانية ، وكانت من بدايتها الى نهايتها مجرد حـدث صـغير على هامش أحـداث تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا [٣] .

اليهود بعـد سـقوط إسرائيل ويهـوذا :

خلت فلسطين تقريباً من اليهود إثر سقوط مملكتى إسرائيل ويهوذا ، وفى سـنة ٥٣٨ ق م احتـل قورش ملكُ الفرسِ بلادَ بابل ، ومن ثمَّ أصبح له السلطان على أرض فلسـطين ؛ وأطلق الفرس على بنى اسرائيل اسم اليهود ، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية [٤] ، ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة « اليهود » تعنى مَنْ اعتنَقَ اليهودية ، ولو لم يكن من بنى اسرائيل [٥] ، وهـذا هو الفرق بين اليهودى والإسرائيلى ، وسـمح قورش لليهود بالعودة الى فلسطين واستئناف عهـد الحرية بها فى ظله ، ولكن أكثر اليهود كانوا قـد ألفوا الحيـاة البابلية وامتدت بها أعراقهم ، وعرفوا بهـا خصـب العيش ، والتجارة الرابحة ، ومن ثمَّ فقد ترددوا طويلا فى العودة للقفار والصراع حول المدينة المقدسة ، وبعد هذا التردد استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقـاء حيث كانوا بالعـراق ومصر وغيرهما من البلاد التى نزحوا اليهـا عقب سـقوط دولتهم على يـد

---

(١) E. H. Weech : Civilization of the Near-East p. 82.

(٢) The Outline of History p. 288.

(٣) Ibid p. 280.

(٤) سليمان مظهر : قصـة العقائد ص ٣١٨ .

(٥) دكتور جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٦ ص ٩٥ وصـبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٥٣ .

بختنصر [١] ، ولم تقبل العودة الى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجيء قورش ، وقد أعاد هؤلاء بناء المدينة المقدسة ، كما بنوا بها معبداً صغيراً مكان الهيكل بتصريح من قورش [٢] ، وكانت عودة اليهود من المنفى عودة الجموع وليست عودة الدولة ، فإن بعض بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تَعُدْ ، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له ، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس ، ومن أجل ذلك رحبوا بالاسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق ٠ م ، وقد آل حكم فلسطين الى البطالسة بعد الإسكندر .

المكابيون :

لم يستقر اليهود فى ظلال الحكم الجديد ، كما لم يعرفوا الاستقرار قط ، ومن أبرز ثوراتهم فى هذا العهد تلك الثورة التى قاموا بها سنة ١٦٧ ق م بقيادة الكاهن ماتياس ، وقد هُزِم فيها ماتياس وهرب ومات فى العام التالى ، فتولى ابنه مكابياس قيادة الثائرين ، وقد دفع حياته سنة ١٦١ ق م ثمناً لعصيانه ، والى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابيين التى حاولت أن تحقق — دون جدوى — أى لون من ألوان الاستقلال لليهود ، وطالما سقط القادة من هذه الأسرة قتلى بيد الأمراء السوريين ، وفى سنة ١٠٤ ق م استطاع القائد المكابى أرستبولس أن يأخذ لقب « الملك » ولكن عهده لم يُطل ، وقد أدى طول الاحتكاك بين المكابيين والسوريين الى أن يصطنع المكابيون تقاليد السوريين وعادات الأمراء المجاورين ، وكانت أسرة المكابيين ، أقرب الى القادة العسكريين منها الى أسر الحكام [٣] .

---

(١) Wecch : Civilization of Near East p 37.

(٢) Maspero :Stuggle of the Nations p. 638.

(٣) Cuigirebert : The Jewish World at the Time of jesus pp. 32-33.

الرومان والتدمير الثانى لأورشليم :

وفى هذه الأثناء كانت الدولة الرومانية ترقب هذا الصراع لتنتهز فرصة للتدخل ، وحانت لها هذه الفرصة عندما هب صراع داخلى بين قائدين متنافسين من اليهود فاكتسح الرومان فلسطين سنة ٦٣ ق٠م واستولوا على القدس بقيادة القائد الرومانى بامبيوس ٠

وفى عهد الرومان حلت أسرة هيرودوس محل المكابيين ، وقد استطاع هيرودوس الكبير (٧٢ — ٤ قم) القضاء على آخر ملوك المكابيين ليثأر لأبيه الذى كان ضحية عدوانهم ، وحاول هيرودس أن يرضى اليهود فبنى هيكلا على نسق هيكل سليمان سنة ٢٠ ق م ، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠ م حيث دمر الإمبراطور تيطس الرومانى مدينة أورشليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود [١] ، وهذا هو التدمير الثانى للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذى أحدثه بختنصر ٠

واذا كان تيطس قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه فإن أدريانوس أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تماماً سنة ١٣٥ م ، إذ حرث الأرض وسوّاها وزرعها كما تخلص تماماً من اليهود بها بين قتل وتشريد ، فلم يبق بها يهودى واحد ، ورحل من استطاع الهرب منهم الى مصر وشمالى إفريقية وأسبانيا وأوربا ٠ وأقام الإمبراطور الرومانى أدريانوس مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنياً باسم جوبيتار Jupitar رب الآلهة عند الرومان ، إذ لم تكن المسيحية قد اعترف بها بعد ، وبقى هذا الهيكل الى أن قامت المسيحية فى أورشليم ، فدمره المسيحيون من أساسه فى عهد الامبراطور قسطنطين [٢] ٠

آيات سورة الإسراء وافساد بنى اسرائيل فى الأرض :

عند ما وقعت الهزيمة ضد مصر والأردن واحتل اليهود بيت المقدس

---

(١) James Hosmer : The Jewih p 183.

(٢) محمد على علوبة : فلسطين والضمير العالمى ص ٥٤ — ٥٦ ولواء محمد صفوت : اسرائيل العدو المشترك ص ٢٥ ٠

سنة ١٩٦٧ ، قام جماعة من المسلمين بتوجيه بعض آيات من القرآن الكريم لتكون ملائمة لهذا الحادث الأليم ، وهذه الآيات هى الواردة فى سورة الإسراء وهى قوله تعالى : « وقضينا الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدنّ فى الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيراً ، فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً ، عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » [١] .

واعتقادنا أن هذا التوجيه خاطىء وأن مرّتَىْ الإفساد المذكورتين فى هذه الآيات قد وقعتا قبل الإسلام ، وهو ما أجمع عليه كل المفسرين القدامى ، والذى نؤكده أن مرات الإفساد التى قام بها اليهود كانت كثيرة ، وأن سحقهم وتدميرهم نتيجة لذلك حصل عدة مرات ، ولكن القرآن الكريم يبرز مرتين من مرات الإفساد ، كما يبرز العقوبة عليهما ، واعتقادنا أن المرة الأولى تتمثل فى عهد الاضطراب والقلق والفوضى والظلم الذى غمر فلسطين بعد وفاة النبى سليمان وانقسام المملكة الى مملكتين يهوذا وعاصمتها أورشليم وإسرائيل وعاصمتها شكيم ، وما تلا ذلك من طغيان ودمار وقسوة ، وقد عاقبهم الله على ذلك بأن سلط عليهم سرجون ملك آشور فقضى على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق م وبختنصر ملك بابل فقضى على مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م ، وقد أشاع بختنصر فيهم القتل والأسر ودمر المدينة والهيكل .

ثم جاءت فترة استعاد فيها اليهود كيانهم وذلك فى عهد قورش الفارسى الذى انتصر على بختنصر ملك بابل وسمح لليهود بالعودة الى

---

(١) سورة الاسراء الآيات من ٣ — ٨ .

فلسطين ، ولكن سرعان ما عتوا مرة أخرى وكثر طغيانهم فتصدى لهم الامبراطور الروماني تيطس ودمر مدينة أورشليم وأحرق الهيكل .

ذلك هو رأى المفسرين القدامى ورأى علماء التاريخ ، على أن هناك نصاً مُهِماً فى هذه الآيات الكريمة وهو قوله تعالى « وإن عدتم عدنا » وتفيد هذه الآية احتمال طغيان بنى اسرائيل مرات أخرى ، ووعيداً أن ينزل الله بهم ما يستحقون من عقاب . وما فعله اليهود فى العصر الحاضر فى فلسطين وفى بيت المقدس عود منهم الى الظلم والطغيان وندعو الله أن يساعدنا على طردهم والثأر منهم تحقيقاً لوعوده ، حتى نزيل عن أرضنا الطيبة ما نزل بها من طغيان وظلم .

المسلمون بفلسطين :

وفى سنة ٦٣٦ م فتح المسلمون فلسطين من الرومان ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت فلسطين عربية دماً ولحماً ، أو قل عادت الى فلسطين عروبتها الكاملة ، فقد كانت قبل أن يعرفها اليهود عربية من أثر الهجرات العربية المبكرة لها ، ثم دخلها اليهود على سكانها كما ذكرنا ، وأخيراً جاء الفتح الإسلامى فأعاد الحق الى نصابه ، ورفع من جديد شعار العروبة الخالصة بهذه البلاد ، وكانت آنذاك خالية من اليهود تماماً ، وكان من شروط تسليم المدينة التى اشترطها صفرونيوس بطريرك النصارى على المسلمين ألا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود [1] ، وأصبحت فلسطين بذلك عربية إسلامية .

الحروب الصليبية ودور اليهود فيها :

وجاءت الحروب الصليبية فى آخر القرن الحادى عشر الميلادى ، وفى الجولة الأولى منها ، استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس وعلى شريط ساحلى ضيق ، ويتضح من دراسة هذه الحروب أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين ، وكانوا من الأسباب الخفية التى دفعت

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ١٥٩ .

بالصليبيين لغزو البلاد المقدسة ، فقد رأى اليهود أنهم عجزوا عن العودة البلاد المقدسة بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين ، وقد اتخذ اليهود المال وسيلة لهم ، فأخفوا مشاعرهم الدينية والوطنية خلف المال ؛ إذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالى للبحر المتوسط . فساعدوا الصليبيين ليقوموا بهذه المغامرة باسم الصليب لفتح الطريق التجارى الى الشرق عبر فلسطين ، ولكن الشعار اليهودى كان في الحقيقة أقوى من الصليب وأقوى من المال [1] • وعلى كل حال فإن صلاح الدين الأيوبى سرعان ما استعاد بيت المقدس بعد موقعة حطين ، وتساقطت البلدان الأخرى فى يده ويد من جاءوا بعده [2] ، وبقيت فلسطين عربية إسلامية حتى قيام دولة إسرائيل على ما سيجيء •

عصر التشرد وأثره :

عقب سقوط دولة اسرائيل تحت أقدام الآشوريين ، تفرق سكانها اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، ولم يعد لهم فى التاريخ ذكر أما اليهود الذين سيقوا الى بابل عقب سقوط مملكة يهوذا فهم الذين عاد بعضهم الى بيت المقدس فى عهد قورش ، ومن أعقابهم جاء اليهود الذين عاصروا الأحداث عقب ذلك ، وقد قلنا آنفاً إن هؤلاء اليهود خضعوا لمصر وبابل والفرس واليونان والبطالسة والرومان ، وكانوا يعادون الجميع وينتهزون الفرص للثورة على سادتهم ، ومن أجل ذلك أنزل بهم هؤلاء السادة ألواناً من التدمير والتعذيب ، وكانت سنة ١٣٥ م نهاية حياة اليهود بفلسطين ، وقد أدركوا ألا مقام لهم بهذه البلاد ، فساحوا فى الأرض ، وأقاموا هنا وهناك ، وبدأ لهم بذلك عصر تشرد طويل يصوره Rané Sèdillo [3] بأنه عودة باليهود الى سيرتهم

---

(١) See The Jewes by James Hosmer p. 187.
See also : Medieval Europe by Ephraim Emerton p. 365-f.

(٢) اقرأ الحروب الصليبية للمؤلف فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى .

(٣) The History of the world p. 39.

الأولى ليعيشوا فى انحــلال وتشرد ، وقــد نزلوا خــلال هــذه الفترة الطويلة أكثر دول أوربا كما نزلوا بمصر وشمالى إفريقية واليمن وغيرها من الدول ، وقد كان هذا العصر بالغ الأثر فى سلوك اليهود وتصرفاتهم .

كانوا يرون فلسطين وطناً لهم ، ولكنهم الآن فقدوا الوطن .

كانوا أمــة متجمعة ، فأصبحوا أشتاتاً هنا وهناك .

كان لهم هيــكل يتعبدون به ويقدمون بمذبحه القرابين ، ولكن الدمار نزل بالهيكل والمذابح .

كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار ، ولكنهم سرعان ما وجــدوا أنفسهم شعباً مضَّيما ، مكروها كسير الجناح .

وعاشوا بين الأمم تلاحقهم العزلة التى تكلمنا عنها من قبل ، والتى كانت من أبرز خصائصهم ، فأصبحوا ضــيوفاً ولكنهم ضيوفاً ثقلاء ، وما بالك بضــيف يرى نفسه أرقى عنصراً من المضيف ؟ وبغريب يفضّل نفسه على صــاحب الدار ؟ .

ونقطة مهمة أخرى برزت فى عصر التشرد ، تلك أنهم ـــ وقد فقدوا وطنهم ـــ حقدَوا على كل من له وطن ، وكرهوا الأوطان والمواطنين .

ولست أدرى هل نستطيع ونحن فى بحث علمى أن نلجأ الى الأدب ليشرح لنا هــذه الفكرة ؟ هناك قصــيدة رقيقة للمرحوم أحمد شــوقى يصــف فيها عصفورتين هزيلتين وقفتا على غصن جاف بالجزيرة العربية ، فمرَّ عليهما نسيم عليل وَفَدَ من اليمن ، فتوقف النســيم وتحــدث للعصــفورتين ، فوصــف لهما الزرع والحب والمــاء باليمن ، وأغراهما بأن يركباه ليأخــذهما الى الرياض هناك ، ولكن العصفورتين ثارتا على النسيم ووصــفتاه بأنه ـــ لكثرة تنقله ـــ لا يعرف حلاوة الأوطان ، وأنه يغريهما بالتمرد على الوطن ليكونا مثله بدون وطن . واختتم شــوقى مقطوعته بقوله على لسان العصــفورتين :

يا ريح أنت ابن السبيل ما عرفت ما السكن
هبْ جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

وهكذا كان اليهود أعداء لكل الأوطان ولكل من لهم أوطان ، وكأنما كان لسان حالهم يهتف :

لماذا فقدنا — دون الناس — وطننا ؟ .

لماذا نتشرد والناس مستقرون ؟ .

وترتب على ذلك أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به ، ولاحقتهم من جديد عزلتهم التى سبق أن تكلمنا عنها ، والتى كانت أبرز صفاتهم ، فاذا بهم يعيشون فى أحياء خاصة بهم ، وكان حى اليهود دائما قذراً مظلماً غير صحى يعرف باسم « الغيتو » نسبة الى اليهود فى روما ، وشاع هذا الاسم فى غير روما أيضاً ، وكانوا كذلك يعيشون فى كل بلد ، فكانت لهم فى القاهرة حارة وفى الاسكندرية حارة تحمل اسمهم .

وكان مجتمع اليهود مصدر الخيانات والمؤامرات ضد كل بلد نزلوا فيه ، وقد صور كثير من الكتاب انعزالية اليهود وانتهازيتهم وخيانتهم للبلاد التى نزلوا بها سواء فى ذلك إبان تاريخهم القديم ، أو فى التاريخ الحديث ، يقول الدكتور عبد المعز نصر [١] .

لم يكن فرعون يعدُّ بنى اسرائيل جزءاً من قومه ، لأنهم عاشوا فى عزلة عن الشعب ، ولأنهم جاءوا الى مصر لا ليقيموا ويندمجوا ، بل ليخرجوا منها بعد أن تتجمع لهم فى مصر قوة المال والعدد ، وهذا ما رسمه لهم « يهوه » ربهم إذ قال مخاطبا اسرائيل : « أنا أنزل معك الى مصر وأنا أصعدك أيضا » وقد استشعر فرعون الريبة من ناحية بنى اسرائيل وتوجس انضمامهم الى الأعداء إن دخلت مصر فى حرب ، فعيونهم

---

(١) الصهيونية فى المجال الدولى ص ٤٠ .

متجهة الى الخارج لا الداخل ، ومن الغريب أن ما توقصه فرعون مصر القديمة كان الحقيقة الواقعة التى جرَّبها الألمان مع اليهود فى الحرب العظمى الأولى خلال القرن العشرين ، وذلك حين تآمرت الصهيونية مع الحلفاء على إثارة اليهود فى ألمانيا ضد الوطن الذى آواهم . فالقى الحلفاء من الجو على مدنها وثيقة بلفور إيذاناً لهم بأن يقوموا برسالتهم التاريخية وهى رسالة الغدر الوطنى .

وقد عدَّد هتلر خيانات اليهود لألمانيا فذكر منها استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح ، وإفساد التعليم ، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات التجارية ، والسيطرة على دور النشر ، والتدخل فى سياسة الدولة لغير مصلحة الدولة ، وفى القمة من خياناتهم التجسس ضد ألمانيا الذى احترفه عدد كبير منهم [١] .

ويعدد المؤرخ الدكتور أحمد بدوى بعض ما شاهده من خيانات اليهود لألمانيا بقوله :

أنا أعلم — وأشهد الله على ما أعلم — أن أدولف هتلر لم يكن متجنياً ولا ظالماً عند ما وقف يدفع عدوان اليهود عن وطنه ، بعد أن أكلوا أرزاق هذا الوطن وحاولوا إذلاله ، فقد خرج الشعب الألمانى من الحرب العالمية الأولى مغلوباً على أمره ، كسير الجناح ، فانتهز اليهود فرصة تلك المحنة ، وعملوا على تجويعه وإذلاله والعبث بكرامته وعِرْض أهله ، فملئوا مدن البلاد بدور الفسق والدعارة ، يتجرون فيها بأخلاق الشبان من الجنسين بغية الكسب والإثراء ، ورموا هناك بذور الخلاف السياسى والاقتصادى حتى مزقوا الألمان أحزاباً مختلفة ، يتعب العد من حصرها [٢] .

ومثل اليهود هذا الدور أيضاً فى روسيا أوضح تمثيل ، فقد كان

(١) My Struggle, Passim.
(٢) فى موكب الشمس ج ٢ ص ٨٨٧ — ٨٨٨ .

فى روسيا فى القرن التاسع عشر أكثر من نصف يهود العالم ، ولكنهم عاشوا طفيليات قذرة ، وكانوا خونة ومردة على القوانين ؛ فالفقراء منهم فتحوا الحانات وتاجروا فى الخمر ، والأغنياء عملوا فى الربا الفاحش ، والتجار اصطنعوا الحيل لتكسد تجارة الأمميين ، والعمال عملوا بأرخص الأجور حتى يوقعوا العمال الآخرين فى الشطط ، واتفق اليهود جميعا على الهرب من التجنيد بوسائل متعددة ، وصلت الى تشويه الجسم وقطع بعض الأعضاء ، وهكذا أثبت اليهود فى البلاد التى سكنوها أنهم فى السرّاء لهم أوفى نصيب ، أما فى الالتزامات والمكاره فدأبهم الفرار والهرب .

وهكذا كان اليهود فى كل بلد عاشوا فيه فى الشرق والغرب ، وتعدى خطرهم لدى المسيحيين المالَ الى الدماء ، ويصور « باركس » صورة اليهود لدى المسيحيين بقوله : لقد كان معتَقَداً أن اليهودى يطلب دم المسيحى لأغراض الطقوس الدينية ، وأنه يسرق الأطفال المسيحيين ويقتلهم لهذه الأغراض ، وكان معتقداً أنه يسمّم الآبار وينشر الأمراض ، وانتشرت الإشاعات دائماً من بلد الى بلد ، بأنه فى حلف مع العرب المسلمين والتتر وجميع أعداء المسيحية ، وقد كان فى ذاكرة عامة أوربا يمثل أكثر من مجرد البلاء الاقتصادى ، فقد كان يمثل العدو الخبيث الخطر الذى يسعى أبد الدهر ليحطم كلاً من بدن المسيحى وروحه .

ماذا كانت نتيجة هذه الخيانات ؟

كانت النتيجة أن أنزل بهم العالم ضربات قاصمة ، وعقوبات صارمة ، شملت التنكيل والطرد والسجن ومصادرة الأموال [١] ، ويقرر Hosmer أن كل الأمم المسيحية اشتركت فى اضطهاد اليهود وإنزال مختلف العنت بهم ، وكانت القسوة مع اليهود تعدّ مأثرة يمتدح

---

(١) See : The History of the World, Ed. by Rene sédillot pp. 82. 158-159.

المسيحيون بعضهم بعضا عليها [1] • ولكن هذا ضاعف حقدهم • فارتفعت أصواتهم بالشكوى مما سموه ظلماً واضطهاداً ، ولم يكن ذلك فى الواقع إلا نتيجة لانحرافهم وخيانتهم •

وتكررت هذه الدورة فى كل مكان عاش به اليهود ، حقد ومؤامرات وخيانات من اليهود ، فانتقام منهم وعدوان عليهم ، فصياح وشكوى وأنين ، وقد نجح صراخ اليهود فى أن يبرز للعالم ما نزل بهم من ضيم ، وربما استطاعوا أن يصوروا أنفسهم فى صورة المظلوم المعتدى عليه ، وأن يستدروا بذلك أحيانا عطف الناس الذين خدعهم الأنين •

ونجح اليهود فى أن يصوّروا للعالم أن إنصافهم يكمن فى تجمعهم فى وطن قومى ، يكونون هم سادته ورعيته ، ووجد كثير من الناس فى هذا الحل وسيلة للتخلص من اليهود وشرورهم ، فأيدوهم فيه حتى ينزاحوا عن بلادهم ، فكان ذلك من أسباب مالا قوة من تأييد فى اغتصابهم فلسطين فى العصر الحديث •

ونعود لنضع فى الميزان ما نزل باليهود من عسف واضطهاد ، فنقرر أنه نزل بالعرب أضعاف هذا العدوان ، أنزله بهم ظلماً الصليبيون والمغول والعثمانيون والفرنسيون والانجليز والطليان ، ولكن العرب لم يعرفوا الصراخ ولم يتخذوه وسيلة لاستدرار العطف ، فبدا اليهود للناس منكوبين يستحقون العون ، وتُنوسى ما نزل بالعرب من نكبات وبلايا •

فى الطريق الى العودة :

أوضحنا أن وضع اليهود فى البلاد التى نزلوا بها كان وضعاً قلقاً ، إذ كانوا يكوّنون طبقة خاصة منعزلة عن باقى الطبقات ومعادية

---

(1) James Hosmer : the Jews p. 138.

لها . ومع هذا فقد أتيح للكثيرين منهم ثراء عريض بسبب تعاونهم مع بعضهم البعض وانتهازهم الفرص وبراعتهم فى الشئون الاقتصادية ؛ حتى سماهم René sédillot : ملوك المال وسادة البنوك فى العالم الذين لم يخضعوا قط للقانون فى شئون الربا وشئون التجارة[1] .
وترتب على هذا الثراء أن انصرف بعضهم عن التفكير فى فلسطين والعودة اليها . ولكن البعض الآخر وجد فى فلسطين الملجأ الذى يحميه من الاضطهاد والقلق ؛ فأصبحت فلسطين لهؤلاء أغنية يتغنون بها وأملا يتطلعون اليه ، ومن هؤلاء لورد بيرون الذى خلد تشريد بنى اسرائيل فى أغانيه العبرية إذ قال : إن للحمامة البيضاء عشاً صغيراً ، وللثعلب وكراً ، ولكل إنسان وطنه ، ولا وطن لليهود • وجاء دزرائيلى فحدب على قضية اليهود فى روايته دافيد أكروا . وجعل بطلها يقول : تسألينني عن أعز أمنية عندى ، وجوابى : هى أرض الميعاد ، وتسألينني عما يداعب أحلامى . فأقول : أورشليم • وتسألينني عما يستهوى فؤادى فأقول : إنه الكنيس [2] •

وهناك شاعر يهودى آخر وَصَفَ فى العهود المتأخرة ذكرى القافلة البائسة التى كان نبوخذ نصر قد ساقها الى بابل فى أغنية رائعة جاء فيها :

لئن نسيتك يا أورشليم فَلْتَنْسَ يمينى حِذْقها
وليلتصق لسانى بسقف حلقى إن لم أذكرك يا أورشليم
وإن لم تكونى لدىَّ خيراً من أفراحى [3]

ومن أناشيد الشاعر اليهودى ن • أمير ننقل الفقرة الآتية :
مثل قصف الرعدْ الذى يشق لهيب السحب تصفيق
يدوّى فى آذاننا صوت صادر من صهيون

---

(1) The History of the World p. 175.
(2) نقلا عن « هذه الصهيونية » لاسرائيل كوهين ص ٣٠ .
(3) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ١ ص ٣٥٨ .

وينادينا قائلا : يجب أن تظل نفوسكم
تواقة الى الأبد لأرض آبائكم وأجدادكم
حتى ننقذ من يد الأعداء نهرنا المقدس
ونعود الى ضفاف الأردن [1]

وبينما كان اليهود يعيشون فى هذا التردد بين التشرد مع المال . أو المغامرة من جديد لاستعادة فلسطين ، ظهرت جهة أخرى يعنيها أمر فلسطين ، تلك الجهة هى الاستعمار الذى أخذ يتحالف مع اليهود لتحقيق الغرض المشترك وهو القضاء على عروبة فلسطين ونقلها لليهود على أن تكون تابعة للمستعمر وسائرة فى ركابه .

ومن جهة اليهود ليس هناك وفاء أو صلات خاصة تدفعهم لاختيار سيدهم الجديد الذى يمنحهم فلسطين ويمنحونه السيادة ، فاليهود لا يعرفون الوفاء ، ومن أجل هذا تم اتفاق بينهم وبين نابليون بونابرت على هذه الصفة ، ليضرب بها مصالح انجلترا فى الشرق ، ولكن نابليون سرعان ما هزم وعاد الى بلاده ، فراح اليهود يبحثون عن سيد جديد .

وفى آخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ظهر زعيم يهودى كبير هو تيودور هرتزل ، وكان صحفياً نمساوياً . وقد شهد بباريس — كمراسل صحفى — محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى (دريفوس) ، ولكنه أحس فى المحاكمة — كما يقول — بروح العداء للسامية ولليهود ، فكتب كتابه « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٥ يعلن فيه ضرورة قيام دولة لليهود يحتمون بها من هذا العنت ، ولم يعين هرتزل مكانا لهذه الدولة ، ثم بذل جهداً هائلا لجمع كلمة اليهود وتوجيه نشاطهم . فعقد مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ وقد حدد هرتزل أهدافه بقوله « إننا اجتمعنا هنا لكى نضع حجر الأساس للمبادىء التى تجمع الشعب اليهودى » وسرعان

---

(١) من الفكر اليهودى ص ١٤٩ .

ما سيطر شعور اليهود الشرقيين (الروس بوجه خاص) على هذا المؤتمر ، وكان هؤلاء يتمسكون بأن يكون مأوى اليهود فى أرض فلسطين ، فاتخذ المؤتمر القرار التالى :

إن أمانى الصهيونية هى إنشاء وطن للشعب اليهودى يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ، ويصبح الشعب اليهودى بإنشائه فى مأمن من الاضطهاد ، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين [١] .

وتوالت المؤتمرات ، وكانت خلاصة نتائجها تدور حول : كيف يمكن اليهود استعادة فلسطين ؟ فاتفقوا على أن هذا يستلزم جهدين : جهداً داخلياً يرمى الصهيونيون من ورائه الى تنظيم أنفسهم وإعدادها لاستعادة فلسطين . وجهداً خارجياً يرمى الى البحث عن دولة تساندهم ، وتحقق لهم ما تصبو اليه نفوسهم .

أما من الناحية الأولى فقد أنشئوا جهازاً إدارياً دقيقاً لجمع المال ، وظهرت « جمعية عشاق صهيون » لنشر اللغة العبرية ، وللدعوة الى تكوين مستعمرات زراعية فى فلسطين ، وذلك بشراء الأرض من العرب مهما بلغ سعرها ، ودفع أكبر عدد من اليهود للهجرة الى فلسطين بحيث يصبحون أكثرية بأسرع ما يمكن ، واشترك أثرياء اليهود بسخاء فى تمويل هذه المشروعات وبخاصة المليونير روتشيلد الذى فتح خزائنه لهذا الغرض دون حساب .

وأما من الناحية الثانية فقد درسوا أحوال القوى الاستعمارية المتصارعة ليتحازوا للمعسكر الذى يتفق مع أغراضهم ، ووجدوا فى إنجلترا خير حليف لهم ، فأعلن زعيمهم الجديد وايزمان ارتباط مصالح اليهود بمصالح انجلترا ، وانضم صراحة الى معسكرهم .

---

(1) Max Margolis and Alexander Marx : A History of the Jewish People pp 702 - 707.

هـذا هو جانب اليهود فى الموضـوع حتى قبل إعـلان تصريح بلفـور ، فماذا كان جانب الاستعمار ؟

فى سـنة ١٩٠٧ تولى « كامبل بنرمان » رئاسة الوزارة فى بريطانيا ٠ وقـد قام رئيس الوزراء بتشـكيل لجنـة مكونة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة ليس من بريطانيا وحـدها وإنما من عدة دول أخرى ٠ ووجـه « بنرمان » خطـاباً الى تلك اللجنـة حدد فيها مهمتها وجـاء فيـه :

« إن الامبراطوريات تتـكون وتتسـع وتقوى ، ثم تسـتقر الى حـد ما ، ثم تنحل رويداً رويداً ، وتزول ، والتاريخ ملىء بمثل هـذه الأمثلة ، وهى لا تتغير بالنسبة لأية امبراطورية أو أمة ، فهناك امبراطوريات روما وأثينـاوالهنـد والصين ٠ وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها ٠ فهل يمكن الحصـول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوربى وانهياره أو تؤخر مصـيره المظـلم بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعـد أن أصبحت أوربا قارة قـديمة استنفدت مواردها ، وشـاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لا يزال فى شـبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ؟ » ٠

وقـد ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طيلة سـبعة شهور ، ثم قدموا نتيجة أبحاثهم فى هيئـة تقرير سرى خاص الى وزارة الخارجية البريطانية وهاك مقتطفات منـه :

« إن الخطر ضـد الاستعمار فى آسـيا وفى افريقية ضـئيل ، ولكن الخطر الضـخم يكمن فى البحر المتوسـط ، وهـذا البحر همزة الوصـل بين الغرب والشرق ٠٠ وحوضـه مهـد الأديان والحضـارة ، ويعيش فى شواطئه الجنوبية والشرقية بوجـه خاص شعب واحـد تتوافر له وحـدة التاريخ ، والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط ، هـذا فضـلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية ٠

فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانيات الثورة الصناعية الأوربية ، وانتشر التعليم بها ، وارتقت الثقافة ؟

اذا حدث ما سلف فيستحيل الضربة القاضية حتما بالاستعمار الغربى ، وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى :

١ — على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة .. وتأخرها ، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل .

٢ — ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الأسيوى . وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشرى قوى ، وغريب . يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بإفريقية ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للاستعمار ، وعدوة لسكان المنطقة .

وإتماماً لهذه الدراسة التى ظهرت فى وثيقة بنرمان نضيف مجموعة من الحقائق المهمة مستقاة من أبحاث كبار المؤرخين الغربيين الذين عنوا بشئون الشرق الأوسط أمثال سديو وكارل بروكلمان ، وهذه الحقائق هى :

أولا : إن موقع الدول العربية بالشرق الأوسط وبخاصة مصر وقناة السويس يشكل نقطة حيوية فى التخطيط الاستعمارى ، فعن طريق هذه المنطقة يتم اتصال إنجلترا بمستعمراتها فى الهند والشرق الأقصى وباستراليا ، ويتم اتصال فرنسا بالهند الصينية . والبرتغال بجوا ، وهولندا باندونيسيا ، ومن هنا كانت مصر تمثل باب هذه المستعمرات .

ثانيا : انضمت أمريكا وكندا الى هذا الاتجاه ، فأما أمريكا

فقد دفعتها الصهيونية التى كانت ذات نفوذ كبير فى البيت الأبيض ولدى السلطات الحاكمة . فأعلنت أمريكا أن عزلتها انتحار بطىء لها . ولابدَّ من ارتباط وثيق يربطها بأوربا ضد الخطر الشيوعى الذى يهدد الجميع. وانها لذلك تسند مستقبل أوربا وتؤازر مخططها وتحمل أعباءها . وأما كندا فقد كانت أكثر احساساً بمشكلات الغرب وتفاعلا بها بسبب ارتباطها الوثيق بانجلترا .

ثالثا : يقول كارل بروكلمان إن الخبراء الانجليز أكدوا النظرية التى طالما برهن التاريخ على صوابها وهى أن التحكم فى مصر لا يتم إلا من قاعدة سورية . ومن هنا أصبحت فلسطين — وهى فى الأصل جزء من سوريا — ضرورية للسياسة الغربية .

رابعا : إن الاستعمار أو الانتداب أو الاحتلال أو غيرها من الاصطلاحات لا تفى بالمطلوب بالنسبة لهذا الموقع بالذات . فحركات التحرر به لا تهدأ ، عرفها الفرنسيون إبان حملة نابليون ، وعرفها الإنجليز إبان حملتهم على رشيد ، ومنذ وضعوا أقدامهم فى التل الكبير ، **ومن أجل هذا اتجهت الجهود الى شىء آخر غير الاستعمار والاحتلال والانتداب بالنسبة لفلسطين ، ذلك هو استعمار الإبادة أو تحويل فلسطين من بلد عربى الى غربى على نحو ما تمّ فى استراليا ونيوزيلندا وأمريكا ، وعلى نحو ما يجرى الآن فى جنوبى افريقية على أن يُتّخذ الاستعمار والانتداب والاحتلال وسيلة لهذه الغاية .**

وبدأ خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع يبحثون عن الوسيلة لذلك ، وسرعان ما اهتدى هؤلاء الخبراء الى استغلال الدين لتحقيق هذا الغرض ، ولعل المسيحية خطرت على بالهم ، ففى فلسطين ولد المسيح وتربى ودعا قومه ، وبيت المقدس مزار المسيحيين منذ ذلك العهد ، ولكن هذه الفكرة لم تكن طويلة العمر ، إذ رئى أن الأخذ بها سيكون عودة الى الحروب الصليبية ، وسيحمل فى طياته أسباب الفشل .

واتجهت الأنظار الى اليهود ، وفلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس أيضاً ، ثم هم يعانون ألواناً من الاضطهادات والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المال . والشرق الأوسط فيه غنى ، وفيه تخلف صناعى مما يهىء سوقا رائجة لأية دولة صناعية تجارية تقوم به . ولليهود بفلسطين الصلة التاريخية التى ألمنا بها ، والتى انقضت منذ عشرين أو خمسة وعشرين قرناً . ولكن الخبراء اتخذوهم وسيلتهم على كل حال . على أن يغلفوا اتجاههم باسم الإنسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المشردين .

ويصرح ألفرد مونت فى كتابه « الجار » بقوله :

إننى أتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذى تصبح فيه فلسطين وشرق الأردن وحدة ضمن الإمبراطورية البريطانية ، وتشغل مركزا مهما فى جسم تلك الإمبراطورية ، وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والإخلاص والمدنية .

وكانت فلسطين فى أكثر فترات التاريخ وبخاصة فى العهد الإسلامى تتبع مصر . فلما جاء العثمانيون حرصوا على عزل فلسطين عن مصر وضموها الى الشام الذى أحيوا له الاسم القديم (سورية) وكان هذا لإضعاف الجبهة المصرية التى كانت تمثل مركزا قويا دعا العثمانيين أن يحسبوا حسابه ، وظلت فلسطين جزءا من سورية حتى سقطت الإمبراطورية العثمانية ، فاستولت فرنسا على الجزء الشمالى من سوريا وجعلت منه سوريا ولبنان ، واستولت بريطانيا على الجزء الجنوبى وجعلت منه إمارة شرق الأردن وفلسطين .

والتقت حول فلسطين مصالح الصهيونيين مع مصالح الاستعمار الإنجليزى ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكانت فرصة ذهبية للصهيونيين ، وأصبح انتصار الإنجليز على الأتراك نقطة الأمل عند الصهاينة ، وبينما كان الإنجليز يستدرون عطف العرب ، ويقدمون لهم العهود والمواثيق

لتحقيق استقلالهم كاملا بعد الحرب . كانت المؤامرة الدنيئة تنسج خيوطها بين اليهود والإنجليز . وفى الثانى من نوغمبر سنة ١٩١٧ أعلن وعد بلفور المشئوم ونصه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى إقامة وطن قومى فى فلسطين الشعب اليهودى . وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل هذه الغاية . على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية التى للطوائف غير اليهودية فى فلسطين . ولا الحقوق ولا المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلد غيرها .

ويعترف وايزمان فى مذكراته أنه هو الذى كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب اللورد بلفور [١] .

واتجهت إنجلترا بكل قواها الى أن يتم لها الانتداب على فلسطين لتنفذ ما وعدت به ، ولم يكن ذلك عسيراً عليها . فإن القوى الغربية بعصبة الأمم كانت تشارك إنجلترا نفس الشعور . لأنها كانت واقعة تحت تأثير اليهود ، وما يسيطرون عليه من مناصب حساسة بالدول الكبرى ، وبخاصة فى أمريكا ، ثم بما يملكون من ذهب وإغراء ومتاع . ولذلك يقول وايزمان فى مذكراته بصلف وكبرياء : نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا بفلسطين ، وقد انتدبنا الانجليز لحكمها ، واستعنّا فى هذا بعصبة الأمم ، فنحن الذين سلمنا فلسطين للانجليز مؤقتا ، وليس الانجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك [٢] .

وكان مدلول الانتداب أنه أمانة ينتهى أجلها عندما يصبح السكان قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم . وقد برهن الشعب العربى بعد فترة قصيرة على هذه الصلاحية فاستعاد بعض حقوقه السياسية بسوريا

---

(١) مذكرات وايزمان ص ٢٧ .
(٢) مذكرات وايزمان ص ١٨ و ٢١ و ٢٩ .

ومصر والعراق متمثلة فى الحكم الذاتى ، وطالبت فلسطين بمثل هذا الحق . وذكر المتحدثون باسم فلسطين أنها ليست أقل تطوراً من البلدان العربية الأخرى . وقد أجاب تشرشل على هذا بقوله فى صراحة : إن المسألة ليست هى أن الشعب العربى فى فلسطين أقل تقدما من جيرانه . ولكن تشكيل حكومة وطنية بفلسطين سيحول دون تنفيذ العهد الذى قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودى بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

ويقول الدكتور وايزمان فى مذكراته :

لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها ، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود فى سنة ١٩٣٤ ولولا الثورات المتعاقبة التى قام بها عرب فلسطين لتمّ إنجاز هذا الاتفاق فى الموعد المذكور [١] .

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير هربرت صموئيل اليهودى ليكون أول مندوب سامى لها فى فلسطين ، وأطلقت يده لاتخاذ ما يراه من إجراءات فى البلاد ، ويعترف وايزمان فى مذكراته بأنه هو الذى اقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل ، وقد بادر هربرت بأن أسس الادارة المدنية بفلسطين من اليهود أو من أنصاف اليهود ، واعتبر اللغة العبرية لغة رسمية بالإضافة الى اللغة الانجليزية والعربية ، وسلم اليهود جميع وسائل الصناعة ، وجعلهم مشرفين على التربية ، ومهد لخلق إمارة شرق الأردن فى مارس سنة ١٩٢١ ، بالاجتماع الذى رتبه بين الأمير عبد الله والمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك حين زار القدس . وكان الهدف من خلق هذه الامارة هو إيجاد حاجز

---

(١) مذكرات وايزمان ص ٢٥ .

من الموالين لبريطانيا يحمون الوطن القومى اليهودى من هجمات الثـوار العـرب [١] .

وعمل هربرت على اغراق البلاد بالمهاجرين اليهود ، ويسرت الإدارة البريطانية لهم سبيل الحياة ، ومنحتهم أرض « الميرى » وأقامت لهم الدور والمصانع ، وألحقتهم بجيشها ليتم تدريبهم على استعمال أحدث الأسلحة . وفى سنة ١٩٤٤ كونت فى جيشها فرقة يهودية أسمتها The Jewish Brigade وأمدتها بالسلاح والذخيرة . فكانت جيشاً يهودياً رسمياً أصبح فيما بعد نواة جيش إسرائيل . وفى نفس الوقت أثقلت كاهل العرب بالضرائب . وسلبت منهم أرضهم بطريق أو بآخر ، وقصرت فى مد أرضهم بما تحتاج اليه من المياه ، ودفعت ملاك الأرض غير الفلسطينيين ليبيعوا أملاكهم لليهود ، وحرّمت على العرب المهاجرين العودة الى فلسطين ، وحرّمت على العرب حمل السلاح أو امتلاكه .

ويشرح وايزمان فى مذكراته نقطة خطيرة هى اجتماعه بالأمير فيصل بن الملك حسين سنة ١٩١٨ وتأثيره فيه ، ويقول وايزمان : شرحت للأمير أن البلاد تتسع للعرب واليهود جميعاً ، وبينت له حاجتنا الى مساعدته الأدبية ، فأعرب عن رغبته فى أن يرى العرب واليهود يتعاونان فى مؤتمر السلام ، وقال إن مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط ، وأن واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبرى ، وقد استمر حديثنا ساعتين ، واقترح الأمير فى نهاية الحديث أن تؤخذ لنا صورة معاً ، وقد وضعت هذه المقابلة حجر الأساس لصداقة متينة بينى وبين الأمير دامت طوال حياته [٢] .

وفى ٣ يناير ١٩١٩ حصل وايزمان على اتفاق مع فيصل يعترف فيه بوعد بلفور ، ويعد بأحسن العلاقات بين الدول العربية التى ستنشأ

---

(١) عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية ص ٢٦٣ .
(٢) مذكرات وايزمان ص ٤٥ .

فى الشرق وبين فلسطين ، وبعد شهرين عزز فيصل موقفه بخطاب أكد فيه هذا المعنى وأرسله الى القاضى الصهيونى « فيلكس فرانكفورتر » عضو الوفد الصهيونى الى مؤتمر فرنساى بفرنسا ، ولكن الشعب العربى كله رفض الاتفاقية رفضا باتا [١] .

ونقطة أخرى خطيرة كالسابقة يشرحها وايزمان متصلة بشخصية لورانس الذى تظاهر بصداقة العرب وخدع بعضهم ، وهو فى الحقيقة عريق الصلة بالصهيونية ، يقول وايزمان : ويقضى علىّ الواجب وأنا أبحث تاريخ العلاقات بين العرب واليهود ، أن أثنى أعظم ثناء على الخدمات التى قدّمها « لورانس » للقضية اليهودية ، لقد عرفت لورانس وقابلته مرات عديدة فى مصر ، وقد كان يتردد بعد ذلك على منزلى فى لندن من غير رسميات ولا كلفة ، وكان موقف لورانس من الصهيونية موقفاً ايجابياً ، لا شك فيه ، وكان من الخطأ البالغ أن الكثيرين كانوا يتصورون أن لورانس عدو الصهيونية بحكم أنه كان صديقاً للعرب [٢] .

وسرعان ما ارتفع رقم اليهود بفلسطين ارتفاعاً كبيراً عما كان عليه عند احتلال بريطانيا لفلسطين حتى نافس عدد العرب ، وقد جاء فى تقرير اللجنة الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧ ما يلى : « وما جاءت سنة ١٩٣٦ حتى كان الوطن القومى اليهودى قد نما وأصبح شيئاً يشبه حكومة داخل الحكومة ، فالطائفة اليهودية قد بلغت أربعمائة ألف شخص [وكانت خمسة وأربعين ألفاً سنة ١٩١٨] ولها عاصمتها « تل أبيب » وعلمها الوطنى ، ونشيدها القومى ، ونظامها الثقافى ، ولها شبكة من المصالح الاجتماعية والاقتصادية ، وترتبط هذه الطائفة باليهودية العالمية بوساطة الوكالة اليهودية ، بينما تدار شئون الجماعة الداخلية بواسطة

---

(١) مذكرات بن جوريون ص ٣٤ .
(٢) مذكرات وايزمان ص ٤٥ — ٤٦ .

مجمع وطنى أو مجلس ملى . ومجلس ربانيين . وإننا نرى أن الدولة المنتدبة قد قامت حتى الآن خير قيام بإنشاء الوطن القومى لليهود بفلسطين [١] .

ويبدو أن النشاط الإنجليزى لخدمة الصهاينة توانى أحياناً بسبب الضغط الذى كانت بريطانيا تتعرض له من العرب والمسلمين ومن الضمير العالمى ، ولكن اليهود لم يغفروا للانجليز هذا التوانى ، بل ثاروا عليهم كلما ظهر منهم التوانى فى خدمتهم ، فأوقع الإرهاب الصهيونى بالانجليز ألواناً من البلاء ، فدمروا منشآتهم ونسفوا دورهم وقاطراتهم ، وقتلوا كل من تحوم حوله شبهة التوانى فى خدمة الصهيونية ، وبلغ استهانتهم بالسيد الذى رباهم وآواهم أن شنقوا رجال البوليس على قارعة الطرق ، وأعلن بن جوريون أن الوكالة اليهودية بفلسطين لن تستطيع أن تساعد فى وقف هذا الإرهاب . واضطر الانجليز أن يحنوا الرأس وأن يعودوا لمسالمة اليهود ومساعدتهم .

واذا كان الانجليز قد أصابهم هذا البلاء ، فإن العرب قاسوا من الانجليز ومن اليهود ألواناً من التنكيل تقشعر لها الأبدان ، وقد تعاونت « الهاجانا » (أى منظمة الدفاع عن النفس) اليهودية مع الانجليز فى قمع ثورات العرب كما تعاون الانجليز مع جماعة « إرجوم زفاى ليومى » (أى المنظمة الحربية القومية) x وجماعة « شتيرن » [٢] للتنكيل بالعرب والإيقاع بهم غدراً وليست مذبحة دير ياسين ومذبحة قرية ناصر الدين بالقرب من طبرية إلا نماذج لكثير من أمثالها ، وكانت المحاكم الإنجليزية تحكم بالسجن على المعتدين اليهود ، ثم يُفَرَّج عنهم خلسة ليستأنفوا نشاطهم العدوانى الأثيم .

---

(١) تقرير اللجنة الملكية .

(٢) جماعة تنسب الى ابرهام شتين الذى كان له صلة بحكومة ايطاليا الفاشية ، وكانت هذه الجماعة تستعمل للتدمير والتعذيب للانجليز والعرب جميعا .

(Kirk : A Short History of the Middle p. 318).

دور الكنيسة الانجليزية فى خدمة اليهود :

إن دور الكنيسة فى خدمة اليهود يذكره وايزمان بصراحة فى العبارة التالية : وللقارىء أن يسأل ما هى أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أمانى اليهود فى فلسطين ؟ والجواب على ذلك أن الإنجليز — لا سيما من كان منهم من المدرسة القديمة — هم أشد الناس تأثراً بالتوراة ، وتديُّن الإنجليز هو الذى ساعدنا فى تحقيق آمالنا ، لأن الإنجليزى المتدين يؤمن بما جاء فى التوراة من وجوب عودة اليهود الى فلسطين • وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية فى هذه الناحية أكبر المساعدات (١) •

قيام إسرائيل :

ووصلت انجلترا الى الخطوة النهائية لتهويد فلسطين ، فاخترعت فكرة التقسيم وأيَّدته ؛ واستعملت هى وحليفاتها كل نفوذهم المادى بهيئة الأمم المتحدة حتى حصلوا على الأغلبية العددية بالنسبة للذين أعطوا أصواتهم ، وأعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين فى الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ ، وفى هذا الموعد سلَّمت بريطانيا البلاد لليهود بعد أن اطمأنت الى أنهم قوة يمكن أن تستولى على الحكم ، وتصدت الدول العربية للدفاع عن عروبة فلسطين ، وخاضت من أجل ذلك حرباً ضد اليهود ، ورجحت كفة العرب فى الجولة الأولى ، فتدخل النفوذ الاستعمارى وأرغم العرب على إيقاف القتال مدة محدودة ، وفى خلال هذه المدة انهالت الأسلحة الغربية على اليهود ، كما انهال المتطوعون الغربيون ، مما ضمن لليهود النصر فى الجولة الثانية ، وكان من الأخطاء العربية الجسيمة أن تُركت القيادة العامة لجيش الأردن الذى كان قائده « جلوب باشا » إنجليزيا يخدم أهداف بلاده قبل كل شىء •

---

(٢) مذكرات وايزمان ص ١٨ .

وقامت دولة إسرائيل . وأسرعت أمريكا فاعترفت بها . واعترفت بها روسيا ودول الغرب . وأخرجت إسرائيل العرب من دورهم . وسلبت ممتلكاتهم . وألقت بهم لاجئين خارج وطنهم . يعيشون فى خيام . او يتزلفون صغر اليدين بالبلاد العربية . ورفضت إسرائيل أن تصيخ لقرارات هيئة الأمم المتحدة بإنصاف اللاجئين . وراحت توفى للاستعمار بوعودها . فتآمرت مع إنجلترا وفرنسا للعدوان على مصر سنة ١٩٥٩ .

ولكن هذه الجولة الخاسرة كانت مطلع النور بالنسبة للبلاد العربية ؛ فقد هبت من سباتها . وأدركت ما يراد بها . وعرفت الخطر المحدق بمستقبلها ، فراحت تبنى نفسها بعزم وإصرار . وعلا صوتها فى المحيط العالمى فغطى على صوت إسرائيل وأنصارها . وكانت حرب العاشر من رمضان أول معركة نبدأها بإرادتنا . فعبرنا الى النصر بعد الهزيمة وحققنا الكرامة والمجد . وقد جاء فى التقرير السنوى لمعهد الدراسات الاستراتيجية الدولية فى لندن أن حرب أكتوبر بسلاحيها العسكرى والبترولى جعلت من العرب قوة سادسة فى العالم بعد أمريكا وروسيا والصين واليابان وكتلة أوربا . ويقول أيضا إن حرب أكتوبر جعلت بقاء اسرائيل فى أى أرض عربية ترفا باهظ الثمن لن تقدر عليه بعد اليوم أبدا (١) .

اليهود فى فلسطين وخارجها

فى الحديث عن قيام دولة اليهود بفلسطين يتحتم على البحث أن يحتوى ثلاث نقاط مهمة هى :

الأولى : الزراعة وسيلة اليهود لاستعمار فلسطين .

الثانية : علاقة اليهود خارج فلسطين بدولة اليهود .

الثالثة : الى أى مدى استطاعت الصهيونية أن تكوّن دولة على أساس الدين وحده ؟ .

---

(١) جريدة الأهرام : فى ١٠ مايو ١٩٧٤ .

وللإجابة عن النقطة الأولى نلجأ الى مؤرخ صهيونى هو « روفائيل ماهلر » الذى وضع دراسة عميقة عن وضع اليهود الاقتصادى فى البلاد المختلفة رأسمالية وشيوعية واشتراكية ، ويقرر هذا المؤرخ أن اليهود يتجنبون مهنة الزراعة ، وأنه ليس بينهم فلاحون قط ، فيما عدا مناطق صغيرة نائية فى بولندا وروسيا القيصرية ، وكما تجنب اليهود الزراعة فإنهم كذلك تجنبوا الصناعة ، فليس لهم فى المناجم عامل واحد ، وليس لهم أى دور فى النشاط الصناعى . أما الأعمال التى تخصصوا فيها فهى التجارة والمال والمهن الحرة كالطب والمحاماة والصحافة .

ويقرر المؤرخ الصهيونى أن هذا الوضع يثير الناس ضد اليهود لأنهم لا يسهمون فى عمليات الانتاج ، ولا يحملون عبء العمل مع المناضلين ، ويروى المؤرخ أنه طالما سمع فى بولندا من العمال هذا السؤال : لماذا لا نجد من اليهود أى عامل صناعى مثلنا ، لماذا لا نراهم فى هذه الأعمال المجهدة ؟ ويروى أنه قرأ أخيراً أن الاتحاد السوفيتى قرر أنه ليس من حق أية قومية من قوميات الاتحاد السوفيتى أن يكون لها نسبة بين طلبة الجامعات أكثر مما لها من نسبة بين عمال المناجم ، ويعقب المؤرخ على هذا بقوله : إنه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد لا فى روسيا ولا فى أمريكا [١] .

ويشرح لنا Hosmer [٢] السبب فى عدم إقبال اليهود على الزراعة والصناعة فيقول : إن اليهود فى خلال عصور التشرد لم يكن يسمح لهم بشراء الأرض ؛ إذ لم يكن يسمح لهم بالاستقرار فى البلاد التى نزلوا بها ، ومن ثم لم يتجهوا للزراعة ، كما أن اليهود لم يكن يسمح لهم بدخول المصانع والمناجم ، إذ كان يخشى أن يكونوا بها عوامل تخريب واضطراب ، وبذلك اتجهوا الى المهن الفردية ، كالطب والمحاماة والكتابة ،

---

(١) نقلا عن اسرائيليات للاستاذ احمد بهاء الدين ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢) The Jews p. 136

والتجارة ، على أن ميولهم للتجارة كانت أوسع لأنهم يربحون خلالها دون أن يقدموا للمجتمع الذى يعيشون فيه أية خدمات .

ولكن الحركة الصهيونية أدركت منذ وقت مبكر أن الزراعة هى التى تمنح الشعب استقراره وتغرس جذوره فى الأرض . ولذلك كان من أول اتجاهاتها خلق الفلاح اليهودى والمزرعة اليهودية ، فخلق المزرعة اليهودية كان قراراً سياسيا وليس قراراً اقتصاديا ، ومن أجل هذا حرص اليهود بفلسطين على توسيع مزارعهم . وللوصول لهذا الهدف حاولوا اغتصاب ماء الأردن بتحويل مجراه .

واتجه اليهود بالمزرعة لتكون وحدة زراعية وعسكرية فى نفس الوقت . فرجالها يعنون بالزراعة ويدافعون عن المستعمرة دفاعاً عسكرياً . حتى اذا قامت إسرائيل بحرب أصبحت المزارع المتجاورة بمثابة حصون دفاعية يسكنها الفلاح الجندى . وتمتد هذه على طول الحدود بين اسرائيل والبلاد العربية [١] .

ويتصل بهذه الخطة ما شرحه وايزمان زعيم إسرائيل بقوله : إن رأيى هو أن الوطن القومى له سبيل واحد لتحقيقه ، وذلك السبيل هو ضم دونم الى دونم وبقرة الى بقرة ، ومزرعة الى مزرعة ..... [٢] وبهذا كانت الزراعة هى السبيل الذى ارتآه اليهود طريقاً لتحقيق أهدافهم الصهيونية .

* * *

وللاجابة عن النقطة الثانية نذكر أن وعد بلفور تنبأ بخطر العلاقة بين اليهود خارج فلسطين وبين دولة اليهود ، فلمن يكون ولاء اليهود الذين يعيشون فى غير فلسطين ؟ هل سيكون ولاؤهم للبلد الذى ينتمون اليه

---

(١) انظر اسرائيليات للاستاذ احمد بهاء الدين ص ٦٨ وما بعدها .
(٢) مذكرات وايزمان ص ٧٣ .

سياسياً ؛ أو للبلد الذى ينتمون اليه روحياً ؛ وشمل وعد بلفور نصاً يقرر أن الوطن القومى لليهود فى فلسطين لا يتنافى مع الحقوق والمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى غير فلسطين .

وعلى هذا فاليهود فى غير إسرائيل مواطنون ، ولاؤهم — نظريا — للبلاد التى يعيشون فيها ويحملون جنسيتها ، ولكن العلاقة بين إسرائيل وبين اليهود خارجها لم تسر على هذه النظرية واتخذت من الناحية العملية الاتجاهات التى تحملها الأفكار التالية :

— أعلنت الصهيونية أن اليهود المقيمين خارج إسرائيل طوائف مشتتة تعيش فى المنفى ، وأنهم مواطنون إسرائيليون قبل كل شىء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التى يسبغونها على أنفسهم [١] . وتقول جولدا مائير عن هذا : **إن اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن أن يكون فى نفس الوقت صهيونيا [٢] .**

— تقول الصهيونية إنه اذا كان اليهود لا يتعرضون للاضطهاد فى العهد الحاضر كما تعرضوا من قبل فى روسيا القيصرية ، وفى ألمانيا النازية ، فإن تعرضهم للاضطهاد محتمل ، فهم ساميون ، وهم شعب مختار ممتاز ، وسيظل العالم لهذا يصطنع الوسائل لاضطهادهم .

— أما (أرى تاناكودار) أستاذ علم الاجتماع فى الجامعة العبرية فيضع الأمر بحيث لا يحتمل شكاً ، ويُلزِم اليهود أن يحسوا بالاضطهاد ولو لم يكن هناك احتمال له ، وهو يقول فى ذلك ؛ إن اليهودى حقاً هو من يشعر بأن هناك (مشكلة يهودية) حتى لو عاش بمفرده فى جزيرة نائية .

---

(١) محمد على علوية : فلسطين والضمير العالمى ص ١٣٨ .
(٢) محاضرة منشورة عن اليهود واسرائيل .

ويعلق الأستاذ أحمد بهاء الدين على هذا بقوله : إن اليهودى فى رأيه هو الذى يشعر باضطهاد حتى ولو لم يوجد من يضطهده [١] .

— رفعت الحركة الصهيونية فوق رأس اليهود خارج إسرائيل سلاح التهديد ، ولم يكن التخلص من هذا السلاح ممكنا إلا بكتابة شيك على أحد البنوك تبرعا لإسرائيل [٢] .

— ويقول سيسل روث المؤرخ اليهودى الإنجليزى : إن اليهود الإنجليز كان من السهل عليهم مثلا أن يؤيدوا إسرائيل خلال حربها ضد مصر سنة ١٩٥٦ لأن إنجلترا كانت ضد مصر ، ولكن ماذا يكون الحال لو جدَّ ما يجعل إسرائيل — كدولة — تقف فى لحظة ما ضد مصالح إنجلترا الأساسية بصورة أو بأخرى [٣] .

ومن أجل هذا كان كثير من المفكرين اليهود يعارضون قيام دولة اسرائيل إيماناً منهم بأن قيامها قد يكون سبباً فى اضطهاد اليهود من الدول الأخرى فى المستقبل ، لأن إسرائيل كدولة لابد أن تكون لها مع الزمن مواقفها المؤيدة والمعادية لدولة أخرى ؛ وفى حالات العداء سوف يكون اليهود بهذه الدولة فى وضع لا يحسدون عليه ؛ ولكن هذه الأصوات خفتت بعد قيام أسرائيل ، وإن بقى أصحابها يضمون أيديهم على قلوبهم [٤] .

* * *

وعن النقطة الثالثة نذكر أن علماء الاجتماع قرروا أن مقومات التجانس تشمل ثمانية أسس ، هى اللغة والدين والأرض والتاريخ

---

(١) اسرائيليات : ص ٦٤ .
(٢) من ملاحظات المؤرخ اليهودى الانجليزى سيسل روث .
(٣) المرجع السابق .
(٤) احمد بهاء الدين : اسرائيليات ص ٥٨ .

والاقتصاد والآمال والجنس والأمن الداخلى والخارجى ، وقد أقام اليهود دولتهم على أساس الدين فقط ، وواضح أن الفشل لابد أن يكون نصيب مثل هذا المجتمع لما بين معتنقى هذا الدين من تفاوت واسع ، وقد دل تعداد اسرائيل الذى أجرى سنة ١٩٥٦ على أن اليهود باسرائيل يبلغون ٤٥٥ر٦٦٧ر١ منهم ٨١٠ر١٨ غير معروف الأصل ، وأما الباقون فمنهم ٥ر٣١٪ من أبناء إفريقية و ٣ر٤٣ من أبناء أوربا و٨ر٠٪ من أبناء أمريكا ، فما العلاقة بين هؤلاء اليهود بعضهم والبعض الآخر ؟ .

إن كل المعلومات والأنباء تؤكد أن الصهيونيين الغربيين يحتقرون الصهيونيين الإفريقيين والأسيويين ، ولا يحتاج ذلك الى دليل [1] ، فالمسيحيون الأوربيون ينكلون بالمسيحيين الإفريقيين فى إفريقية ، ويعتقد اليهود الغربيون أنهم هم الذين أقاموا دولة إسرائيل ، وأن يهود الشرق عالة عليهم ، ولذلك لا تنقطع الاضطرابات والثورات بينهم ، كما أن حوادث فرار اليهود الشرقيين مستمرة ، ولا تسوى الدولة فى معاملاتها بين هؤلاء وأولئك . ومن الأحداث التى دونت فى العالم الغربى حادث بلدة « وادى صليب » حيث شب نزاع مسلح بين يهود إفريقية ويهود رومانيا الذين يسكنون هذه البلدة ، وقد استمرت المعركة أربعة وعشرين ساعة ، ورددت الصحف الفرنسية والإنجليزية خبر هذه المعركة وقد نشرت صحيفة جويش كرونيكل الإنجليزية أن مستر روبين عضو حزب ماباى للعمال قد صرح بأن معظم الذين يعملون فى الأعمال الحقيرة هم من اليهود الشرقيين ، وأن هذا يؤدى الى إحساسهم بالظلم الواقع عليهم ، وصرح الدكتور موشين من كبار اليهود الشرقيين بأن الاضطهاد العنصرى ضد اليهود الشرقيين اضطهاد حقيقى وليس مختلقاً [2] .

ويتضح من دراسة المؤلف الحافل الذى وضعه Hosmer عن اليهود

---

(١) اعترف ابراهام كاتزير رئيس دولة اسرائيل فى اغسطس ١٩٧٤ بالفوارق الاجتماعية الضخمة بين يهود الغرب ويهود الشرق داخل اسرائيل ، كما اعترف بالتعاسة التى يعانيها اليهود الملونون فى اسرائيل .

(٢) انظر نهاية اسرائيل لصبرى أبو المجد ص ٤٨ — ٤٩ .

أن ما يعانيه المجتمع اليهودى الآن من فرقة وتشعب ، عميق الجذور ، يرجع أصله الى عهد العودة من سجن بابل ، ويقرر Hosmer أن المجتمع اليهودى عقب العودة من هذا السجن كان منقسما الى قسمين بينهما حاجز حاد ، وكان أحدهما يكوّن الطبقة العليا ، ويكوّن الثانى الطبقة السفلى ، وكان القسم الأول يصف نفسه بأنه القسم المقدس أو « البذور المقدسة » التى لم تختلط بدم أجنبى وعادت من بابل لتعيد بناء الهيكل ، ومن هذا القسم يختار كبار القسس وكبار الرجال بالمدن ، أما القسم الثانى فيشتمل أولئك الذين قيل إن دماءهم اختلطت بدماء أجنبية ، ويتحتم أن يقنع هؤلاء بالمهن الحقيرة فى القرى ، ولا ينافسون أفراد القسم الأول فى امتيازاتهم ولا فى القيادة التى هى حق من حقوقهم (١) .

وقد عقد الطلاب الفلسطينيون ندوة عالمية فى أواخر مارس وأوائل أبريل سنة ١٩٦٥ دعى إليها كثير من الكتاب والمفكرين من شتى أنحاء العالم ، وتدارس المجتمعون قضية فلسطين وعروبتها والطغيان الصهيونى بها ، وما يلقاه من تأييد الاستعمار وعونه المادى والأدبى ، وفى هذا المؤتمر تحدث المدعوون وظهرت آراء لهم ، يجدر بنا هنا أن نشير الى بعضها ، فهى وثيقة الصلة بتلك النقطة التى نشرحها .

فمن بين المجتمعين قس أمريكى ، هو الدكتور « هومر أوجل » الذى زار إسرائيل ورأى هناك يهود الشرق ويهود الغرب ، وشاهد ما بين الطائفتين من خلاف ، فأعلن قوله : وجدت فى إسرائيل أقواما مختلفين ، **نجحوا فى إقامة مزارع ومدن ، وفشلوا فى إقامة وطن موحد ، ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى هزّه فى اسرائيل وإنما هزّه ايضا اختلاف القيم والمبادىء والأخلاق ، مما جعله يقرر أن استمرار هذه الدولة فيه قضاؤها على نفسها .**

---

(1) James Hosmer : The Jews p. 75.

ومن بينهم الكاتب البريطاني « نيفل باربو » الذى قال : إسرائيل لن يمكنها الاستمرار كدولة أوربية ، تعيش فوق أرض عربية ••• إن هذا استعمار صريح •

أما « أنتونى ناتنج » الوزير البريطاني السابق ، فقد كان رأيه مشروحاً وطويلا ، وذلك نتيجة لعمق صلته بالمشكلة ، ومتابعة تطوراتها ، فقد زار إسرائيل ، وزار البلاد العربية ، وله اتصالات لم تنقطع بمنظمات اللاجئين ومن هنا كان رأيه جديراً بالدراسة والتفكير •

ورأى « أنتونى ناتنج » يتلخص فى أن الجنس الأوربى من اليهود غير مستقر فى إسرائيل ، وأن هؤلاء الأوربيين لم يجدوا مطلقاً أماكنهم هناك ، ولم ولن يشعروا بأى استقرار بالرغم من كونهم الجنس الحاكم أو المسيطر •

ويعلل هو ذلك بالأوضاع التى فرضت عليهم الهجرة ، وتغير هذه الأوضاع الآن ، فقد هاجروا من أوربا تطاردهم ذكرى معسكرات الاعتقال ومآسى الحرب والحطام •• الى اسرائيل الموعودة حيث « أرض الأحلام » وحيث الفرص العديدة ، والمستقبل الجديد ، بالإضافة الى الحماية والأمان • ويقول أنتونى ناتنج إن معظم هؤلاء قد أصيبوا بخيبة أمل شديدة ، فإنهم لم يجدوا الفرص التى توقعوها ، ولا المستقبل الأفضل ، معظمهم كان من أصحاب المهن ، ولكن لم تستوعبهم مجالات العمل فى اسرائيل ، فتحولوا على الرغم منهم الى الزراعة وفلاحة الأرض فى المستعمرات التعاونية • وتمر سنوات وسنوات ثم يتأكدون تماماً أن الجنة الموعودة لم تكن إلا سراباً ، وأن معظمهم لا يحتل مكانه الصحيح ، وفوق ذلك إحساس مرير بالغربة • وبعدم الاستقرار ، وبالتفكك وفى نفس الوقت تنتعش أوربا من جديد وتتسع فيها مجالات العمل •

ويؤكد أنتونى ناتنج أن الرغبة فى العودة الى أوربا قد تحركت : وأن هناك أفواجاً قد عادت الى أوربا بالفعل ، وهو يدلل بهذا الراى

على أن تجربة دولة بأجناس مختلفة تجربة فاشلة ، وقــد سبق فشلها فى التاريخ عند ما غزا الصليبيون الشرق وعاشوا فيه وأقاموا دولة استمرت مائتى عام ، وانتهت بعودتهم الى أوطانهم من جــديد .

وعلى هــذه الأسباب السابقة يبنى « أنتونى ناتنج » نظريته التى تتنبأ بتقلص الجنس الأوربى من ناحية ، وامتصاص الجنس العربى لما بقى فى فلسطين من أجانب من ناحية أخرى فى تطور تاريخى ، ويقرر أن من الطبيعى أو من المحتم أن تستوعب فلسطين أبناءها المشردين خارجها . وأن تلفظ الأجانب الذين لا ينماعون فى الحياة الجديدة ، ثم تنشأ دولة فلسطين من حــكومة عربية إقليمية مزدوجة العنصر ، يعيش فيها العرب واليهود جنباً الى جنب [١] .

اليهودية والصــهيونية

تحــدثنا من قبل عن اليهود واليهودية ، ونريد هنا أن نبين العلاقة بين اليهودية وبين الصهيونية ، فهــذه العلاقة من النقاط المهمــة التى لم تتضــح تماما لدى كثير من الباحثين والكتاب .

والصهيونية (Zionism) نسبة الى جبل صــهيون الذى يقــع فى الجنوب من بيت المقدس ، وقــد اقتحمه داود إبان ملكه ، واستولى عليه من اليبوسيين الذين كانوا يقطنونه « وأخذ داود حصن صهيون ، ... » .

وأقام داود فى الحصن وسمّاه « مدينة داود » [٢] وأصبح صهيون مكاناً مقدساً لاعتقاد اليهود بأن الرب يسكن فيه ، فقــد ورد فى المزامير : رنّموا للرب الساكن فى صــهيون [٣] .

(١) صحيفة أخبار اليوم فى ١٩٦٥/٤/٣ .
(٢) صموئيل الثانى ٥ : ٧ — ٩ .
(٣) مزامير ٩ : ١١ .

وعلى هـذا فالصهيونية فى أبسط تعاريفها هى استقرار بنى إسرائيل فى فلسطين أى جبل صـهيون وما حوله ، وهى كذلك تأييد ذلك بالقـول أو بالمساعدة المالية أو الأدبية ، فالصـهيونى هو اليهودى الذى يؤثر أن يعيش فى فلسطين ، وهو كذلك من يساعد اليهود مادياً وأدبياً ليستوطنوا فلسـطين .

ويرى اليهود أن موسى كان أول قائد للصـهيونية ، وأول من شيد صرحها ووطـد دعائمها ، فهو الذى قاد بنى إسرائيل ليدخل بهم فلسطين عقب خروجهم من مصر [1] ، ولم يدخل موسى أرض الميعاد ولكن خلفاءه دخلوها كما شرحنا من قبل . وهبت أعاصير ضدهم حين أقحموا أنفسهم فى هـذه البلاد ، وأُخْرِجوا منها عـدة مرات ، وفى كل مرة كان فريق منهم يتطلع للعودة لأرض الهيكل وللحيـاة فى صـهيون كما ذكرنا من قبل ، وهؤلاء هم الصـهيونيون .

ويُعدُّ خروجهم سنة ١٣٥ م اجتثاثاً لدابرهم وتدميراً لجذورهم حتى أن الفتح العربى عند ما جاء بعـد ذلك بخمسـة قرون (٦٣٦) لم يكن بإيلياء (بيت المقـدس) يهودى واحـد ، إذ كانت الأطماع فى الاستقرار بفلسطين قـد زالت ، فارتضى اليهود الحياة فى مواطن الهجرة ، وبخاصة فى البلاد الإسلامية حيث تمتعوا بما يكفله الإسلام لغير أتباعه فى المجتمعات الإسلامية من حقوق [2] ، وتوقفت بذلك حركة الصـهيونية .

ومر الزمن ولم يُبدِ اليهود قط أى لون من ألوان الولاء للبلاد التى عاشوا بهـا ، واشتركوا فى مؤامرات ضدها كما ذكرنا من قبل ، فتعرضوا لحركة اضطهاد عنيفة فى أكثر البلاد التى نزلوا بهـا ، وكان من أشـدها قسوة المذبحة التى نزلت بهم فى روسيا سنة ١٨٨٢ [1] ، وعلى إثرها بدأت

---

(١) ايلى ليفى ابو عسل : يقظة العالم اليهودى ص ١٦ .

(٢) المجتمع الاسلامى للمؤلف ص ١٤٦ — ١٥٤ وانظر ما دونه Hosmer عن تسامح المسلمين مع اليهود فى كتابه The Jews ص ١٣٨ .

(٣) عن هـذه المذبحة اقرأ A History of the Jewish People by Margolis and Marx p. 109.

حركة الصهيونية من جديد ، وأدرك اليهود مرة أخرى أنه ليس ثمة عيش لهم إلا فى أرض أسلافهم ، أرض الميعاد • وكان باعث الحركة الصهيونية الجديدة يهودياً يدعى « سيمحا بينسكر » الذى أخذ يدعو فى روسيا لهذه الحركة ، وقد تألفت على إثر دعوته جمعية سميت « جمعية عشاق صهيون » ، ويقول وايزمان فى مذكراته إن الحركة الصهيونية فى حقيقتها وجوهرها نشأت فى روسيا ، وإن يهود روسيا كانوا العمود الفقرى للكيان اليهودى فى فلسطين منذ قيام الحركة (١) • وأخذ اليهود يتسللون من روسيا ، واتجه أكثرهم الى الولايات المتحدة ، وأراد بعضهم الاتجاه الى فلسطين ولكن الحكومة التركية أصدرت قانوناً يحرم على اليهود دخول فلسطين ، وفى الوقت نفسه منعت حكومة القيصر بروسيا الدعوة للهجرة ، وعلى الرغم من كل ذلك استطاع نفر قليل من الشبان أن يصلوا الى فلسطين سنة ١٨٨٢ حيث أنشئوا أولى المستعمرات الزراعية بالقرب من يافا ، وأطلقوا عليها اسم (ريشون ليزيون) أى الأولون فى صهيون ، ويسميها بن جوريون « الهجرة الأولى » أما الهجرة الثانية فكانت نتيجة الثورة الروسية التى قامت سنة ١٩٠٥ ، وقد تمكن القيصر من القضاء عليها ، ويقول بن جوريون إن هذه الثورة لو نجحت لأدت الى رفع الاضطهاد عن اليهود وبالتالى لاستقر يهود روسيا بها ، ولكن فشلها دفع اليهود الى ما يسميه بن جوريون بالهجرة الثانية ، وكان بن جوريون من مهاجرى هذه الموجة (٢) وتلا ذلك هجرات من الدول المختلفة بأوربا وبخاصة رومانيا ، حيث كان اليهود يعدون أنداداً للخارجين على القانون • وتبعاً لهذه الهجرات أنشئت عدة مستعمرات فى مناطق جودا والخليل والسامرية ، وقد تعرضت المستعمرات الصهيونية الى كثير من الكساد وأوشكت على الانهيار لولا المساعدات الضخمة التى قدمها أثرياء اليهود وبخاصة البارون أدمون دى روتشيلد (٣) •

---

(١) مذكرات وايزمان ص ١٤ •
(٢) بن جوريون : اسرائيل وسنوات التحدى •
(٣) اسرائيل كوهين : هذه هى الصهيونية ص ٣٢ وما بعدها •

وألفت فى بعض بلاد أوربا جمعيات مماثلة لجمعية عشاق صهيون التى ألفت فى روسيا ، ثم جاء هرتزل الصحفى النمساوى الذى يعتبر أباً للصهيونية الحديثة وتنسب له خطوتان مهمتان ، أولاهما تتمثل فى كتابه (الدولة اليهودية) الذى نشره عام ١٨٩٥ يدعو فيه الى تجميع اليهود فى مكان ما فى العالم ، وعن ذلك يقول : يكفى أن يعطونا أية قطعة من الأرض تتناسب وحاجات شعبنا وتكون لنا السيادة عليها ، فإن هدفنا ليس هو الأرض المقدسة بل أية قطعة من الأرض تخصص لنا [١] ، أما الخطوة الثانية فهى الدعوة لمؤتمر يهودى عام يعقد لبحث نظرية (الدولة الجديدة) ، وقد عقد هذا المؤتمر فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ حيث تبنى هذه النظرية على أن تكون الدولة الجديدة فى فلسطين ، ومن هنا سميت هذه الحركة التى تعمل على جمع اليهود فى فلسطين ، حول جبل صهيون ، بالحركة الصهيونية ، فأصبحت تجديدا للفكر الصهيونى القديم الذى بدأ فى روسيا والذى ذكرناه آنفاً [٢] .

ولن نستمر فى حديثنا عن مراحل تكوين إسرائيل ، فقد وفينا ذلك الموضوع بحثاً فى دراستنا السابقة ، ولكنا هنا نواصل كلامنا عن مراحل التطور المتصل بالصهيونية .

وأول ما يلاحظه الباحث فى هذا المجال أن الصهيونية عقب إعلانها فى حركة « عشاق صهيون » أو فى « الحركة الصهيونية » اتخذت لها مفهوماً أو مفاهيم محددة ، ومن أهمها إحياء اللغة العبرية وجعلها اللغة الرسمية للجماعة الصهيونية ، فكل من اعتنق فكرة الصهيونية كان عليه أن يبادر بتعلم اللغة العبرية دون إبطاء ، ويقول شختر فى بيان ضرورة اللغة العبرية لليهود : « اللغة العبرية هى الخزانة التى أودعنا فيها كل نفيس من حياة بنى إسرائيل الروحية ، ولولاها لفصلتنا من الشجرة

---

(١) هرتزل : الدولة اليهودية ص ٤٠ .

(٢) انظر

Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 706.

الكبرى التى هى بمثابة الحياة للمتصلين بهـا . إن اليهود الإغريقيين هى الطائفة الوحيدة المعروفة فى التاريخ بمحاولتها هـذه التجربة للتخلص من اللغـة العبرية ، وقـد خاب فألها وانتهت الى الهلاك . وسارت فى طريق الاضمحلال . وأخيرا ارتدت جملة عن الدين اليهودى . فلنتجنب مغالطة انفسنا . ليس هناك أى مستقبل لليهود الذين يقاومون اللغة العبرية » [١] .
كما اتخـذت الصهيونية فكرة التعصـب العنصرى والدينى ، وفكرة تقوية الشعور القومى لدى اليهود ، وإحياء التاريخ اليهودى . وتقاليد اليهود وعاداتهم ، واتخاذ القهر ضمن الوسائل المباحة للوصـول الى غايتهم . وهكذا أصـبح للحركة الصهيونية « إيديولوجية » خاصـة اذا استبحنا لأنفسـنا استعمال هـذا التعبير وكانت الجامعة العبرية من نتائج هـذا الاتجاه ، إذ قصـد بها أن تكون المعهد الذى يعمل لإحياء اللغة العبرية . ويتبنى تنمية الشعور القومى وفكرة التعصـب العنصرى .. وقد وضـع اللورد أللنبى أساسها سنة ١٩١٨ ، وافتتحها بلفور سنة ١٩٢٥ [٢] .

وخطوة ثانية خطتها الحركة الصـهيونية ، هى اتخاذ مختلف الحيل والسبل للتقليل من استعمال كلمة فلسطين ليسدل عليها النسيان ، وذلك باستعمال تعبيرات أخرى للدلالة على هـذه المنطقة ، بعضـها له صـلة بصـهيون وبعضها له صلة بماضى اليهود بهذه البلاد ، ومن أبرز التعبيرات التى استعملت تعبيران هما : « أرض صـهيون » و « إسرائيل » وقـد رجح التعبير الثانى عند قيام الدولة اليهودية ، لأن الصـهيونية بفلسطين عرفت بالعنف وحركات القسوة والتدمير . فاقتضت السياسة اليهودية أن تتحاشى استمرار استعمال هـذا التعبير خداعا للناس ، وإيهاماً لهم بأن الدولة الجـديدة لن تتخذ أساليب الصهيونيين ، والحقيقة أنه ليس هناك أدنى فرق بين الدولة الجـديدة وبين الصـهيونية .

وخطوة ثالثة خطتها الحركة الصـهيونية ، وبرزت بعـد قيام دولة

---

(١) فى الفكر اليهودى ص ١٧ .
(٢) مذكرات وايزمان ٦٤ ، ٦٦ .

إسرائيل وكان بن جوريون رائدها ، هى أنه ضَيَّق حــدود الصهيونية . إذ أعلن أنه لا يعد صهيونيا إلا اليهودى الذى يسارع الى جبل صــهيون مضحياً بكل شيء مؤثراً الحياة بفلسطين على كل حياة ، وإلا اليهودى الذى يحس وهو فى أى بلد آخر غير إسرائيل أنه فى المنفى ، وأنه آن الأوان لانتهاء عصر النفى والتشرد . ويقول بن جوريون ..... أما أولئك اليهود الذين يعتبرون أنفســهم جزءاً من الشــعب الأمريكى أو الإنجليزى أو الفرنسى ، أولئك اليهود الذين لا يشعرون أنهم يعيشون فى منفى ، أولئك اليهود الذين لا يرون أن مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأحفادهم لا يمكن أن يوجــد إلا فى اسرائيل ، هؤلاء اليهود جميعاً إنما يذوبون تدريجياً فى حضارة غير يهودية ، ولغــة غير يهودية ، إن هؤلاء الذين يطلقون عــلى أنفسهم كــذباً لقب الصهيونيين بحــكم انتمائهم الى منظمات تحمل هذا الاسم ، هم فى الحقيقة خطر على مستقبل اليهودية .

ويرى بن جوريون أن ما يربط بين اليهود ليس الدين اليهودى بدليل أن الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ويهود لا دينيون ، أى لا يؤمنون بوجــود الله ، وليس العنصر فإن نقاء العنصر بعد هــذا التشرد الطويل ليس ممكنــاً ، وليس اللغــة لأن اللغــة العبرية قد اختفت تقريباً ويتكلم اليهود لغــات متعــددة ، وإنما يربط بين اليهود رباط لا يتخلف هو رؤيا العودة ، هو الإيمان بأن الخلاص هو فى العودة الى جبل صهيون ، حيث أقام داود معبده الأول [١]

ونتخــذ جولدا مائير نفس الاتجاه ، فهى تقول فى محاضرة مطبوعة :

« بعد قيام صهيون لا يمكن أن يـُعَدَّ صهيونياً إلا ذلك الذى يحمل حقائبه ويأتى على الفور ....

---

(١) بن جوريون : دراسات ومحاضرات مطبوعة نقلا عن « اسرائيليات » للأستاذ أحمد بهاء الدين ص ٥٢ — ٥٤ .

« جميل جداً أن يعطينا اليهود فى الغرب تأييدهم وحماسهم وأموالهم ، ولكن هذا لا يكفى ، فمن بعيد لا يمكن أن تتم زراعة النقب ، وبقاء إسرائيل يتوقف على ما اذا كان ممكناً أن تزرع صحراء النقب وجبال الجليل . إننى لا أستطيع أن أفصل أمن إسرائيل عن تعمير النقب والجليل . إننى كلما سمعت أغانى اسرائيل يرددها اليهود فى نيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو رقص قلبى طرباً . ولكن ترديد الأغانى عن النقب فى نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب إنما تعمرها الأغانى اذا كانت تقنع الشباب اليهودى بالهجرة الى النقب . وإلا فسوف يبقى اليهود يعيشون فى أمريكا ويغنون عن النقب فى أمريكا ، ولكن النقب سوف يبقى خاليا مهجورا »[١] .

* * *

ومع مطلع الحركة الصهيونية بدأ التدبير الواسع الذى يرمى ليسيطر اليهود على العالم ، فقد كان قرارهم حول فلسطين هو القرار العلنى لمؤتمرهم فى بال ، أما القرارات السرية لهم فتتمثل فى « بروتوكولات حكماء صهيون » وسنتكلم عنها عند الكلام عن « مصادر الفكر اليهودى » . ولكن فحواها أن يتمكن اليهود من الاستئثار بحكم العالم ، وأن تكون فلسطين مركزاً للحكومة اليهودية التى تسيطر على الشرق والغرب ، فاليهود صفوة الخلق ، ولهم زعامة الجنس البشرى ، وليس للناس إلا السمع والطاعة لكل ما يشاء اليهود .

وبمرور الزمن وخلال حيل اليهود المختلفة استطاع هؤلاء أن يضموا الى صفوفهم كثيراً من قادة العالم من غير اليهود . فقد قدموا المال للمعسر وعابد المال ، وقدموا الجمال لهواة الجمال ، ولعبوا بأصواتهم فى الانتخابات الأمريكية ، وخدعوا الغرب فأوهموه أنهم سيكونون فى خدمته ... فاستجاب لهم كثير من القادة وأولى الأمر من أمثال تشرشل

---

(١) المرجع السابق ٥٦ .

وإيدن وترومان وأيزنهاور ، وكثيرا ما كان تشرشل يقول إنه صهيونى عريق وإنه يفخر بذلك •

ولا زال موكب الصهيونية يسير ، ولكن القوى العربية والإسلامية قصرت خطواته ، وهى تعمل جاهدة لتعيد هذا الموكب القهقرى ، وتضع مكانه العرب الذين يحملون رسالة الحب والسلام •





الباب الثاني

أنبياء بني إسرائيل وعقيدتهم من القرآن الكريم



أنبياء بنى إسرائيل

كما صـوّرهم القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن أنبياء بنى إسرائيل أو أكثرهم ، فصوّرهم فى صـورة كريمـة ، وأبرزهم ينطبق عليهم القانون الإلهى فى اختيـار الرسل . ذلك القانون الذى عبرت عنـه الآية الكريمة « الله يصطفى من الملائكة رسـلا ومن الناس » [1] فأنبياء بنى إسرائيل ككل الأنبياء صفوة أخيار ، وعندما تحـدث الفكر الإسلامى عن صـفات الرسل أثبت لهم جميعاً علو الفطرة ، وصحة العقول ، والصدق فى القول ، والأمانة فى تبليغ ما عهـد إليهم أن يبلغوه ، والعصـمة من كل ما يشوه السيرة النبوية . والزم أن يعتقد الناس أن الرسل ممدودة أرواحهم بمـدد من الجـلال الإلهى لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليهم سطوة روحانية [2] .

وعلى هـذا فالحديث عن أنبياء بنى إسرائيل مستقَى من القرآن الكريم ومن تفاسيره وشروحه التى دوّنها المسلمون ، يبرز هؤلاء فى إطار من الفضـائل والصـفاء .

وعلى عكس ذلك ما سيبدو لنا فيما بعـد عند ما نتحـدث عن أنبياء بنى إسرائيل معتمدين على مصادر أخرى غير القرآن الكريم ، وبخاصة المصـادر اليهودية ، فسنرى أن بنى إسرائيل لم يراعوا عنـد الحديث عن أنبيائهم إلاّ ولا ذمة ، ولم يُراعُوا فى حديثهم أى تقديس لهم أو إجلال ، فنسـبوا الى هؤلاء الأنبياء ولأسرهم ما يدنس تاريخهم وما ينبـو عن الذوق .

والفرق بين القرآن الكريم وبين المصادر اليهودية فى الموضوع يبدو

---

(١) سورة الحج الآية : ٧٥ .

(٢) الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٧٩ — ٨٠ .

أكثر وضوحاً عند عرض مسائل محددة غير عادية ، حدثت من بعض هؤلاء الأنبياء أو اتصلت بسيرتهم ، فقد عالجها الفكر الإسلامى بتؤدة وتقدير ، واتجه فى بحثها الى تأويل لا يخدش سمعة هؤلاء الأنبياء ولا يمس كرامتهم ، ولكن المراجع اليهودية ذكرتها متبنية جانب السوء والشر ، فنسبت لهؤلاء الأنبياء ما لا يمكن أن ينسب لأمثالهم ، وستأتى هذه الموضوعات فى سيرنا التاريخى مع هؤلاء الأنبياء •

وتاريخ بنى اسرائيل الصاخب يبدأ من موسى ، ويمكن ان نبدأ حديثنا عنده ، ولكن من الأفضل أن نذهب الى ما قبل موسى ، ليس فقط لنبدأ حديثنا عن يعقوب (إسرائيل) الذى ينسب له بنو إسرائيل ، بل لنبدأ بأصل هذه الشجرة ومطلع هذه الأرومة وهو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ، فذلك فيما أرى أتم وأوفى •

وعلى هذا فالأنبياء الذين سنتكلم عنهم فى هذا الفصل هم :

إبراهيم — إسماعيل — إسحق — يعقوب — يوسف — موسى — هرون — داود — سليمان ، وعن كل من هؤلاء الأنبياء سنورد آيات القرآن التى تصور اتجاهاته الفكرية والخلقية ، ثم نشفعها ببعض التعليقات والدراسات :

إبراهيم :

يقول الله تعالى فى سورة الشعراء :

واتل عليهم نبأ إبراهيم • إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ؟ فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا

مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الاخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لابى إنه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم [١] .

ويقول فى سورة مريم :

واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ، اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ، يا ابت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً [٢] .

ويقول فى سورة إبراهيم :

وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمناً ، واجنبنى وبنىَّ أن نَعْبُدُ الأصنام [٣] .

وهكذا يصف القرآن الكريم إبراهيم أجمل وصف ، ويضعه فى مكانة سامية بين الأنبياء ، ويعلق الباحثون المسلمون على مواقف إبراهيم تعليقات كلها إجلال وتقدير ، فهم يرون « أن العقيدة الحقة تغلغلت فى نفسه ، واستولت على فكره ، واستغرقت كل خطوات قلبه ، وملكت عليه مشاعره ووجدانه ، فهو يستهين بالنار يلقى فيها ، ويتقبل كل عذاب دون أن يتراجع أو يتقهقر ، وقد كانت ثورته على الأصنام كلامية وعملية ، وكان دفاعه عن عقيدته قوياً دون أن يهاب سطوة ملك أو تجمهر

(١) سورة الشعراء الآيات ٦٠ — ٨٩ .
(٢) سورة مريم الآيات ٤١ — ٤٤ .
(٣) سورة ابراهيم الآية ٣٥ .

جماهير ، وهو مع هـذا كان رقيق القلب يحاول أن يستغفر لأبيه مـع علمـه بضـلاله [١] .

ومن المسائل الشائكة التى تتصـل بإبراهيم وتختلف فيها وجهـة النظر الإسلامية مع وجهة النظر الإسرائيلية مسألة موقف إبراهيم من سارة زوجته عندما وفـد بها الى مصر ، وأحس بأنها ستكون مطمعا للحـكام والسادة ، وسنورد الآن وجهة النظر الإسلامية عن هذه المسألة كما ذكرها رجال من أدق الباحثين المسـلمين [٢] .

رحل إبراهيم الى مصر عندما ضاقت به سبل العيش فى الشـام ، ونزل ومعه زوجته سارة فى المنطقة المصرية التى كان يسيطر عليها آنذاك ملك من العماليق الهكسوس ، وكانت سارة ذات جمال باهر ، فوشى بها أحـد بطانة السوء الى الملك وأغراه بجمالها ، وزين له حسنها ، وحبب إليـه الاستحواذ عليها ، فصادفت هـذه المقالة رغبة فى نفسـه ، فدعا إبراهيم إليه ، وسأله عما يربطهما من سبب ، وما يصـل بينهما من قرابة . ففطن إبراهيم الى مأربه ، وعرف مقصده ، وخاف إن أخبره أنها زوجته أن يبيِّت الشرَّ له ، ويعمل على الإيقاع به لتخلص له من دونه ، وليستأثر بها من بعـده ، فقال إبراهيم له : هى أختى (يقصـد أختى فى الدين واللغـة والإنسانية) .

فَهِمَ الملك أنها ليست بذات بعل ، فأمر أن يذهبوا بها الى قصره ، ويسوقوها الى مخدعه ، ورجع إبراهيم الى زوجته ، فأخبرها بقصـته ، وطلب اليها أن تكون مصـدِّقة لقوله ، مؤكدة لخبره ، ثم أسلمها لعين الله ترعاها وتحفظها .

أُدخِلت سـارة الى قصر الملك ، وزُيِّنَت بفاخر الثيـاب وثمين

---

(١) الأستاذ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ١٥١ — ١٥٢ .
(٢) الأستاذ محمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن ص ٤٩ — ٥١ .

الحلى . ولكنها لم تعبأ بهذا الزخرف البراق ، ولا بذاك البذخ الخلاب ، ولم تُعْن بما أحيطت به من نعمة ، وما رأت من سعة السلطان وبسطة العيش ، ولم ينسها كلُّ ذلك الوفاء لزوجها والاستمساك بدينها ، وجلست مكتئبة حزينة . بل انتبذت مكاناً قصياً .

ولما أقبل الملك عليها ورأى ما بها من لوعة وأسى ، حاول أن يخفف من حزنها ويؤنس وحشتها ، ويزيل اكتئابها فجفلت ، وأحس الملك اضطراباً فى نفسه ووجيباً فى قلبه فابتعد عنها حتى تمالك قواه ، ثم أراد أن يعيد الكرة فعاد اضطرابه وخوفه ، فتركها وأوى الى فراشه واستسلم للنوم ، ورأى فى نومه رؤيا استبان بها الحق ، وعرف أن لها زوجاً ، وأحسّ بلزوم أن يعيدها له دون أن يمسها بسوء . فلما أفاق من نومه أطلق سراحها ووهبها « هاجر » خادمة لها ، كما وهبها بعض المال والماشية .

فهل ترى محنة أشد وفتنة أعظم من ذلك ؟ رجل غريب يفد الى بلد سعياً وراء الرزق فتسلب منه زوجته : ويفرّق بينه وبين أهله ، ولكن الذى نجىّ ابراهيم من حر النار وسعيرها ، حفظه من وصمة العار ونجّاه من العدوان .

ذلك هو الفكر الإسلامى تجاه هذه القصة ، فماذا يقول عنها اليهود ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال سترد فى الباب الثالث من هذا الكتاب .

اسماعيل واسحاق :

ابنا إبراهيم ، وقد رزق بهما بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، فقد كانت سارة عقيما لا تلد ، وكان يحزنها أن ترى بعلها الوفى يتطلع الى النسل ، وقد أصبحت هى على حال لا يرجى منه الولد بسبب تقدم سنها ، فأشارت على زوجها أن يدخل بأمتها (هاجر) التى قدمها لها حاكم مصر ، وتمنت سارة أن تنجب (هاجر) طفلا تقر به عين أبيه وتنشرح له نفس سارة ، فانصاع إبراهيم لرأيها ودخل بهاجر .

أنجبت هاجر غلاما زكيا هو إسماعيل . فانتعشت له نفس إبراهيم ، ولعل سارة قد شاركت إبراهيم فى سروره حينا ، وشايعته زمنا فى بهجته ، ولكن الغيرة لم تلبث أن دبت الى قلبها ، وعقدت عليها الكآبة سحابة مُطبِقة ، فأصبحت لا تطيق النظر الى الغلام . ولا تحتمل رؤية هاجر ، وطلبت من إبراهيم أن يبعد عنها الغلام وأمه بحيث لا يصل صوتهما الى سمعها ، ولا تقع عليهما عينها .

أذعن إبراهيم لإرادتها وكان الله أوحى إليه أن يطيع أمرها . فركب دابّته واصطحب الغلام وأمه ، وسار ، وطال به السير . وامتد به الطريق ، حتى وقف عند مكان البيت الحرام ، فانزل هاجر وابنها فى هذا المكان البلقع ، وتركهما فى تلك البقعة الجرداء ، وترك لهما — كما جاء فى رواية البخارى — جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ؛ ثم اتجه إبراهيم عائداً ، فنادته هاجر : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى ؛ فلم يلتفت لها إبراهيم . فسألته آلله آمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذاً لن يضيّعنا . وكان إسماعيل وأمه بذرة العمران الذى شمل هذه المنطقة فيما بعد على ما فصلته كتب التاريخ [١] .

ولم ينس إبراهيم ابنه فكان يفد إليه لماماً ويزوره من حين الى حين ، فلما شبّ إسماعيل وأطاق السعي والعمل ، رأى إبراهيم فى نومه أنه يؤمر بذبح ولده ، ورؤيا الأنبياء تعد بمثابة الوحى والأمر المباشر ، فارتحل إبراهيم حتى لقى ابنه ، ولنلجأ الى القرآن الكريم لنستكمل هذه الحادثة .

« قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبت ، افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما

---

(١) انظر صحيح البخارى وموسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف جـ ١ ص ١١٢ وما بعدها من الطبعة الحادية عشرة ، وقصص القرآن للأستاذ محمد جاد المولى وآخرين ص ٥٢ — ٥٣ .

أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم ، كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق » [1] .

وهكذا نجا إسماعيل من الذبح ، ومن الواضح أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق كما تذكر التوراة ، فبالنسبة للاستدلال بالقرآن نجد أن البشْرى بإسحاق جاءت بعد قصة الذبيح ، أى أن إسحاق لم يكن قد وُلِدَ بَعْدُ عند ما حدثت هذه القصة ، وهذا يؤكد أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق ، ويؤكده كذلك نسق الآيات التى وردت مبشِّرة بمولد إسحاق ، فقد ارتبطت بشارة المولد بأن الوليد سيكون نبياً وبأنه سيكبر ويتزوج ويولد له ولد يسمى يعقوب ، قال تعالى :

— وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين [2] .

— فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب [3] .

ومن التناقض أن يكلف الله إبراهيم بذبح غلام وعد الله أنه سيكون نبيـاً وأنه سيتزوج ويعقب .

وبالنسبة للتوراة يلحظ الباحث المدقق أن ما ورد بها عن تحديد الذبيح بأنه اسحق عمل مصنوع لم تتْقن صنعته ، فقد جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين « إن الله امتحن ابراهيم فقال له يا ابراهيم . فقال : هأنذا ، فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق . واذهب الى جبل الموريا وأصعده هناك مُحرَقةً على أحد الجبال الذى

(١) سورة الصافات الآيات ١٠٢ — ١٠٣
(٢) سورة الصافات الآية ١١٢ .
(٣) سورة هود الآية ٧١ .

اقول لك ... [١] » ووضع الاسم « اسحق » مع كلمة « وحيدك » تناقض ظاهر لأن اسحق لم يكن وحيداً لإبراهيم فى يوم من الأيام . فقد ولد وعمر اسماعيل أربع عشرة سنة كما نصت التوراة . وبقى اسماعيل واسحق معاً حتى مات ابراهيم ودفناه معاً فى مدينة حبرويه (الخليل)[٢] .

ودليل آخر نسوقه على كون الذبيح اسماعيل لا اسحق ، ذلك هو أن كاتبى التوراة من اليهود دأبوا على محاولة إسناد الفضائل الى أجدادهم ، فاذا كان فى قصة الذبح طاعة وامتثال فإنهم ينسبونها لإسحق . وسفراهم كذلك يحاولون أن ينقلوا بركة اسحق الى جدهم يعقوب بدلا من أخيه الأكبر عيسو على ما سيأتى [٣] :

يعقوب ويوسف :

إن ما ذكره القرآن الكريم عن يعقوب يضعه فى مكانه سامية من الحكمة واليقين ، تعال بنا نقتبس من آى الذكر الحكيم ما يبرهن على هذا الرأى :

— إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال : يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين [٤] .

— وجاءوا على قميصه بدم كذب ، قال (يعقوب) بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون [٥] .

— وقال يا بنىَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ، وما أغنى عنكم من الله من شىء ، إن الحكم إلا لله ، عليه توكلت،

(١) سفر التكوين الاصحاح الثانى والعشرين الفقرات ١ — ٣ .
(٢) سفر التكوين الاصحاح الخامس والعشرين الفقرات ١ — ٢ .
(٣) هناك ادلة اخرى على ان الذبيح هو اسماعيل . وقد اوردناها بالجزء رقم ٣٢ من المكتبة الاسلامية وهو الجزء الخاص بقصة اسماعيل .
(٤) سورة يوسف الآيتان ٤ — ٥ .
(٥) نفس السورة الآية ١٨ .

وعليه فليتوكل المتوكلون ، ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يُغنى عنهم من الله من شىء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها ، وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١) .

— قال : إنما أشكو بثّى وحزنى الى الله (٢) .

أما عن يوسف فإن السورة المسماة باسمه تسجل له قَدْرَه فى العلم والحكمة والعفة وضبط النفس قال تعالى :

— ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين ، وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب ، وقالت هيت لك . قال : معاذ الله ، إنه ربى أحسن مثواى ، إنه لا يفلح الظالمون .

ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٣) .

— قال : رب ، السجنُ أحبُّ الىَّ مما يدعوننى إليه ، وإلا تصرفْ عنى كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم (٤) .

ومن تعليقات الباحثين المسلمين على يوسف نقتبس العبارة الآتية : قد تقلب يوسف فى حالى البؤس والرخاء وتداولته أيدى ربحين : زعزع ورخاء ، وهو كالذهب الإبريز لا يزيد على التقلب فى النار إلا صفاء ، أو كالياقوت لا تؤثر فيه النيران ، فبينما هو فى كنف يؤثره بالكرامة ويحوطه بالمحبة ، اذا هو فى يد إخوة يسومونه الإهانة والمذلة ، ويلقونه فى غيابة

---

(١) نفس السورة الآيتان ٦٧ — ٦٨ .
(٢) نفس السورة الآية ٨٦ .
(٣) سورة يوسف الآيات ٢٢ — ٢٤ .
(٤) نفس السورة الآيتان ٣٣ — ٣٤ .

الجب ظالمين ، ثم يشم ريح الحياة من جـديد ولكنها حياة رق وعبوديه . ثم ينتقل منها الى عزيز مصر حيث يرى الترف والخير والغنى ولكن مع الغواية ودوافع الخطيئة ، بيـد أنه ينتصر على نفسه ، ويتخذ العفة ملجأه وإن دفعت به الى السجن ... (١) .

موسى وهـرون :

تكررت قصـة موسى وهرون فى القرآن كما لم تتكرر قصة أخرى . وقـد بيَّن الله فى القرآن الكريم كيف رعى موسى منـذ طفولته المبكرة ، ونشأه أطيب تنشئة ، واصطفاه لرسالته ، وشد أزره بأخيه هرون عند ما طلب موسى ذلك ، وأيده بأقوى المعجزات . وفى خلال القصـة يجىء فيض من الثناء على موسى وهرون ووصـف لموسى بأنه مناضـل فى الحق ، دءوب . لا يخاف فى الله لومة لائم : فاذا أخطأ موسى غفر الله له خطيئته وحرسـه من عواقبها ، ولنقتبس من آى الذكر الحـكيم بعض آيات بينات تتصـل بموسى وهرون :

— وأوحينـا الى أم موسى أن أرضـعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم . ولا تخافى ، ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين (٢) .

— ودخل المدينة على حين غفـلة من أهلها ، فوجـد فيهـا رجـلين يقتتلان ، هـذا من شيعته وهـذا من عـدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عـدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال : هـذا من عمـل الشيطان ، إنه عـدو مضل مبين ، قال : رب ، إنى ظلمت نفسى فاغفر لى . فغفر له ، إنه هو الغفور الرحيم (٣) .

---

(١) الأستاذ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ١٨٠ بتصرف .
(٢) سورة القصص الآية السابعة : وانظر تعليق البلغاء العرب على هذه الآية فى « المجتمع الاسلامى » للمؤلف ص ٢٠٩ — ٢١٠ من الطبعة السابعة.
(٣) سورة القصص الآيتان ١٥ — ١٦ .

— قال : رب اشرح لى صدرى ، ويسِّر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى ، يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيراً من أهلى ، هرون أخى ، اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ، كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً ، قال : قد أوتيت سؤلك يا موسى (١) .

— قال : يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء (٢) .

وتعرّض موسى لإيذاء بنى إسرائيل ، فقيل إنه دُبِّرت ضده مؤامرة ليرمى بالزنا فى حفل من الناس ، وقيل إنه أُتُّهم بقيلة مائية أو غيرها من العيوب الجسمانية ، وقيل إنه اتهم بقتل هرون أخيه ، وقد تصدى القرآن الكريم للدفاع وإثبات براءته .

قال تعالى :

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٣) .

داود :

اجتمع لداود النبوة والملك ، وحباه الله من النعم أشرفها ، ومن الفضل والتوفيق أكثره وأعظمه ، وقد تحدث القرآن عن ذلك فى آيات عدة نقتبس هنا بعضها :

— وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء (٤) .

---

(١) سورة طه الآيات ٢٤ — ٢٦ .
(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٤٤ — ١٤٥ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٦٩ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٠ .

— ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوِّبى معه ، والطير ، وألَنَّا له الحديد ، أن أعمل سابغات وقدِّر فى السرد ، وأعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير [١] .

واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب [٢] .

وهناك قصة تتصل بداود وواحد من رعاياه واسمه « أوريا » وامرأة اسمها « سابغ » وسنرى فيما بعد أن بنى إسرائيل يصورون اتصال داود بسابغ فى صورة الزنا ، كما يصورون داود مدبراً للمؤامرات ليتخلص من زوجها ، ولكن الفكر الإسلامى الذى يسمو بالأنبياء عن الرذائل والنقائص صور هذه المسألة فى صورة تنأى عن الكبائر ، ولم يرها إلا هفوة استحقت نوعاً من العتاب والتعليم من الله ، لنبيه ومصطفاه .

وقصةُ ذلك — فى نظر المسلمين — أن أوريا كان قد خطب سابغ لتكون زوجة له ، ولكنه استُدْعِىَ للحرب قبل أن يتم عقد الزواج ، وطالت غيبته عن خطيبته وأهلها ، فرآها داود فى هذه الأثناء ، فأعجب بها ، فخطبها من أهلها فاستجابوا له ، وتم الزواج بينهما ، وهى أم سليمان .

هل كان من اللائق أن يتزوج داود امرأة ارتبطت بغيره برباط ما ، مع أن عنده من الزوجات والسرارى عدداً كبيراً ؟ ذلك ما عوتب عليه داود بطريق غير مباشر حيث هبط عليه ملكان فى صورة رجلين يشكو أحدهما الثانى بأنه له تسع وتسعون نعجة ومع ذلك يطمع فى نعجة واحدة يمتلكها الشاكى ، ويستغل الطامع نفوذه وفصاحته لينال مأربه ، ويَحْرِم أخاه من

---

(١) سورة سبأ الآيتان ١٠ — ١١ .
(٢) سورة يس الآيات ١٢ — ٢٠ .

نعجته الوحيدة ، وحكم داود بأن هذا ظلم لابد أن يقاوم ، وابتسم الملكان ابتسامة لها معنى ، واختفيا وهناك صوت ينبعث : لماذا إذا ضممت « سابغ » الى عشرات النساء عندك وحرمت منها أوريا ؟ وأدرك داود أنه زل ، فانكب يستغفر الله ويرجو عفوه ، فغفر الله له ، وقص القرآن هذه القصة . وبها مزيج من العتاب والتربية والاستغفار والعفو ، قال تعالى :

وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم . قالوا : لا تخف . خصمان بغى بعضنا على بعض : فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وأهدنا الى سواء الصراط ، إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال : أكفلنيها . وعزنى فى الخطاب ، قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه . وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم . وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه ، وخر راكعاً وأناب ، فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [١] .

سليمان :

ورث سليمان ملك أبيه ، ومنحه الله من أفضاله ونعمه ألواناً تدعو للدهشة والعجب . وقد ذكر القرآن الكريم صور هذه المنح العظيمة ، وفيما يلى قبس من هذا الفيض الربانى الزاخر نقتبسه من الذكر الحكيم :

— وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً ، وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ، وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ، ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين ، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين [٢] .

---

(١) سورة ص الآيات ٢١ — ٢٥ .
(٢) سورة الانبياء ٧٨ — ٨٢ .

ويقول المفسرون عن حكم داود وسليمان فى الحرث إن زرعاً ناضجاً أكلته ليلاً غنم لغير أصحابه ، فشكا أصحابُ الزرع غرماءهم الى داود وعنده سليمان فحكم داود بالغنم لأصحاب الزرع عوضاً عن التلف . قال سليمان : غير هذا أرفق . فسئل : ماذا يرى ؟ فقال تدفع الغنم لصاحب الزرع عاماً ينتفع بألبانها وأشعارها وأولادها ، وفى خلال هذا العام تدفع الأرض لصاحب الغنم ليعيد زرعها وتنميتها . وبعد العام يسترد كلٌّ ماله . وأخذ داود بذلك .

— وورث سليمان داود ، وقال : يا أيها الناس عُلِّمْنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شىء ، إن هذا لهو الفضل المبين ، وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون [1] .

ولسليمان الريح غدُوُّها شَهْرٌ ورَوَاحُها شهر ، وأَسَلْنا له عين القِطْرِ ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آلَ داود شكراً ، وقليل من عبادى الشكور [2] .

* * *

وبعد ، هؤلاء هم أنبياء بنى اسرائيل فى آيات القرآن ، رسل مصطفون ، وقادة صالحون ، جاءوا ليكافحوا الشر فى قومهم ، وليقودوهم سواء السبيل ، ولكن بنى اسرائيل كانوا غلف القلوب فما انتفعوا بالإرشاد ، ولا اتبعوا الهدى ، بل ضلوا سواء السبيل ، وملأوا الدنيا تمرداً وشروراً ، كما رأينا وكما سنرى فيما بعد .

---

(١) سورة النمل الآيتان ١٦ — ١٧ .
(٢) سورة سبا الآيتان ١٢ — ١٣ .

عقيـــــدة بنى إسرائيل

كما صورها القرآن الكريم

ويجىء الآن دور الحـديث عن عقيـدة بنى اسرائيل ،وكما أعطى القرآن الكريم صـورة طيبة لأنبياء بنى اسرائيل ، فإنه كذلك تحـدث عن العقيـدة التى كلّفوا بهـا فصورها سليمة صـادقة صافية ، لا تختلف عن عقيدة المسلمين ، قال تعـالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعـده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل وإسـحاق ويعقـوب والأسباط [1] » . فالعقيدة الأصـيلة لبنى اسرائيل كانت الإيمـان بالله الواحـد الأحـد ، الفرد الصـمد ، إله الناس جميعاً ، خالقهم وراعيهم ، العالم بكل شىء ، القادر على كل شىء ، والإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر ، وما يتصـل بذلك من الحساب والثواب أو العقاب .

ونسوق فيما يلى من آى الذكر الحـكيم ما يوضـح هذه الصورة ، قال تعالى على لسان إبراهيم :

— إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، وحاجّه قومه ، قال أتحاجّونى فى الله وقـد هدانِ ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشـاء ربى شـيئاً ، وسـع ربى كل شىء عـلماً ، أفـلا تتذكرون ؟ وكيف أخـاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سـلطاناً ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظـلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ، وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفـع درجاتٍ مَنْ نشاء إن ربك حـكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسـف وموسى وهرون وكذلك نجزى

---

(١) سورة النساء الآية : ١٦٣ .

المحسنين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين[١] .

وتوضح هذه الآيات إيمان ابراهيم بالله الذى فطر السموات والأرض ، ومقاومته لقومه عند ما حاجوه فى ذلك ، وتأكيده أن الله وسع كل شىء علماً ، كما توضح أن أبناءه الأنبياء نالوا من الهدى والرشاد ما نال أبوهم إبراهيم « كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان ... » .

وهناك مجموعة أخرى أو مجموعات من آيات القرآن تشهد لإبراهيم وبنيه أنهم آمنوا بالإله الواحد القهار ، ونسوق منها قوله تعالى :

— ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون [٢] .

ومن العقائد التى كان على بنى اسرائيل أن يتبعوها ، إيمانهم بالبعث متبعين فى ذلك سنة أبيهم ابراهيم ، قال تعالى : وإذ قال ابراهيم : رب ، أرنى كيف تحيى الموتى ، قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً : ثم ادعهن يأتينك سعياً ، واعلم أن الله عزيز حكيم [٣] .

---

(١) سورة الأنعام لآيات ٧٩ — ٨٦ .
(٢) سورة البقرة لآيات ١٣٠ — ١٣٣ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٠ .

ويشرح الأستاذ محمد جاد المولى وزملاؤه هذه العقيدة بقولهم [١] :
قد كان ابراهيم مفعم القلب بالإيمان بربه ، ممتلئاً بالثقة واليقين بقدرة خالقه ، ومؤمناً بما أوحى اليه من بعث الناس بعد موتهم ، وحسابهم فى حياة اخرى على أعمالهم ، ولكنه أراد أن يزداد بصيرة وإيماناً ، وثقة ويقيناً . وتطلع الى أن يلمس البرهان المبين على البعث . ويرى الحجة الواضحة على النشور ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى بعد موتهم ، ويبعثهم بعد فناء أجسامهم ، فقال الله له : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى . قد أوحيتَ الىَّ وآمنتُ وصدقتُ ، ولكن تاقت نفسى الى المشاهدة ليطمئن قلبى ويزداد يقينى . فاستجاب الله دعاءه وآتاه سُؤْلَه ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيقطعها إرباً ويفرق أشلاءها بأن يجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم يدعوهن فيأتينه سعياً بإذن الله .

وفعل ابراهيم ذلك وعادت الأشلاء تتجمع ، وسعت إليه الطيور الأربعة ، وزاد يقين ابراهيم ، وامتلأ قلبه اطمئنانا .

وتكررت عقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر منسوبة الى غير ابراهيم من أنبياء بنى اسرائيل والصالحين منهم ، قال تعالى على لسان يوسف : إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتَّبعتُ ملة آبائى ابراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون [٢] .

---

(١) قصص القرآن ص ٢٣ .
(٢) سورة يوسف الآيات ٣٧ ـ ٤٠ .

وعن التوحيد واليوم الآخر والحساب يقول الله تعالى مخاطباً موسى : « إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاتبعنى وأقم الصلاة لذكرى ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردي » (١) ويقول الله تعالى على لسان موسى واصفاً الله جل وعلا بأنه خالق كل شيء ومانحه الهدى « ربنا الذى أعطى كل شيء خَلْقَه ثم هدى » (٢) . وعن علم الله سبحانه وتعالى يقول القرآن الكريم على لسان موسى « إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً » (٣) .

وعن الحياة الدنيا ومتاعها ، والحياة الآخرة وما بها من جزاء يقول الله تعالى على لسان موسى : « يا قوم ، إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » (٤) .

وهكذا كانت العقيدة التى نادى بها أنبياء بنى اسرائيل متفقة تماماً مع عقيدة المسلمين ، تهتم بوحدانية الله إله الكون ، وإسناد الصفات المقدسة إليه سبحانه ، كما تهتم باليوم الآخر والحساب وغيرهما من المعتقدات .

* * *

هذه فكرة واضحة عن أنبياء بنى اسرائيل وعقيدتهم من وجهة النظر الإسلامية ، ولكن بنى اسرائيل ثاروا فى وجه أنبيائهم ، ورفضوا الاستجابة لهم ، واطرحوا العقيدة التى جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء ، وقتلوهم أحياناً ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فعبدوا غير

---

(١) سورة طه الآيات ١٤ — ١٦ .
(٢) سورة طه الآية ٥٠ .
(٣) نفس السورة الآية رقم ٩٨ .
(٤) سورة غافر الآيتان ٣٩ — ٤٠ .

الله وأنكروا البعث ، ونسبوا لأنبيائهم مالا يمكن أن يصدر من أنبياء . ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات التي تحدثت عن بني اسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :

— ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١) .

— ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة (٢) .

— أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٣) .

— أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون (٤) .

— يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٥) .

— ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦) .

— من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١ .
(٢) سورة البقرة الآية ٧٤ .
(٣) سورة البقرة الآية ٨٥ .
(٤) سورة البقرة الآية ٨٧ .
(٥) سورة آل عمران الآية ٧١ .
(٦) سورة آل عمران الآية ٢١٣ .

وعصينا واسمع غير مُسْمَع ، وراعنا ، ليًّا بألسنتهم وطعناً فى الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم . ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا [١] .

— فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا [٢] .

— فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية . يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ... [٣] .

— وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلّتْ أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدنّ كثيراً منهم ما أُنْزِل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين [٤] .

— لُعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون [٥] .

— واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين [٦] .

---

(١) سورة النساء الآية ٤٦ .
(٢) سورة النساء الآية ١٥٥ .
(٣) سورة المائدة الآية ١٣ .
(٤) سورة المائدة الآية ٦٤ .
(٥) سورة المائدة الآيتان ٧٨ — ٧٩ .
(٦) سورة الأعراف الآية ١٤٨ .

— إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين [١] .

— اقتتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يَخْلُ لكم وجه أبيكم [٢] .

* * *

وسنرى فى الفصل التالى تفاصيل الانحراف الذى انحدر إليه بنو اسرائيل عند كلامهم عن أنبيائهم وعقيدتهم .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٢ .
(٢) سورة يوسف الآية ٩ .



الباب الثالث

أنبياء بني إسرائيل وعقيدتهم من غير القرآن الكريم



أنبيـــاء بنى اسرائيل
من غـير القرآن الكريم

يتحتم علينا أن نخصص مكاناً فى مطلع هـذا البحث لنذكر فيه مقدمة ضرورية له ، فنحن المسلمين نجلُّ كل الأنبياء ونعظمهم ، بيد أنا فى دراستنا العلمية نجـد عن بعضهم آراء لا تتفق مع عقيدتنا عنهم ، ولكنا مع هـذا نلتزم بذكرها لنتمكن من إعطاء صـورة متكاملة عن كل منهم تمثـل كل الجوانب وألوان التفكير ، فما ذكره المستشرقون من غمزات عن نبينا محمد صـلوات الله عليه فى تعـدد زوجاته وموقفه من القبلة ، ومن اليهود .. ذكرناه وناقشناه [1] ، وفى كتابى عن « المسيحية » تحـدثت عن المسيح فى رأى المسلمين ، ثم عن المسيح فى رأى المسيحيين ، فصـورته فى الأولى كما صوره القرآن بشراً رسولا ..... وفى الثانية أوردت أقوال المسيحيين عنـه التى تَصَوَّره ابن الله نزل الى الأرض وضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ....

وأنبياء بنى اسرائيل صوَّرهم القرآن تلك الصـورة الطيبة التى سبق أن أوردناها ، ولكن البحث لا تكتمـل عناصره حتى نورد عنهم ما ذكـرته التوراة وما ذكرته المراجع الأخرى ، على نمط ما فعلنا مع محمد ومـع عيسى ، ولن نحتاج فى العرض الذى سنقوم به الى مناقشـة ما سنورده من آراء ، لأن الرأى الإسـلامى قـد أوردناه بادىء ذى بدء وهو الذى نرتضـيه ، فنحن فى هـذا الباب الذى نأخـذ فيه ، نسرد آراء الآخرين حتى لا يكون البحث مبتوراً ، وبخاصـة أن أكثر ما سنورده مقتبس من الكتاب المقـدس لدى اليهـود ، والمسلمون يرون أنه محرف ، وليت شعرى لقـد حرّفه اليهود [2] لا ليرفعوا من مكانة أنبيائهم وعقيدتهم ، بل ليطعنوا

---

(١) اقرأ الجزء الاول من « موسـوعة التاريخ الاسـلامى والحضـارة الاسلامية » واقرأ كذلك كتاب « الاسـلام » من سلسلة مقارنة الاديان للمؤلف .
(٢) أو وضعوه كما سنرى عند الكلام عن العهد القديم .

الأنبياء وينحطوا بالعقيدة ، وهذا هو الذى دعا كثيرين من الباحثين الى الأخذ بما ورد فى التوراة متبعين المبدأ العام الذى يرى أن التحريف يكون لصالح من حرّف ولا يكون لإدانته . فاذا كان رجل مديناً لرجل بعشرة جنيهات وحرّف الدائنُ صكَّ الدَّيْن فإن الطبيعى أن يزيد الدَّيْنَ وليس طبيعياً أن يحرِّفه بالنقص ليجلب الخسارة على نفسه .

على أى حال فإن هذا البحث به صورتان متناقضتان . إحداهما مقتبسة من الذكر الحكيم تمثل رأى المسلمين وقد سبق إيرادها . والأخرى مقتبسة من التوراة ومن المراجع الأخرى نذكرها على مسئولية كتابها استكمالا لعناصر الدراسة دون أن نؤيدها أو نوافق عليها ، وحسبنا هذا التقديم الضرورى عن هذا الباب بوجه خاص وعن المواقف المماثلة بالكتاب كله بوجه عام (١) .

* * *

وقبل أن نأخذ فى هذا ، ينبغى لنا أن نوضح أن تاريخ العبريين يذكر عدداً من الأنبياء قاموا بين الناس بدور الوعاظ وظهروا بعد انقسام مملكة سليمان ، وكان ظهور هؤلاء رد فعل للنظام الطبقى الذى اتسع مداه بين اليهود ، فقد كانت هناك جماعة تنعم بالغنى الفاحش ، وكان آخرون يتساقطون جوعاً ، وكان كذلك رد فعل لانشغال الكهنة بالمال والتقاليد والمظاهر عن الروح الدينية الحقيقية ، ومن أجل هذا كثر فى هذا العصر من أطلقوا على أنفسهم أنبياء وكان هؤلاء — كما يقول (٢) — ينتمون الى أصول وطبقات متباينة ، فكان حزقيال مثلا من طائفة الكهنة وكان ذا عواطف كهنوتية ، وكان عاموس راعيا ، على

---

(١) يلاحظ القارئ مزيدا من الحيطة والتحرز حول هذه الدراسة . ولكن مما يخفف الحرج ان ما سنقتبسه هنا مأخوذ من الكتاب المقدس . وهو مطبوع ومتداول بين أيدينا . ومأخوذ كذلك من مراجع مطبوعة ومتداولة بيننا . وسيرد ذكرها مع كل اقتباس .

(٢) The Outline of History p. 294.

أنهم يشتركون فى كونهم يبثون فى الحياة قوة دينية خارج نطاق القرابين والشكليات المرعية لدى الكهانات والمعبد .... فظلوا بعيداً عن الخطة الدينية الرسمية ، ولم يبرح الكهان يتبرمون بالأنبياء تبرماً يتفاوت قدره ، إذ أنهم أصبحوا الناصحين غير الرسميين للناس فى الشئون العامة ، والناعين عليهم الخطايا والتصرفات الغريبة ، وهم قوم « نصبوا أنفسهم بأنفسهم » ولم يكن لهم من سند يستندون اليه إلا ما يحسون من نور باطنى ، وفى الكتاب المقدس صيغة ثابتة هى : وعند ذلك جاءت كلمة الرب الى .... ؛ ويروى عن عاموس فى محاربة الكهنة والأغنياء قوله : إنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروماً شهية ولا تشربون خمرها ، لأنى علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة ، أيها المضايقون البار ، الآخذون الرشوة ، الصادّون البائسين خلف الباب ، لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لأنه زمان ردىء [١] .

على أن هؤلاء الذين يطلق عليهم « الأنبياء » لم يكونوا كلهم يستحقون الاحترام ، فقد كان بعضهم من المتنبئين الذين يحاولون قراءة قلوب الناس ومعرفة ماضيهم ومستقبلهم ، ويتقاضون نظير ذلك بعض الأجور . وكان منهم متعصبون متهوسون يستثيرون مشاعر الناس بالأصوات الموسيقية الغريبة أو المشروبات القوية أو الرقص ، وينطقون فى أثناء غيبوبتهم بعبارات يراها أصحابهم وحياً أوحى إليهم ، وكان بعضهم لذلك يسخر من بعض [٢] ، وعن هؤلاء يصيح حزقيال : قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب ، هكذا قال الرب : ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ، ولم يروا شيئاً ، أنبياؤك يا اسرائيل صاروا كالثعالب فى الخِرَب ..... رأوا باطلا وعرافة كاذبة ، القائلون وحْىُ الرب ، والرب لم يرسلهم ..... [٣] .

(١) عاموس الاصحاح الخامس ١١ ـ ١٣ .
(٢) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٣) حزقيال ١٢ : ٢ ـ ٦ .

واذا ضربنا صفحاً عن المتنبئين والمتهوسين ، فإننا يجدر بنا أن نذكر كلمة عن أربعة قيل عنهم إنهم الأنبياء الكبار فى هذا العهد . وهم :

اشعيا (القرن الثامن ق م) : كان من مستشارى الملك حزقيّا ملك يهوذا (٧٢٩ — ٦٨٨ ق م) الذى حاصر سنحريبُ ملك آشور أورشليمَ فى عهده ؛ ولأشعيا نبوءة امتازت بشدة لهجتها ، فقد كان يحمل على من يتظاهرون بالورع ، مع جمع الأموال والسيطرة على الأقوات وحرمان الفقراء .

وعن أشعيا يقول W... : كان أشعيا من سكان أورشليم ؛ وهو ينتمى الى الطبقات العليا بين السكان ويحتَمَلُ انتسابُه للأسرة المالكة ، وقد بدأ نبوءته بالرؤيا التى قصها فى السفر المنسوب إليه ، ومن نبوءاته التى تحققت سقوط السامرية ، وهجوم سنحريب على أورشليم ، وهو أول من وضح أن يهوه إله عالمى وأن الممالك كلها أدوات فى يده ، وهو يدفع إحداها لتقتص من الأخرى على ذنب وقعت فيه ، وأشعيا أول من تنبأ بمجىء المسيح [١] .

أرميا (٦٥٠ — ٥٨٠ قم) : تنبأ بسقوط أورشليم ، ونادى بالخضوع لملوك بابل ، فاضطهده ملوك اليهود واعتدوا عليه ، وكان أرميا شديد الحقد على قومه يدافع عن بابل ويعلن فى الملا أنها سوط عذاب فى يد الله ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون ، وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله الى نبوخذ نصر ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله فى تلك الأيام أن يتهمه بالخيانة الوطنية ، وأن يظن أنه من صنائع بابل المأجورين [٢] . استمع إليه يقول على لسان ربه : إنى أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذى على وجه الأرض بقوتى العظيمة ، وبذراعى

---

(١) Civiliz...ion of the Ne.r E.st p 69

(٢) ول ديورانت قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٥٨ .

الممدودة . وأعطيتها لمن حسن في عيني ، والآن وقد دفعت كل هذه الأراضي ليد نبوخذ نصر ملك بابل عبدي ، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه ، وتخدمه كل الشعوب ... والأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذ نصر ملك بابل ، والتي لا تجعل عنقها تحت نيره إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء ، يقول الرب : حتى أفنيها بيده ، فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل ، لأنهم إنما يتنبئون لكم بالكذب [١] .
وكلام أرميا أبلغ وصف لأنبياء هذا العهد .

ويقول Weech [٢] عن أرميا إنه كان رجلا مثقفاً فصيحاً ، شديد التأثر بما كتبه هوشع ، وقد ندد بأخطاء قومه ، وأنذرهم بالعقوبة ، وقال أرميا بأن الدين مسألة عقيدة ، وليست مسألة طقوس ، وخلال حصار أورشليم صاح بأنه لا أمل ، ودعا للاستسلام ، وعندما سقطت المدينة أخذ أسيراً ولكن سرعان ما أطلق آسروه حريته وأعادوه الى أورشليم ، ليستغلوا فيه اتجاهه لتهدئة قومه ، ودعوته لهم بالخضوع للفاتحين الجدد ، ثم هاجر الى مصر مع من هاجروا إليها وهناك لم يسمع له ذكر بعد ذلك .

حزقيال (القرن السادس ق م) : عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا ، وكان يشجع قومه على احتمال المتاعب والمحن ، ويعلمهم أن ما نزل بهم إنما هو من القصاص العادل الذي أوقعه الرب عليهم ، وكان يحذرهم من مخاطر رخاء العيش وعبادة الأوثان في البلدان التي ساروا إليها بعد سقوط بلادهم .

وكان حزقيال من رجال الدين ، وقد أبعد الى بابل بعد استسلام أورشليم ويبدو أنه هناك منح قدراً كبيراً من الحرية ، وكان يلجأ له كثير

---

(١) أرميا ٢٧ : ٥ ـ ١٠ .
(٢) Civilization of the Near East p. 90

من الناس ليعرفوا منه أمر المستقبل ، إذ كان شائعاً أنه يوحى إليـــه وأن نبوءاته صحيحة ، وكانت تنبؤاته كئيبة توحى بالتشاؤم من المســـتقبل . ولم يهتم الناس بها فى بادىء أمره ولكن سرعان ما تحققت نبوءته عن تدمير أورشـــليم ، فالتف حوله الناس وآمنوا بما يقول ، وأصبح حزقيال بينهم وكأنه يتمتع بما يمكن أن يسمى الحاســـة السادسة ، وكثيراً ما كان يسقط فى غيبوبة أو يشـــمله الذهول ، وينسب له أنه نقل الفـــكر اليهودى من عهـــد يهوه الى ما هو عليه الآن ، ورفض القول بأن الأبناء يؤخذون بذنوب آبائهم ، وأعلن أن كل إنسان يؤخـــذ بذنبه فقط ، واهتم حزقيال بالطقوس الدينية ، وقال بالبعث والحساب وبالمسيح الذى سيجىء من نســـل داود ويصـــبح ملـــكا لليهود [١] .

دانيـــال : ويشـــتهر سِفْرُه بالمنامات والرؤى الرمزية التى أعلنت مستقبل الشعب الإسرائيلى ، لا سيما من الضربات الحالّة عليهم ، ووعدهم بالخلاص على يد المســـيح .

ولنعد بعد هـــذا الى الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم . لنروى عنهم بعض الأحداث التى وردت فى غير القرآن الكريم منسوبة لهم :

إبراهيـــم :

عن قصة فرعون وإبراهيم وسارة التى سبق أن أوردنا عنها وجهـــة النظر الإسلامية جاء فى سفر التكوين ما يلى : وحـــدث جـــوع فى الأرض فانحـــدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً ، وحـــدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته : إنى قـــد علمت أنك امرأة حســـنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون هـــذه امرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك ، قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا

---

(1) Weech : Civilization of the Near East pp. 90-91.

نفسى من أجلك ، وحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً فمدحوها لدى فرعون فأخذت الى بيت فرعون فصنع الى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ما رأى امرأة أبرام ، فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذى صنعت بى ؟ لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟ لماذا قلت إنها أختى حتى أخذتها لتكون لى زوجة ؟ والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب [١] .

وعن إله إبراهيم يتكلم المؤرخ Weech فيرى أن الفكر الدينى كان بدائياً فى عهد إبراهيم ، وأن الإله الذى دعا له إبراهيم كان من نوع الآلهة التى كان يعبدها أبوه ، وأنه هو يهوه الذى اعتبر إله بنى اسرائيل فيما بعد [٢] .

ميراث ابراهيم وميراث اسحق :

حرص واضعو التوراة على أن يسجلوا على ابراهيم أنه حابى ابنه إسحق وأعطاه كل ما كان له ، وأما بنو السرارى اللواتى كن لإبراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً الى أرض المشرق وهو بعد حى [٣] ، واذا كان واضعو التوراة قد حرصوا على إبعاد اسماعيل فيمن أبعدوا ، فقد نسوا ذلك وعادوا فذكروا ما يدل على أن اسماعيل ظل بجوار أبيه حتى موته ، واشترك هو وإسحاق فى دفنه [٤] .

وحدث مثل ذلك أيضاً بالنسبة ليعقوب وأخيه عيسو ولدى إسحق ، فتروى التوراة أن إسحق تزوج من امرأة اسمها رفقة فحملت منه ، وتزاحم فى بطنها توأمان فمضت لتسأل الرب فقال لها الرب : فى بطنك

---

(١) تكوين : ١٢ : ١٠ — ١٩ .
(٢) Civilization of the Near East p 83.
(٣) تكوين : ٢٥ : ٥ — ٦ .
(٤) نفس الاصحاح : الفقرة التاسعة .

امتّان ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوى على شعب . وكبير يُسْتَعْبَد للصغير ، فلما كملت أيامها لتلد اذا فى بطنها توأمان فخرج الأول أحمر كله كفرْوَة شعر فدعوا اسمه عيسو ، وأصبح بكر أبيه : وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدُعِىَ اسمه يعقوب . وطالما حاول يعقوب أن يحلَّ محل أخيه فى البكورية . وتقول التوراة إن يعقوب طبخ طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وقد أعيا فقال ليعقوب : أطعمنى لأنى قد أعييت . فقال يعقوب : بِعنى اليوم بكوريتك . فقال عيسو : أنا ماض الى الموت فلماذا لى بكورية ؟ فقال يعقوب : احلف لى اليوم . فحلف له ، فباع بكوريته ليعقوب ، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس فأكل وشرب وقام ومضى ، واحتقر عيسو البكورية [١] .

ويستمر سفر التكوين فى وصف المحاولات التى قام بها يعقوب لينال ميراث أبيه دون أخيه عيسو ، ويصف سفر التكوين أعمال يعقوب بالشطط والكذب لينال ما ليس له ، وفيما يلى عبارة سفر التكوين : وحدث لما شاخ إسحق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا بنى . فقال : هأنذا . فقال إسحق : إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك ، جعبتك وقوسك ، واخرج الى البرية ، وتصيد لى صيداً ، واصنع لى أطعمة كما أحب وأتنى بها لآكل حتى تبارك نفسى قبل أن أموت ، وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو الى البرية كى يصطاد صيداً ، وأما رفقة فنقلت ذلك ليعقوب ابنها وقالت له : إذهب الى الغنم وأحضر لى جديين جيدين فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب ، وتحضرها الى أبيك ويباركك . فقال يعقوب لأمه : هو ذا عيسو أخى رجل أشْعَر وأنا أملس ، وربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون ، وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له أمه : لَعْنَتُكَ علىّ يا بنى اسمع لقولى فقط ، فذهب وأحضر

---

(١) تكوين : ٢٥ : ٣١ — ٣٤ .

الجديين وصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب . وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبستها ليعقوب ابنها الأصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود الجديين . وأعطت الأطعمة والخبز الى يعقوب .

فدخل الى أبيه وقال يا أبى . فأجاب هأنذا من أنت يا بنى ؟ فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى . قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك ، فقال إسحق لابنه ما هذا الذى أسرعت لتجد ؟ فقال : إن الرب إلهك قد يسّر لى ، فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسك أنت هو ابنى عيسو أم لا فتقدم يعقوب الى إسحق أبيه فجسه وقال : الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لأن يديه كانتا مُشعرتين كيدى عيسو ، فقال له هل أنت هو ابنى عيسو ؟ فقال : أنا هو . فأكل إسحق وشرب وقال لابنه تقدم وقبلنى ففعل فشم رائحة ثيابه واعتقد منها أنه عيسو ، فدعا له وباركه قائلا : فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، لتستعبد لك الشعوب وتسجد لك قبائل ، كن سيداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين [1] .

ويستطرد سفر التكوين فيذكر أن عيسو عاد وصنع طعاماً وجاء الى أبيه فعرف ما حدث وطلب من أبيه أن يباركه وصرخ وبكى فقال له إسحق : هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك ، وبلا ندى السماء من فوق ، وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد [2] .

خال يعقوب يخدعه :

وحقد عيسو على يعقوب وحاول قتله فعرفت أمه ذلك فأوصت ابنها بالهرب الى بيت خاله لابان ، وهناك خطب يعقوب ابنة خاله الصغرى

---

(١) الاصحاح ٢٧ : ١ — ٢٩ .
(٢) نفس المرجع : ٣٩ — ٤٠ .

« راحيل » ، ودفع مهرها سبع سنين عملا لأبيها ، ولما أتمها طلب زوجته فأدخله أبوها على ابنته الكبرى « ليئة » وكانت عيناها ضعيفتين ، ولما غضب يعقوب لذلك التزوير طلب منه خاله أن يعمل سبع سنين أخرى ليزوجه ابنته الصغرى ففعل . وحدث أن يعقوب وهو عائد الى فلسطين أن قابله أخوه عيسو فتخوف يعقوب منه ، لما يعرف من سابق حقده عليه . ولكن عيسو كان كريماً معه ، فركض للقائه وعانقه [١] .

ويعلق J.W.D. Smith على تصرفات يعقوب هذه بقوله : ولا نجد بحال من الأحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب ، فقد كان واضحاً أنها غير عادلة وكان يسلك مختلف السبل وينتهز كل الفرص لينال حقوق أخيه ، كان مستعداً أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه ، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجاً حقيقياً لأخلاق اليهود ، وعلى هذا تُعْتَبَرُ تسميتهم باسمه ميراثاً دقيقاً ، فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن ابراهيم الذى كان رجل عقيدة وإيمان أكثر منه رجل ختل ودنيا [٢] .

الحياة فى بيت يعقوب :

وآل الأمر الى يعقوب بعد كل هذه الحيل ، وقارىء التوراة يجد احداثا عجيبة يدهش الإنسان أن تجرى فى بيت رسول ، ومن هذه الأحداث أن زوجة يعقوب (راحيل) كانت وثنية ، حتى بعد أن مضت عدةُ سنوات على زواجها منه ، وقد بلغ من وثنيتها وأخلاقها أنها سرقت أصنام أبيها وفرت بها هاربة من بيت أبيها مع زوجها الى فلسطين [٣] ، ومن هذه الأحداث أن رأوبين ابن يعقوب البكر زنى ببلهة زوجة أبيه

---

(١) تكوين : ٣٢ و ٣٣ .
(٢) God and Man in Early Israel pp. 15-17.
(٣) تكوين ٣١ : ١٩ .

وأم أخويه دان ونفتالى . وتساع هـذا الخبر حتى سمعه يعقوب [١] . ومن هـذه الأحـداث واقعة زنا وغـدر يقصها سفر التكوين كما يلى : وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيم بن حمور رئيس الأرض فأخـذها وزنى بهـا وتعقلت نفسه بها فكلم أباه أن يطلبها زوجة له ، فخرج حمور الى يعقوب ليطلب ابنته ، ولما عـلم أبناء يعقوب بما جرى لأختهم غضـبوا من شكيم لأنه صـنع قباحة فى اسرائيل وأسرّوا غضبهم ، فلما طلبها حمور زوجة لابنه وأبدى استعداده لدفـع مايطلبون مهراً . أجاب بنو يعقوب بمكر قائلين : لا نستطيع أن نعطى أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا ، فاذا اختتنتم أعطيناكم بناتنا وأخـذنا بناتكم ونصـير شعباً واحـداً ، فقبل شـكيم ذلك ، وكان أكرم بيت أبيه ودعا قومه للاختتان فقبلوا ، واختتن كل ذكر ، وحـدث فى اليوم الثالث إذ كان الجميع متوجعين أن هجم أبناء يعقوب على محـلة شكيم فقتلوه وقتلوا أباه وأهـله ونهبـوا المدينة ، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخـذوه ، وسبوا ونهبوا كل ثرواتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيـوت [٢] .

ومن الأحـداث التى وقعت فى بيت يعقوب مسألة حقـد إخوة يوسف عليه ، والتآمر للتخلص منه بالقتل أولا ثم بالعـدول عن القتـل إلى إلقائه فى البئر .... وقـد سبق أن أشرنا الى هـذه القصـة وهى لا تختلف فى التوراة عما سبق أن أوردناه [٣] .

موسى وهـرون :

يرسم المؤرخ العالمى Weech صـورة لموسى ننقلها فيما يلى : ظهر موسى بين بنى اسرائيل وهم يعيشون غرباء مضطهدين فى المجتمـع

---

(١) تكوين : ٣٥ : ٥٢٢ .
(٢) تكوين : الاصحاح الرابع والثلاثون .
(٣) تكوين : الاصحاح السابع والثلاثون .

المصرى . فقادهم موسى وخرج بهم من مصر ، وكان لهم قائداً ومشرعاً وإماماً ، ويرجع اليه ما عرف لبنى اسرائيل من ألواح وكتب ، وتجول بهم موسى فى التيه حيث عاشوا من جديد حياة البدو الرحل [١] : ودعاهم موسى الى التوحيد ، وكانت عقيدة التوحيد قد ظهرت فى العالم قبل ذلك على يد أخناتون فى مصر ، ويبدو أن موسى — وقد أمضى طفولته وصباه وشبابه فى مصر — عرف هذه العقيدة وتأثر بها ودعا لها [٢] .

ويقرر Hosmer أن مكانة موسى جاءت من كفاءته التى استطاع بها أن يقود بنى اسرائيل ويخرجهم من مصر . ثم من مقدرته على إملاء التوراة التى كانت قانون هذه الجماعة بعد أن لم يكن لها قانون . كما كانت القاعدة التى قام عليها بناء الدولة من الناحية السياسية [٣] .

ومن أبرز الأحداث التى تتصل بموسى وبربه وشعبه — على ما تذكره التوراة — مسألة سرقة اسرائيل حلىّ المصريين تنفيذاً لوصية الرب التى أوصى بها موسى وبلغها هذا الى قومه فعملوا بها ، وفيما يلى كلمات التوراة : وأعطى — أى أنا الله — نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين [٤] ، وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين [٥] .

ويعلق الأستاذ محمد عزة دروزة على هذا النص بقوله : ومهما كان

---

(١) Civilization of the Near East p. 53.

(٢) Ibid p. 88.

(٣) James Hosmer : the Jews p. 14.

(٤) خروج ٣ : ٢١ — ٢٢ .

(٥) خروج ١٢ : ٣٥ — ٣٦ .

من أمر فإن تسجيل هـذا الخبر بهـذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحـكم فى نفوس بنى اسرائيل من فكرة استحلال أموال الغـير وسلبها بنية وسيلة ، ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس . كما أنه كان ذا أثر شديدبدون ريب فى رسوخ هذا الخلق العجيب فى ذراريهم ثم من دخل فى دينهم من غير جنسهم (١) .

أما هرون فإنه — بناء على ما ورد فى التوراة — استجاب لقـومه حينما استبطأوا موسى وطلبوا منه أن يقيم لهم إلهاً يعبدونه ، وفيما يلى نص التوراة : ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هرون وقالوا له : قم اصـنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هـذا موسى ، الرجل الذى أصـعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصـابه . فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتـكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم ، وأتوا بها الى هرون ، فأخـذ ذلك من أيديهم ، وصـوّره بالإزميل ، وصـنعه عجـلا مسبوكاً ، وقال : هـذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، وبنى مذبحاً أمـامه ، ونادى هرون وقال غـداً عيد للرب . فبكّروا فى الغـد ،وأصْعَدوا مُحْرقات ، وقدّموا ذبائح سلامةٍ ، وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب (٢) .

داود :

أول شىء يمكن أن نقتبسـه من الكتاب المقدس عن داود أن نسـبه ليس اسرائيليا خالصـا ، وسفر راعوث يحـكى لنا قصـة هذا النسب ، واسم السفر مقتبس من اسم امرأة من مؤاب اسمها راعوث ، وخلاصـة هـذا السفر أن اسرائيليا من بيت لحم ومن سبط يهوذا نزح الى مؤاب مع زوجته وولديه تحت ضـغط الجوع ، ثم مات الرجل ، وبعـد فترة تزوج

---

(١) تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم ج ١ ص ٧٨ — ٧٩ .
(٢) خروج ٣٢ : ١ — ٦ .

الولدان من فتاتين من مؤاب إحداهما اسمها عُرْفة والثانية اسمها راعوث . ثم مات الولدان . وأرادت أمهما العودة الى بيت لحم فحاولت أرملتا ابنيها العودة معها . ولكن المرأة نصحتهما بالذهاب الى أهلهما . فقبلت عـرغة ورفضـت راعوث ، وأصرت على أن تصحب حماتها ، وفى بيت لحم تزوجت راعوث رجلا من أقارب حماتها اسمه بوعز ، فولدت له ولداً سمى عوبيد . وكبر هذا وتزوج ووُلِدَ له ولد سمى يسَّى وهو والد داود [١] .

وأهمية هذا النسب خطيرة بالنسبة للفكر الذى حدده اليهود مع قيام دولتهم . فاليهودية الجديدة تَعْتَبِر السلالة من ناحية الأم هى السلالة التى يعتمد عليها فى نقاء الدم اليهودى ، ويعتبر « غير نظيف » عند اليهود من اختلط دمه . ويُعتبر غير يهودى من كانت أمه غير يهودية [٢] .

ويعتبر عهد داود وسليمان عهد الاستقرار النِّسبى لبنى اسرائيل ، وقد كان كل منهما ملِكاً على مملكة العبريين ، ومن أجل هذا كتب عنهما المؤرخون أكثر مما كتبوا عمن سبقوهم من قادة بنى اسرائيل . وتبعاً لذلك ستكون اقتباساتنا عنهما ليست من الكتاب المقدس فحسب بل مما كتبه المؤرخـون كـذلك .

ويصـف ول ديورانت داود بقوله : وقـد استطاع الأدب فى هذا العصر البعيد أن يرسم له صـورة كاملة ، صـورة واقعية فيها كل ما فى النفس الحية من عواطف وانفعالات متعارضـة : فهو قاس غليظ القـلب كما كان الناس فى وقته وكما كانت قبيلته ، وكما كانت الصـفات التى خلعها

---

(١) نظر سفر راعوث .

(٢) نشرت جريدة النيويورك تايمز الامريكية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٩٦٠ قصة امرأة تدعى ريتا كان أبوها يهوديا . وشبت فى المانيا يهودية ، وعانت الاضطهاد لانها يهودية . واعتقلها الانجليز فى قبرص لانها يهودية ، وجاءت الى اسرائيل كيهودية . وعاشت فى احد المعسكرات اليهودية ، وتزوجت يهوديا وعاشت تمارس الشعائر اليهودية ؛ ثم — فجاة — اعلنت وزارة داخلية اسرائيل أن ريتا غير يهودية ؛ لان الوزارة عرفت ما يدل على أن أمها ليست يهودية (انظر اسرائيليات للاستاذ أحمد بهاء الدين ص ١٩٨) .

على إلهه ، ولكنه مع هـذا كان مستعداً لأن يعفو عن أعـدائه ، كما كان يعفو عنهم قيصر والمسيح ، وكان يقتل الأسرى جملة كأنه ملك من ملوك الآشوريين ، ويأمر ابنه سليمان بالقتل ويشجعه عليه ، ويأخـذ امرأة أوريا لنفسـه من غير حياء ، ويرسل زوجها الى الصـف الأول فى ميدان القتال ليتخلص منـه [1] .

وبمناسبة الحـديث عن زوجة أوريا يجـدر بنا ان نعود الى الكتاب المقـدس لنقتبس القصة كاملة ، ففيها ـ بناء على رواية الكتاب المقدس ـ أحـداث موغلة فى القسوة وبعيدة عن العفة ، وفيما يلى كلمات الكتـاب المقـدس : أرسل داود قائده يؤاب وجنوده ومن بينهم جندى اسمه أوريا ، فخربوا بنى عمون وحاصروا ربَّه ، وأما داود فأقام فى أورشـليم ، وفى المساء قام داود عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من عـلى السـطح امرأة تستحم للطهارة من طمثها وكانت جميلة المنظـر جـداً ، فأرسـل لها داود وأخذها ودخل بها ، وعند ما جاء موعد الطمث لم تحض ، فأدركت أنها حملت من داود إذ كان زوجها بعيداً فى المعركة ، فأرسلت الى داود وقالت إنى حبلى ، فأرسل داود الى يؤاب يقول أرسل الىَّ أوريَّا ، فأرسله ، فسأله داود عن سلامة يؤاب وسلامة الشعب ونجاح الحـرب . وقال داود له : انزل الى بيتك واغسل رجليك ، ولكن أوريَّا لم يذهب الى بيته ونام على باب الملك مع عبيد سيده ، ولما عرف داود ذلك سـأله عن السبب فأجاب أوريا : إن التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام ، وسيدى يؤاب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى ؟ وحياتك لا أفعل هـذا الأمر . فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضـاً وغـداً أطلقك ، وفى الصـباح كتب داود مكتوباً الى يؤاب وأرسله مع أوريا ، وفى هـذا المكتوب يقول داود : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت ،

---

(١) ول ديورانت : قصـة الحضارة جـ ٢ ص ٢٣١ .

ففعل يؤاب ، ودفع أوريا وجماعة معه حتى دنوا من سور المدينة ثم تقهقر يؤاب عنهم فماتوا جميعاً ، وأرسل بذلك الى داود ، وقال يؤاب للرسول : إن غضب الملك لأننا دنونا من المدينة وتعرض رجالنا لمقذوفات السكان من خلف الأسوار ؟ فقل له : إن أوريا قد مات . فلما سمعت امرأة أوريا أن بعلها قد مات ندبته ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً [هو سليمان] ويختتم الإصحاح بقوله : وأما الأمر الذى فعله داود فقبُح فى عينى الرب (١) .

ويتحدث العهد القديم عن حادثة مدبرة وقعت فى بيت داود . وهاك كلمات هذا الكتاب : كان لأبشالوم بن داود شقيقة جميلة اسمها ثامار . وقد أحبها وتتيم بها أخ لها من أبيها اسمه أمنون . وحدث أن أمنون مرض وطلب من أبيه أن تحضر أخته لتعد له طعاماً وتطعمه . ولما حضرت أخته أخلى المكان وزنا بها على الرغم منها ، وخرجت ثامار صارخة باكية ، ولما عرف أبشالوم شقيقها هذا الأمر دبر فى نفسه مكيدة لينتقم من أمنون ، فدعاه هو وإخوته الى الطعام ، وأوصى عبيده أن يثقلوا الطعام والشراب لأمنون حتى يسكر ثم يقتلوه ... (٢) .

سليمان :

نال سليمان من عناية الباحثين والمؤرخين نصيباً كبيراً ، فقد كانت دولة اليهود فى أول عهده فى أقصى قوتها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن عصر سليمان اتجه الى الملاذ والترف أكثر من اتجاهه الى خدمة الدين والمبادىء ، وبين أيدينا مجموعة زاخرة من المعلومات عن هذا العصر ترويها من الكتاب المقدس ومما كتبه المؤرخون والباحثون :

لما آل الملك الى سليمان ، قتل جميع منافسيه ليستريح من متاعبهم ،

---

(١) صموئيل الثانى : الاصحاح الحادى عشر .
(٢) صموئيل الثانى : الاصحاح الثالث عشر .

ولكن عمله هذا لم يغضب يهوه إلهه الذى أحب الملك الشاب ووهب له حكمة لم يهبها أحداً من قبله ولا من بعده [1] . ويذكر سفر الملوك الأول أنه قتل أخاه أدونيا ، وقتل يؤاب قائد جيشه وهو ممسك بقرون المذبح مستجيراً ، وقتل شمعى أحد كبار الرجال فى مملكة أبيه [2] .

ويصف غوستاف لوبون سليمان بقوله : وقد عاش سليمان حاكماً شرقياً حقيقياً بكثرة آلهته ، وبدائرته حريمه المشتملة على مئات النساء ، وبثيابه الزاهية ، وبقصوره ، وحرسه الأجنبى ، وهو الذى شاد الهيكل عن زهو لا عن زهد ، وذلك تقليداً لأبهة ملوك مصر وآشور واستنساخاً لطرزهما البنائية ، وانهمك سليمان فيما لا عهد لأسباط بنى اسرائيل به من ضروب الملاذ الآسيوية ، فلم يفكر فى غير التمتع بعمل داود تمتع ذى أثرة ، فأثقل كاهل الشعب بالضرائب ، ليقوم بنفقات شهواته ، معداً بذلك مستقبل الفتن [3] .

وقد تحدث ول ديورانت عن سليمان حديثاً طويلا ، وفيما يلى مقتبسات قصيرة مما قاله عنه : استخدم سليمان ثروة بلاده فى ملاذه الشخصية ، وأخص ما استخدمها فيه ، إشباع شهواته فى جمع السرارى ؛ وإن كان المؤرخون ينتقصون زوجاته السبعمائة الى ستين أو سراريه الثلاثمائة الى ثمانين ، وقسم بلاده الى اثنى عشر قسما إدارياً ، وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الإثنى عشر ، وكان يرجو من وراء ذلك أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم ، وأن يؤلف منهم شعباً واحداً ، ولكنه أفلس فى هذا وأفلست بلاد اليهود معه ، ورغبة فى جمع الأموال فرض سليمان الإتاوات على جميع القوافل المارة بفلسطين ؛ كما

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة : جـ ٢ ص ٣٢٢ ، واقرأ الملوك الاول الاصحاح الثالث : ١٢ .

(٢) الملوك الاول : ٢ : ٢٨ .

(٣) اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى ص ٢٩ وانظر .
Weech : Civilization of the Near East p. 86.

غرض جزية الرؤوس على رعاياه ، وطالب كل قسم من أقسام دولته بقدر من المال ، وأعاد للدولة احتكارها القديم لبعض صنوف التجارة [١] .

وفى الحديث عن الحياة الاجتماعية فى عاصمة بنى اسرائيل وبخاصة فى عهد سليمان يقول ول ديورانت : كان على الفتاة أن تثبت ليلة عرسها أنها عذراء وإلا رُجمت حتى تموت ، ولكن الزنا كان على رغم هذا منتشراً بين اليهود ، ويلوح أن اللواط لم ينقطع بعد تدمير سدوم وعمورة ؛ ولما كان القانون لم يحرم الاتصال بالعاهرات الأجنبيات ، فإن المؤابيات والمَدْيَنيِيَّات وغيرهن انتشرن فى الطرق العامة ، حيث كن يعشن فى مواخير وخيام ، ويجمعن بين الدعارة وبيع مختلف السلع الصغيرة ، ولما كان سليمان لا يتشدد كثيراً فى هذه الأمور فإنه قد تساهل فى تطبيق القانون الذى كان يحرم على هؤلاء النساء السكنى فى أورشليم ، وسرعان ما تضاعف عددهن حتى كان الهيكل نفسه ماخورة للزنا والفجور ، كما وصفه مصلح غضوب [٢] .

وينسب الكتاب المقدس انحرافات دينية لسليمان ، ومن هذا الكتاب نقتبس بعض عبارات عن ذلك :

جاء فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ما يلى ، وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يُمِيلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه

---

(١) قصة الحضارة : ج ٣ : ص ٣٣٣ — ٣٣٤ .
(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة : ج ٢ ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عَشْتُورَث آلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب . ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعاً لِمُولَك رجس بنى عمُّون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذى تراءى له مرتين ، وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب [١] .

ويعلق Wells على عبارة الكتاب المقدس بقوله إن إقامة سليمان هيكل أورشليم ورؤياه لربه ومحادثته له فى مستهل حكمه ، لم تحل دون ابتداعه فى أواخر أيامه ضرباً من العبث بالأمور الدينية فإنه أَكْثَرَ من الزواج وأخذ يرفه عن زوجاته الكثيرات بتقديم الضحايا لآلهتهن القومية ، فهو يقدم القربان لربة صيدا (عشتورت) ، ولرب مؤاب (شموس) [٢] وغيرهما ، والواقع أن وصف الكتاب المقدس لسليمان يصوره لنا ملكاً متقلباً كغيره من الملوك ، لا يَفْضُلُ ألبتة أياً منهم فى موضوع تمسكه بالدين ، كما يصور لنا قومه شعباً معتقداً بالخرافات ، وذا عقلية مبلبلة [٣] .

ويتفق ول ديورانت مع ما اقتبسناه آنفاً من الكتاب المقدس عن انحرافات سليمان فيقول : ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به ، وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل ، ولشدَّ ما يلومه كُتَّابُ أسفار التوراة على شهامته ، إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات [٤] .

---

(١) الملوك الأول : ١١ : ١ — ١٠ .
(٢) يلاحظ أننا قد ذكرنا اكثر من اله لصيدا ولمؤاب وعمون وليس ذلك سهوا فتعدد الآلهة كانت طبيعة العصر .
(٣) معالم تاريخ الانسانية : جـ ٣ : ص ٢٨٥ .
(٤) قصة الحضارة : جـ ٢ ص ٣٣٧ .

بقى أن نشير هنا الى ما سبق أن أوردناه ، عن قسوة سليمان على بنى اسرائيل ، تلك القسوة التى جعلتهم يقولون لرحبعام ابنه وخلفه على العرش : إن أباك قسّى نيرنا ، وإن عليك أن تخفف من عبودية أبيك الشاقة ونيره الثقيل الذى وضعه علينا . وذلك واضح الدلالة على أن عهد سليمان كان شديد الوطأة على بنى اسرائيل وأن مشاريعه قد حملتهم جهداً عظيماً وتكاليف باهظة ، وقد كان بنو اسرائيل جادين فى طلبهم من رحبعام فلما رفض رحبعام طلبهم ، ثاروا عليه وانقسمت المملكة وبايع الثائرون يربعام ملكا عليهم كما سبق القول .

***

وبعد ، فهذه صورة سريعة عن أنبياء بنى اسرائيل من غير القرآن الكريم ، توضح اتجاه الكتّاب والباحثين وبخاصة كتّاب الكتاب المقدس عن هؤلاء الأنبياء .

عقيـــدة بنى اسرائيل
من غـــير القرآن الكريم

من الناحية الواقعية التاريخية يتضح أن بنى اسرائيل أهملوا المصدر الحقيقى للعقيـــدة وهو السماء ، وانساقوا خلف مصـــادر أخرى . فقد مرت ببنى اسرائيل أحـــداث خطيرة ، عاشوا فى مصر ، ووقعوا بين شقى الرحى فى فلسطين ، ونفوا الى بابل ، وفى فترة الصراع بينهم وبين الدول ، ثم فى فترة التشرد كتبوا العهـــد القديم ، ووضعوا التلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون . كما سنرى فيما بعد ، وأصبحت هذه هى المصادر الواقعية للعقائد اليهودية ، وسنبحث فيما يلى أبرز المعالم لهـــذه العقائد .

الإلـــــــــه

معبودات بنى اسرائيل غير « يهـــوه » :

لم يستطع بنو اسرائيل فى أى فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحـــد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم وعلى الرغم من ارتباط وجـــودهم بإبراهيم إلا أن البـــدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعددُ كثرة أنبيائهم دليـــلا على تجـــدد الشرك فيهم ، وبالتالى تجـــدد الحاجة الى أنبياء يجدّدُون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال ، فظهروا للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأحجار ، وأحياناً مقلّدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضـــارة وفـــكر قلدهما اليهود . ويقول J. Shot Well [(١)] إن اليهـــود كانوا فى مطـــلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رحّلا تســـيطر عليهم الأفكار البدائية كالخـــوف من الشياطين والاعتقاد فى الأرواح ، وكانوا يعبـــدون الحجارة

---

(١) The Religions Revelution of Today p. 30.

والأغنام والأشجار (١) . ويقول Reinach إن اليهود اتخذوا فى بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها ويتنقلون بها من مكان الى مكان (٢) . وقد ظل بنو اسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر ويقول Foster Kent (٣) إن موسى حاول أن يكوّن أمةً من الجماعات التى تبعته ، وقد وجد ألا مناص من تحديد إله يرعى جموعهم ، وتعبده هذه الجموع . ويتم بينه وبين بنى اسرائيل نوع من المنفعة المتبادلة ، ويرتبط مصيرهما كل بالآخر ارتباطاً دقيقاً . وتبعاً لذلك أعلن موسى « يهوه » إلهاً لبنى اسرائيل ، ويرى المؤرخون الغربيون أن موسى استعار القول بالوحدانية من اخناتون ، وفى ذلك يقول Weech (٤) : إن أوّل من قال بالوحدانية الخالصة هو اخناتون . ومن المحتمل أن يكون موسى قد عرف وهو بمصر تفاصيل هذا الاتجاه الدينى فتأثر به فى دعوته ومال إليه . وقد سبق أن أشرنا الى هذا الرأى ، ولكن بنى اسرائيل كما يقول ول ديورانت (٥) لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحَمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمناً طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل للشعب رمزاً لإلههم . وتقرِّر التوراة قصة العجل الذى عمله لهم هرون فعبدوه بعد أن تأخر موسى فى العودة إليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن (٦) . وقد بقيت عبادة العجل تتجدد فى حياة بنى اسرائيل من حين الى حين ، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلى

---

(١) See alse : Weech : Civilization of the Near East p. 86 and p. 88.

(٢) Reinach : History of Religion p. 176.

(٣) A History of the Hebrow People p. 42.

(٤) Civilization of the Near East p. 84 and p. 88.

(٥) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٨ .

(٦) خروج ٢٢ : ١٨ — ٣٦ .

ذهب ايعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا الى الذهاب الى الهيكل [١] ، وقد عبد أهاب ملك اسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد [٢] وسنرى فيما بعد مزيداً من التفصيل عن معبودات بنى اسرائيل .

وقد كانت الحية معجزة موسى كما هو معروف ، ويروى العهد القديم أن موسى عمل حية من نحاس وأن بنى اسرائيل عبدوها بعد ذلك [٣] ، وكانت الأفعى تُعَدّ حيواناً مقدساً لأنها — عندهم — تمثل الحكمة والدهاء والانسياب ، فضلا عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان [٤] ، وكان من نتيجة معجزة الأفعى التى قدمها موسى ما يرويه ول ديورانت من أن اليهود نظروا الى موسى وهرون على أنهما ساحران ، ومن ثمَّ انتشر السحر بينهم الى عهود متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة [٥] .

وبعد موسى ، وفى عهد القضاة ، تأثر بنو اسرائيل بمعبودات الكنعانيين تأثراً كبيراً ، ويوضح Kent أن إله الكنعانيين « بعل » أصبح معبوداً لبنى اسرائيل فى كثير من قراهم ، وفى أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد به تمثال يهوه وتمثال بعل ، بل أصبح يهوه ينادَى بعل ، وقد ظل ذلك الى عهد يوشع [٦] .

---

(١) الملوك الاول ١٢ : ٢٦ — ٢٨ .
(٢) ول ديورانت جـ٢ ص ٢٣٨ بالهامش .
(٣) الملوك الثانى ١٨ : ٤ .
(٤) G. Allen : **Evelution** of the Idea et God p. 192.
(٥) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٢٢٩ ، وقد أصبح اليهود اقطاب السحر فيما بعد ومنظمى الجمعيات التى تعتمد على الطلاسم والرموز والارقام ، واصبحت الفلسفة وتعليم الروحية والشعوذة والسحر تكون مزيجا يسمى « الكابالا » ، وكانت الكابالا سوط عذاب أطلقه اليهود ضد المسيحية خلال القرون الوسطى .
(٦) Charles Foster Kent : A History of the Hebrow. **People**

يهـوه ومراحـل عبـاداته

يجـدر بنا أن نقف وقفة عند « يهوه » الذى شـغل دائمـاً فراغا واسـعا عند الكلام عن آلهـة بنى اسرائيل . وسنتناول الكـلام عن يهوه من عـدة نواح :

أ ـ اشتقاق الاسـم « يهـوه » :

يقول الأستاذ العقاد [١] إن اسم « يهـوه » لا يعرَف اشتقاقه على التحقيق . فيصـح أنه من مادة الحياة ، ويصـح أنه نداء لضمير الغائب أى «يا هو » لأن موسى عـلّم بنى اسرائيل أن يتقوا ذكراه توقيراً له . وأن يكتفوا بالإشارة إليه . وهذا الاتجاه هو ما ذهب إليه Smith . ويضيف هـذا احتمالا لاتجاه آخـر ، هو أن الكلمـة العبرانية المماثـلة لـكلمة (لورد Lord) هى يَهْوا وكانت اللغـة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هـذه الحروف ، فأصبحت كلمـة يهـوا : ياهـوفا Jehovah . وبذلك فكلمـة (يهـوا) أو (ياهوفا) معنـاها سـيّد وإله [٢] .

ب ـ صـفات يهـوه :

للإله أسماء تختلف ـ بطبيعة الحال ـ باختلاف اللغات ، ففى اللغة العربية يُسَمَّى الواحـد الأحـد « الله » وفى اللغة الإنجليزية يسـمى «God» وفى اللغة الإندونيسـية يسمى «Tuhan» وهكذا . فهـل « يهوه » هو اسم الإله عند اليهود أو فى اللغة العبرانية ؟ .

إن الإجابة على هـذا السؤال تجىء بالنفى القاطع . لأن الصـفات التى ذكرها اليهود ليهوه تُبْعِدُه كل البعد عما يتصف به الإله عنـد أى

---

(١) الله ص ١١٣ .
(٢) Smith : God and Man in Early Israel p. 35.

جماعة من جماعات المتدينين ، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً وهادياً ، وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم ، ويقول ول ديورانت : «**يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا الى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلهاً** ، ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التى وجدت فى كنعان سنة ١٩٣١ قطعاً من الخزف من بقايا البرنز (٣٠٠٠ ق م) عليها اسم إله كنعانى يسمى « ياه أو ياهو » [١] ، فيهوه ليس خالقاً لهم ، وإنما هو مخلوق لهم ، وهو لا يأمرهم ، بل يسير على هواهم وكثيراً ما يأتمر بأمرهم ، وفى يهوه صفاتهم الحربية إن هم حاربوا ، وصفات التدمير لأنهم مدمرون ، وهو يأمرهم بالسرقة اذا أرادوا أن يسرقوا ، ويعلم منهم ما يريدونه أن يعلم ، ولنعد الى المراجع التى بين أيدينا لنقتبس منها مجموعة من هذه الصفات :

وأولى هذه الصفات هو اضطراب الفكرة التى ترسمها الأسفار عن الإله ، فالوصية الثانية من الوصايا العشر تسمو بالإله عن الإحاطة والحصر ، إذ تنص على الآتى : « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ... » [٢] ولكن على الرغم من ذلك ترسم أسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضة للإله [٣] ، وستتضح هذه الصورة من فيض الأوصاف التى وصف بها اليهود يهوه ، والتى سنروى بعضها هنا .

فمن الأوصاف الحسية ليهوه أنه كان يسير أمام جماعة بنى اسرائيل فى عمود سحاب ..... فقد جاء فى سفر الخروج : وارتحلوا من سكوت ، ونزلوا فى إيثام طرف البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٠ وانظر الهامش المنقول عن .
New York Times 3/5/1931.

(٢) خروج : ٢٠ : ٤ .
(٣) ول ديورانت جـ ٢ ص ٢٧٢ .

سحاب ليهديهم فى الطريق . وليلا فى عمود نار ليضيء لهم [١]
ويعلل J. Smith لهذا بأن شبه جزيرة سيناء بركانية يكثر فيها الدخان المنبعث من البراكين ، ومن المحتمل أن يكون عمود السحاب الذى تبعه بنو اسرائيل وظنوا إلههم يسير فيه ، ليس فى الحقيقة إلا دخاناً متجمعاً من البراكين دفعته الرياح الى الأمام [٢] .

ومن الأوصاف البشرية المحضة ليهوه ما جاء فى التوراة :

— ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى أشراف بنى اسرائيل [٣] .

— ...... فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم [٤] .

ويهوه لا يدعى أنه عالم ، ويطلب من بنى اسرائيل أن يرشدوه ، فقد قرر حينما كان بنو اسرائيل لا يزالون فى مصر ، « أن يجتاز فى أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم » [٥] ولكن يهوه لا يريد أن تنزل ضرباته ببنى اسرائيل ، ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة ، بأن يحملوا الدم على القائمين والعتبة العليا فى البيوت [٦] .

ويهوه ليس معصوماً ، وكثيرا ما يقع فى الخطأ ، ثم يندم على مافعل ،

---

(١) خروج ١٣ : ٢٠ — ٢١ .
(١) Smith . God and man in Early Israel p. 35.
(٣) خروج ٢٤ : ٩ — ١١ .
(٤) خروج ٢٥ : ٨ .
(٥) خروج ١٢ : ١٢ .
(٦) خروج ١٢ : ٧ .

وفى نص التوراة « فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » (١) وفى نص آخر « وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : ندمت على أنى قد جعلت شاءول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى » (٢) .

والإله يهوه يأمر بالسرقة ، وقد سبق أن أوردنا نص التوراة الذى أمر فيه يهوه بنى اسرائيل أن « تطلب كل امرأة منهم من جارتها أو من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » (٣) .

ويهوه إله قاس مدمّر متعصب لشعبه لانه ليس إله كل الشعوب بل إله بنى اسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآلهة الآخرين (٤) كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى ، وتصوّره المراجع اليهودية كبير الشبه برئيس عصابة فهو يقول : متى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التى أنت داخل إليها لتملكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك : الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرّمهم ، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق بهم (٥) .

ويقول كذلك : حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء

---

(١) خروج ٣٢ : ١٤ .
(٢) صموئيل الاول ١٥ : ١٠ .
(٣) خروج ٣ : ٢٢ .
(٤) خروج ١٢ : ١٢ .
(٥) تثنيا ٧ : ١ — ٢ .

والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعـداك التى أعطاك الرب إلهك . وهـكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جـداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصـيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما [١] .

ومن صـور القسوة والوحشية التى ينسبها العهـد القديم ليهوه ذلك الحوار الذى ورد فى الإصـحاح الخامس عشر من سـفر صـموئيل الأول . فقـد كان الرب طلب من شاول ملك اسرائيل تدمير العماليق ، بل وتدمير مواشيهم . وهـدم بيوتهم ، والقضاء على كل ذراريهم ، ومشى شـاول بجيش كبير حتى حاصرهم فى سيناء وانتصر عليهم وقبض عـلى ملكهم واسمه أجّاج وأهلك هـذا الشعب كله ودمر ممتلكاته ولم يستبق منها إلا جيد الغنم والبقر ليقدم ذبيحة للرب ، ولكن يهوه يغضب من ذلك ويقول : استماع كلام الرب أفضـل من الذبيحة ، والطاعة أفضل من شحم الكباش . ويندم شاول على هـذا ويقتل أجاج الذى كان أسيرا ، ويهلك ما كان قـد احتفظ به من الأنعام [٢] .

وليست قسوة يهوه على أعـداء بنى اسرائيل وحدهم ، بل إنه يقسو أيضـا على شعبه ويلعنهم ويتوعدهم إن هم خالفوا شيئاً من أوامره ولم يتبعوا كل وصـاياه ، وننقل لذلك نصًّا من نصـوص التوراة فى هـذا الشأن : إن لم تسمع لصـوت الرب إلهك لتحرِصَ على أن تعمل بجميع وصـاياه وفرائضه التى أنا أوصـيك بها اليوم ؛ تأت عليك جميع اللعنات وتدركك ، ملعوناً تكون فى المدينة ، وملعونا تكون فى الحقل ، ملعونة تكون سلّتك ومِعْجنك . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضـك ، نتاج بقرك وإناث غنمك ، ملعوناً تكون فى دخولك وملعوناً تكون فى خروجك ، يرسـل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد اليه يدك لتعمله حتى

---

(١) تثنية ٢٠ : ١٠ — ١٦ .
(٢) اقرأ الاصحاح ١٥ من سفر صموئيل الأول .

تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أعمالك إذ تركتنى ، يُلْصِقُ بك الرب الوباء حتى يبيدك على الأرض التى أنت داخل اليها لكى تملكها ، يضربك الله بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول حتى تفنيك ..... يضربك الرب بالقرحة والبواسير والجرب والحكة والجنون والعمى وحيرة القلب ..... ويكون ذلك فيك وفى نسلك الى الأبد [١] .

وفى بعض الآحايين نفذ الرب وعيده ، وقص العهد القديم قصة من ذلك كما يلى ...... من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ، ومد يده عليه ، وضربه حتى ارتعدت لها الجبال ، وصارت جثتهم كالزبل فى الأزقة ، مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد [٢] .

وكان بنو اسرائيل يرون ما ينالونه من نصر على أعدائهم منحة يهوه إليهم ، كما يرون أن ما يقع عليهم من هزائم ليس إلا انتقاما من يهوه ينزله بهم لمخالفتهم أوامره [٣] .

ويقتبس ول ديورانت بعض هذه اللعنات ويعلق عليها بقوله : إن هذه اللعنات لجديرة بأن تكون نماذج فى القدح والسب ، ولعلها هى التى أوحت الى الذين حرقوا الكفرة فى محاكم التفتيش الإسبانية ، أو حكموا على سبينوزا بالحرمان أن يفعلوا ما فعلوا [٤] .

وشتان أن نقارن ما يتوعد به هذا الرب شعبه إن أهملوا بعض ما أوصى به ، بالحساب الذى قرره إله المسلمين الغفور الرحيم ، ذلك الحساب الذى تحمل الآيات الآتية اتجاهاته :

---

(١) تثنية ٢٨ : ١٦ وما بعدها .

(٢) سفر اشعيا ٥ : ٢٥ .

(٣) Guignebert : The Jewish World in the time of Jesus p. 123.

وانظر ايضا Foster Kent : A History of the Hebrew people p. 34.

(٤) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٢ .

— إن الحسنات يذهبن السيئات [١] .

— فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية [٢] .

— إن الله يغفر الذنوب جميعاً [٣] .

وننتقل الى صفة أخرى من صفات يهوه هى أن التوراة تصور موسى ذا سلطان عليه ، ينصحه فينتصح ، ويتخذ موسى وهو ينصحه موقف المرشد المعلم ، فمن ذلك أن يهوه غضب على بنى اسرائيل ، وقال لموسى : اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم ..... فراجعه موسى وقال له : ارجع عن حُمُوّ غضبك ، واندم على الشر أن توقعه بشعبك ، ماذا يقول عنك الناس اذا سمعوا بفعلتك ؟ ... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه [٤] .

وقد قلنا فيما سبق إن اليهود استعاروا كثيرا من المعبودات التى كانت معروفة عند جيرانهم ، ويوضح لنا غوستاف لوبون أن اليهود لم يستعيروا من جيرانهم فى الاتجاهات الدينية والاجتماعية إلا أحطّ ما كان عندهم ، يقول غوستاف لوبون : عند ما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم ، من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة من زمن طويل ، فكان أمرهم كأمر جميع الأجناس المتخلفة التى تكون فى أحوال مماثلة ، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضارتها ، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها ، ودعارتها وخرافاتها ، فقرّبوا القرابين لجميع آلهة آسيا ، قرّبوا لعشتروت ، ولبعل ، ولمولك من القرابين ما هو أكثر جداً مما قربوه لإله قبيلتهم « يهوه » العبوس

---

(١) سورة هود الآية ١١٤ .
(٢) سورة القارعة الآية التاسعة .
(٣) سورة الزمر الآية ٥٣ .
(٤) خروج ٣٢ : ١٠ — ١٤ وعدد ١٣ — ١٨

الحقود الذى لم يثقوا به إلا قليلا من الزمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبيائهم [١] .

ذلك موجز من صفات يهوه اقتبسناه من أدق المراجع ، لعله أعطى صورة واضحة عن إله بنى اسرائيل .

د — مراحل عبادة يهوه

عبادة يهوه مرّت بثلاث مراحل رئيسية هى :

١ — عبادته قبل بناء الهيكل .

٢ — عبادته فى الهيكل .

٣ — عبادته بعد تدمير الهيكل .

وسنتكلم عن كلٍّ من هذه المراحل على حدة :

١ — يهوه قبل الهيكل :

تبدأ المرحلة الأولى من عبادة « يهوه » عندما دعاهم موسى إليه ، وكان يهوه عند موسى هو الإله الواحد ، رَمَزَ له باسم « يهوه » على ما سبق أن شرحنا عند الكلام على اشتقاق الكلمة ، ولكن بنى اسرائيل لم يستجيبوا لموسى استجابة حقيقية ، وسرعان ما عبدوا العجل فى حياة موسى وبعده .

وعبدوا كذلك الحية المقدسة على ما ذكرنا من قبل .

وفى عهد القضاة « عاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب : وعبدوا البَعليمَ والعَشتَارُت وآلهة صيدوم وآلهة مؤاب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه » [٢] .

---

(١) اليهود فى الحضارات الأولى ص ٢٠ .
(٢) قضاة ١٠ : ٦ .

وفى مطلع عهــد الملوك يقص الكتاب المقدس أن زوجة داود و ســمها ميــكال كانت تعبد تماثيل على صــور البشر يُرْمَزُ بها الى الله ، وقــد أخــذت الترافيما « اسم أحد التماثيل » ووضعته فى الفراش لتوهم أعداء داود أن داود نائم فى الفراش ، بينما عملت على تهريب داود من رســل شــاول الذين كانوا يبحثون عنه ليقتلوه [١] .

٢ — يهــوه مع الهيــكل :

أما المرحــلة الثانية فهى مرحــلة ارتباط يهوه بالهيكل ، فإن داود جاء واتخــذ أورشليم عاصمة له ، ثم جاء سليمان وبنى الهيكل بها ، وتركزت عقيدة بنى اسرائيل حول الهيكل . واعتبر الهيكل مقر إلههم الذى طالما دعاهم له الأنبياء والذى سموه « يهوه أو ياهوغا » . وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعى اسـتجابتهم لهــذا المعبود الذى طالما نفروا منــه . وأصــبح الهيكل فى الواقع رمزاً لكل ما كان يدور بخلدهم من معبودات ، فهو ليس بعيداً عن الأحجار والأصنام ، وهو مسكن الأرواح ، وبه المذبح حيث رأس العجل الذى ذكرنا من قبل أن قائد سليمان قُتِل وهو ممسك بقرونه مستجيراً به [٢] .

وهكذا عندما نشأت الوحــدة السياسة فى أيام داود وســليمان ، تركزت العبادة فى الهيكل فى أورشليم فأخــذ الدين يردد أصـــداء التاريخ والسياسة ، وأمسى يهوه إله اليهود الأوحــد الذى يعلو على آلهة غيرهم من البشر [٣] ، ويعتقد الباحثون فى تاريخ الأديان أن هــذا الهدف الذى قال به اليهود لم يكن لغرض دينى وإنما كان لغرض دنيوى فكان القصــد منه توحيد فــكر اليهود لتثبيت دولتهم والمحافظة عليها [٤] .

---

(١) صموئيل الأول : ١٩ : ١٠ — ١٦ .
(٢) الملوك الأول : ٢ : ص ٣٤٣ .
(٣) ول ديورانت : قصــة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٣ .
(٤) اديان العالم الكبرى : لخصه عن الانجليزية حبيب سعيد ص ٨٩ .

وهكذا ارتبط اليهود بيهوه ، ولكن ما مدى هـذا ارتباط ؟

إن الإجابة عن هـذا السؤال تستدعى شرحاً طويلاً نوعا ما . لنقطتين هامتين همـا :

(أ) خصَّ اليهود أنفسهم بيهوه ولم يسمحوا لغيرهم بعبادته أو الدخول فى ديانته .

(ب) اعترف اليهود لغير اليهود بآلهة يعبدونها . بل لم يقنع اليهود فى أكثر أحوالهم بيهوه وراحوا يعبدون آلية هؤلاء .

وفيما يلى مزيد من الشرح لهاتين النقطتين :

(أ) فعن النقطة الأولى نقرر أن الوصـية الأولى من الوصـايا العشر تساعد على هـذا الفهم ، فيهوه فيها يقول : « أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » (١) ففى هـذه الوصية لم يقل يهوه إنه هو الإله الوحيد فى العالم ، بل اكتفى بأن يقول إن بنى اسرائيل يجب ألا يكون لهم آلهة سواه (٢) ، فشـعب اسرائيل لم يعرف الإله الواحـد ، إله الخلق أجمعين ، لم يعرف هذا الإله ولم يعبده ولم يثبت على ميثاقه ، وإنما كان يعبد إلهاً يسميه إله اسرائيل ، ويحسب أن هذا الإله يميزه ويختاره على عامة الخلق لغير طاعة ولا إيمان ، ولا فضـيلة ولا إحسان ، ولكنها وثيقة كتبها شعب اسرائيل على إلهـه منذ القـدم ، وهـذا الإله مسئول عنهـا كما يُسأل المدين عن القروض ورباه لقد كان إلههم إله عشيرة واحـدة يسميها عشيرته وشـعبه وتسميه هى ربَّها وإلهها دون العالمين (٣) .

وتبعا لذلك كان ممنوعاً على غير اليهود أن يُقبلوا فى الجماعة اليهودية

(١) خروج ٢٠ : ١ — ٢ .

(٢) سليمان مظهر : قصة العقاد ص ٣٣ .

(٣) عباس العقاد : ما يقال عن الاسلام ص ٢٠٧ .

See Oleso : Kent History of the Hebrew people p. 204.

وأن يدينوا بالولاء لرب بنى اسرائيل ، فقد نصت التوراة على ما يلى : « لا يدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب الى الأبد » [١] . ويعلق الأستاذ محمد عزة دروزة على هذا النص بقوله : إن الديانة اليهودية ليست دينا تبشيريا ولا إنسانياً عاماً ، وإن بنى اسرائيل كانوا يعتبرون الديانة ديانتهم والإله خاصاً بهم ، وإن دخول غير اليهود فيها لم يكن تبشيراً بها ، وإنما كان من باب السماح لمن يريد — بنفسه وبدون دعوة — أن يدخل فى جماعة الرب وفى بعض الحالات نرى الكتاب المقدس يسد باب الله ودينه أمام الناس الى الأبد [٢] .

ديانة عنصرية :

واستكمالا لهذه النقطة يجدر بنا أن نبيّن الى أى مدى كانت اليهودية ديانة عنصرية ، فقد ورد فى كتاب « المطالعات فى الأديان العالمية » أن ديانة اليهود ذات ارتباط بشعب معين ، كما يؤخذ من تسميتها اليهودية أو العبرية ، وهى لهذا تشبه الهندوكية « ديانة الهنود » فى أنها ديانة مقفلة أى ليست من ديانات الدعوة ، وليست إلا تعبيراً طبيعياً لشعب خاص وجزءاً من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء [٣] ، والذى يقرأ الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل كانوا مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم ، وكل ما فى الأسفار منصبّ على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة ، وكون الرب ربهم الخاص [٤] ، ويميل كثير من المفكرين اليهود الى مزيد من تضييق الدائرة ، فلا يعدّون

---

(١) تثنية ٢٣ : ٣ ويلاحظ فى النص انه مرة يقول حتى الجيل العاشر ومرة يقول الى الابد .

(٢) تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم : جـ ١ ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٣) نقلا عن « ما يقال عن الاسلام » ص ٥١ .

(٤) محمد عزه دروزة . واسرائيل من اسفارهم جـ ١ص ٧٣ وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على جـ ٦ ص ٣٤٦ .

يهوداً إلا أولئك الذين يعيشون فى فلسطين أو يعتبرونها وطنهم وإن بعدوا عنها للضرورة [١] ، فاليهودية بهذا تتساوى مع الصهيونية التى سبق أن شرحناها فى الباب الأول •

وقفل اليهود ديانتهم عليهم ، وأنفتهم من إشراك غيرهم فى الانتساب إليها نوع من الأنانية والإحساس بالتعالى والامتياز ، يرفع قدرهم عن باقى البشر ويجعل من سواهم همجاً أو شبه أنعام « جوييم » ، أما أولئك الذين تسربوا الى اليهودية من غير بنى اسرائيل فسرعان ما عدهم التفكير الاسرائيلى شعباً من بنى اسرائيل وأطلق عليهم لقب « اليهود » ، فكأنهم ينحدرون من يهوذا ، وبهذا اختلطت عندهم الديانة بالنسب •

وقد عاب العالم على ألمانيا النازية جانبها العنصرى واعتبارها الشعب الألمانى أفضل شعوب البشر ، والصهيونية لا تختلف من قريب أو بعيد عن النازية فى هذين الاتجاهين إن لم تزد عنها ، ويقول « أرنولد توينبى » إن أشهر الذين يزعمون أنهم شعب مختار هم اليهود ، فالحركات الصهيونية والنازية سواء فى ادعاء هذه الصفة العنصرية ، وإن الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها أسوأ ما فى الحضارة الغربية من استعمار وقومية عمياء •

(ب) وعن النقطة الثانية يقول Berry : لم يكن لدى العبرانيين تصور للعالم ، ولهذا لم يصلوا الى تصور إله غير محدود ، ولقد كان عالمهم محدوداً وكان إلههم محدوداً كذلك [٢] •

وكان الاسرائيليون يؤمنون بأن للشعوب آلهة أخرى ، ويوضح الكتاب المقدس أن بنى اسرائيل عبدوا أنواعا من هذه الآلهة ، وقد ندد بها أرميا فى سفره ، ومنه نقتبس بعض النصوص :

---

(١) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٣٢١ •

(٢) Religions of the World p. 31.

— اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكلّ عشائر بيت اسرائيل : هكذا قال الرب : ماذا وجد فىّ آباؤكم من جوْر حتى ابتعدوا عنى ، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا (١) ؟ .

— وحين تقولون لماذا صنع الرب إلهنا كل هذه ؟ أقول لكم : انكم تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم (٢) .

— يقول الرب أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبَخّرون البعل وتسيرون وراء آلهة أخرى (٣) .. ؟

— يقول الرب : إن آباءكم قد تركونى وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها ، وإياى تركوا وشريعتى لم يحفظوها ، وأنتم أسأتم فى عملكم أكثر من آبائكم ؛ وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لى (٤) .

وعلى هذا فمع وجود الهيكل فى عهد سليمان كانت عبادة آلهة الأجانب منتشرة ، وينسب العهد القديم لسليمان نفسه أنه أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات (٥) ؛ فبنى مذبحا لعشتروت رجاسة الصيدُنيين ، ولكموش رجاسة المؤابيين ، ولملْكوم إلهة بنى عمون (٦) ، وعقب موت سليمان انقسم ملكه بين ابنيه يربعام ورحبعام وهذا التغير فى تاريخ العبرانيين صحبه تغير فى عقيدتهم ، فاسرائيل فى الشمال كانت دولة غنية حظى سكانها بالاستقرار ، وقبلوا

---

(١) ارميا : ٢ : ٤ — ٥ .
(٢) ارميا ٥ : ١٩ — ٢٠ .
(٣) ارميا : ٧ : ٩ — ١٠ .
(٤) ارميا ١٦ : ١١ — ١٣ .
(٥) ول ديورانت قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٧ .
(٦) الملوك الثانى ٢٣ : ١٢ .

عادات الكنعانيين وعبدوا إلهتهم (بعــل) ، أما دولة يهوذا فى الجنــوب فكانت دولة فقيرة يشتغل سكانها بالزراعة والرعى وظلوا على تبعيتهم لإلهم يهــوه : إله الفقراء ، والى هــذه الفترة ينسـب الأنبياء [١] ، وقد صنع يربعام عجلين من ذهب ووضــع أحدهما فى بيت إيل وثانيهما فى دان ، وبنى عندهما مذابح وقال لشــعبه : هذه آلهتكم التى أصعدتكم من مصر ، فاذبحوا وعيّدوا عنــدها ولا تصــعدوا الى أورشــليم . فاســتجاب له الشــعب [٢] .

وقُبيل عهــد الملك يُوشيا كان الهيــكل مملوءاً بالمعبودات والأصنام التى تمثل بعل ومولك والشمس والقمر وكل أجناد السماء وكان الشــعب يسجد لهــا ، وقــد قام هذا الملك بكثير من الاصلاحات فدمَّر هذه المذابح وأخرج هــذه الآلهة من الهيكل ، وكان يقصــد بذلك أن يعيد الشعب الى عبادة يهــوه ولكن قليلا من استجاب له [٣] .

وعن الملك أخَزْيا ابن الملك آخاب يقول الكتاب المقدس : وعمــل أخَزْيا الشر فى عينى الرب وســار فى طريق أبيــه وطريق أمــه وطريق يرُبعام ، وعبد البعل وســجد له وأغاظ الرب إله اسرائيل ، حسب كل ما فعــل أبوه [٤] .

ونما سلطان الكهنــة وانتشرت التربية الدينية ، ولكن ذلك لم يكف لتحرير عقول العبرانيين من الخرافات والأوهام ومن عبادة الأوثان ، بل ظلت قُلل التلال والحراج مأوى الآلهــة الأجنبية ، ومشــهداً للطقوس الخفية ، وظلت جماعات كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة ، أو تعبد

---

(١) Berry : Religions of the World pp. 32-33.

(٢) الملوك الاول ١٢ : ٢٨ — ٢٩ .

(٣) اقرأ الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثانى .

(٤) الملوك الاول ٢٢ : ٥١ — ٥٣ .

بعـل وعشتروت ، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية ، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور ، أو تركع أمام الحيـة النحاسية أو العجل الذهبى ، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية [١] .

٢ — يهـوه بعـد الهيـكل :

هـذه هى المرحلة الثالثة من مراحل عبادة يهوه . وقـد صاحبت هذه المرحلة الأسرَ البابلى ، فقـد فكّر اليهود : أين يهوه الآن بعد أن تحطمت المدينة المقدسة وأحرق الهيكل ؟

لقـد بدا لهم أن يهوه كان معهم فى الأسْر ، ولكن ألا يزال يهوه مع الذين تخلفوا منهم فى فلسطين ؟ وألَمْ يسر يهوه مع من سـاروا منهم إلا بلاد أخرى فى الشمال والجنوب والشرق والغرب ؟ وكانت إجابتهم على ذلك بعيدة المـدى فى الفـكر اليهودى ، فقـد أصبحوا يعتقدون أن يهوه مع كل منهم أنَّى كان ، ومعنى هـذا أن يهوه فى كل مكان [٢] ، وتعد تلك خطوة هامة فى تاريخ العقيدة الاسرائيلية ، فإنها رفعت الإله عن أن يكون محـدوداً فى مكان لا يتعداه ، وتخطت به قيود التجسيم الى حد مَّا .

نداء الوحـدانية عنـد أشـعيا :

تلك هى مراحـل الارتباط بين بنى اسرائيل وبين إلههم يهـوه . وفى خلال الأسر البابلى هبَّ أشعيا بدعوة جـديدة كانت تطويراً للمرحـلة السابقة ، ونجـد فى هـذه الدعوة ملامح الوحدانية الحقـة ، إذ أخـذ يتحـدث عن إله لا عهـد للأسفار به ، إنه الإله الواحـد ، إله العالمين ، خالق الكون ورازقه ، المحب العطوف ، الذى لا يهوى التدمير ولا يحب

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة : جـ ٢ ص ٣٤٦ .
(٢) سليمان مظهر . تاريخ العقائد ص ٣١٧ .

لأذى . وتبعاً لذلك هاجم اشعيا الأصنام . وسفّه عبادتها ، تعال بنا نورد فيما يلى فقرات من هـذا السِّفْرِ لتفصّل لنا هذا الاتجاه الجديد :

— أنت هو الإله وحـدك لكل ممالك الأرض ، أنت صنعت السموات والأرض . إن ملوك أشور قـد خرّبوا كل الأمم وأرضهم ، ودفعوا آلهتهم الى النار ، لأنهم ليسوا آلهة ، بل صـنعة أيدى الناس ، خشب " وحجر " ، والأن خلّصنا يارب لنعلّم ممالك الأرض أنك أنت الرب وحـدك (١) .

— هو الله الجالس على كرة الأرض ، الذى ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسـكن ، الذى يجعل العظماء لا شيئاً ، ويصيّر قضـاة الأرض كالباطل ، فبمن تشبّهون الله فيساويه (٢) ؟

— هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ورازقها ، معطى الشعب عليها نسمة ، والساكنين فيها روحـاً ... أنا الرب هـذا اسمى ومجـدى ، لا أعطيه لآخر (٣) .

— أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى ، وكل شىء أنا أعلم به ... أنا الرب صانع كل شىء ، ناشر السموات وحـدى ، باسط الأرض ، مَنْ معى ؟ مُبطل آيات المخادعين ، ومحمّق العرّافين ، مُرْجع الحـكماء الى الوراء ومجهّل معرفتهم ، مقيم كلمة عبـده ، ومتمم رأى رسله (٤) .

— أنا الرب وليس آخر ، لا إله سـواى ، أنا الرب وليس آخر ، مصـدر النور وخالق الظلمة ، صانع السـلام ... أنا صـنعت الأرض وخلقت الإنسان عليهـا (٥) .

---

(١) اشعيا ٣٧ : ١٦ — ٢٠ .
(٢) اشعيا ٤٠ : ٢٢ — ٢٥ .
(٣) اشعيا ٤٢ : ٥ — ٨ .
(٤) اشعيا : من الاصحاح ٤٤ .
(٥) اشعيا الاصحاح ٤٥ .

— أنا الأول وأنا الآخر ، ويدى أسست الأرض ويمينى نشرت السموات . أنا أدعوهن فيقفن معاً [1] .

وقد سبق أن تحدثنا عن أشعيا ودعوته للمسالمة ، وامتداحه لقورش ، وحثه بنى قومه على الطاعة له [2] ، وقد اتهم من أجل هذا بأنه خائن لوطنه . وهناك بعض المفكرين يربطون بين اتجاه أشعيا السياسى واتجاهه الدينى ، ومن هؤلاء ول ديورانت الذى يقول [3] : وهل الذى أوحى الى هذا النبى فكرة وجود إله واحد للكون كله هو نهضة الفرس ، وانتشار قوتهم ، وإخضاعهم دول الشرق الأدنى كلها . وجمعها فى وحدة إمبراطورية أوسع رقعة وأحسن حكماً من أى نظام اجتماعى عرفه الناس من قبل ؟ واذا كان بنو اسرائيل سيكونون قطعة من هذا الملك الواسع فإنه لا يمكن أن يكون لهم إله وحدهم وللحاكمين الفرس إله سواه . فاذا كانت هناك امبراطورية واحدة فليكن هناك إله واحد .

ولكن دعوة أشعيا للتوحيد على كل حال لم تجد إلا قليلا جداً من الآذان الصاغية .

اليهود والألوهية عموما :

على أن مسألة الألوهية كلها ، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد ، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى اسرائيل ، فقد كانت المادية والتطلع الى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم ، واذا تخطينا عدة قرون فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود رباً جديدا كذلك ، ذلك هو تربة فلسطين ، وزهر برتقالها ، والذى يقرأ رواية (طوبى للخائفين) للكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة القائد الصهيونى العسكرى موشى ديان ؛

---

(١) اشعيا الاصحاح ٤٨ .
(٢) اشعيا ٤٤ : ٢٨ .
(٣) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦٤ .

يجد أحـد أبطالها (إيفرى) ينصـح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسـة ، وأن يحوّل اهتمامه لإلهه الجـديد : تراب فلسطين ، ونقتبس فيما يلى سطوراً من هـذه الرواية :

عندما عاد الصبى من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق . قال له : أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها، كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات . ونحافظ على ديننا . فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونزود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شىء أهم . هو الأرض ، أنت الآن اسرائيلى ولست مجرد يهودى ، إنى قد تركت فى روسـيا كل شىء ، ملابسى ومتاعى وأقاربى وإلهى ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ، ألا تحس بذلك ! وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه ، وقال له : امسك هذا التراب ، اقبض عليه ، تحسسه ، تذوّقه ، هـذا هو ربك الوحيد ، اذا أردت أن تصـلى للسماء فلا تصلّ لهـا لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضـنا ، هـذا هو المهم ، إياك أن تذهب مرة أخرى الى المعبـد (١) .

* * *

وبعـد ، فهذه قصـة الإله عند اليهود ، وهى واضـحه الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الإله الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخـذون تراب فلسـطين إلهـا لهم ، إن تراب فلسطين رمز المـادة التى تحـكمت فى الفكر اليهودى على مر التاريخ .

---

(١) يائيل ديان : طوبى للخائفين .

الآخـرة والبعث

تهتم اليهودية بالأعمال ولا تُعْنَى بالإيمان ، وهى فى جوهرها أسلوب حيـاة لا عقيدة تُعْتَقَد ، وهى فى هـذا تختلف عن المسيحية التى تعنى بالإيمـان وتجعـله يفوق العمل الصـالح ، فالاتجاه الخلقى عند اليهود فى التصرفات اليومية أهـم من الاعتقاد السـليم (١) ، وتختلف اليهـودية عن المسيحية كذلك فى مجـال تفـكيرها فمجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم ، ذلك الذى لن يقـدر الإنسـان العائش هنا على الأرض أن يدركه ، وإنما مجالها الأوحـد هو هـذا العالم الحاضر (٢) ، وفى دائرة المعـارف العبرية يقرر كوهلر أن اليهودية ليست عقيـدة أو نظاما من العقائد يتوقف على قبولها الفـداء أو الخلاص فى المستقبل ، ولكنهـا نظـام للسـلوك البشرى ، وناموس البر الذى يتحتم على الإنسان اتباعه (٣) ، ويقرر الفكر اليهودى بناء على ذلك ، أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسـب الاعتقاد « أشهد السـموات والأرض على أنه سـواء كان المرء يهودياً أم وثنياً ، رجـلا أم امرأة ، حراً أو مُقيداً ، فإنه سينعم بالجزاء حسب أعمـاله دون سـواها » (٤) .

ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان ، فمن الواضـح تبعـاً لذلك ألا تتـكلم عن الآخرة والبعث والحساب ، فتلك أمـور تتوقف على العقيدة ، ولهـذا فقلما يشـير اليهود الى حياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلود ، وكان الثواب والعقاب يتم فى الحياة الدنيا ، ولم تَدُرْ فكرة البعث فى خـلد اليهود ، إلا بعـد أن فقـدوا الرجاء فى

---

(١) Berry : Religions of the World p. 35.

(٢) اديان العالم الكبرى لخصها عن الانجليزية حبيب سعيد ص ٨٨—٨٩ .

(٣) The Jewish Encyclopaedia Judism

(٤) فى الفكر اليهودى ص ٣١ .

أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض . ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس ، أو لعلهم أخذوا شيئاً منها عن المصريين ، ومن هذه الخاتمة الروحية وُلدت المسيحية [١] .

والدارس للكتب الاسرائيلية يجدها تسير مع الفكر الذى أوضحناه آنفاً ، فهى لم يرد فيها شىء عن البعث واليوم الآخر ، وإنما ورد بها حديث عن الأرض السفلى والجب التى يهوى إليها العصاة ولا يعودون « وإن الذى ينزل الى الهاوية لا يصعد » . ويقول Arthur Hertzberg إن الكتاب المقدس نفسه يَعد الحياة الدنيا وحدها هى عالم الإنسان ، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك فى بعث ، وجنة أو نار [٢] .

ومَرَّ الزمن واحتل الفرس بلاد بابل ودولتى اليهود ، ووقع الأسر البابلى ، ثم سمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة الى فلسطين وإعادة بناء معبدهم ، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس ، ومن تعاليم هذه الديانة اقتبس اليهود الاعتقاد فى حياة أخرى بعد الموت ، ولأول مرة عرفوا أيضاً أن هناك جنة وناراً فنقلوا ذلك الاعتقاد الى دينهم [٣] ؛ وفى هذا الجو بدأ أشعيا كلامه الذى يشير الى يوم البعث والى الحساب والجزاء ، كما أخذ دانيال يحذر الناس ويذكرهم بيوم البعث ، ومن قوله فى ذلك : « كثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء الى الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار ، الى الازدراء الأبدى » [٤]

على أن اليهود عندما تكلموا عن الآخرة ، لم يكونوا فى أكثر الأحوال يعنون ما تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحساب على ما قدم

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ .
(٢) Judaism p. 205.
(٣) سليمان مظهر قصة العقائد ص ٣١٨ .
(٤) دانيال : ١٢ : ٢ .

الإنسان فى حياته الأولى ، إنما كانوا يعنون بهـا شيئاً آخر . فالشـعب اليهودى عند الباحثين اليهود قسمان . قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً وهؤلاء يعدهم الفـكر اليهودى قـد حصـلوا على الجانب المادى من رضـا إلههم . أما القسم الآخر وهم الذين فقـدوا هـذا الجانب وعاشوا تحت سلطان الجوييم أو عاشوا فى المنفى مشردين فهؤلاء يرى الفكـر اليهودى أن من حقهم أن يعودوا للحيـاة مرة أخـرى لينالوا نصـيبهم من المتعـة أو النعيم (١) .

وعلى العموم فإن فكرة البعث لم تجـد لها أرضـاً خصـبة فى عالم اليهود . وقـد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بهـا ، ولكن هـذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما باقى الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شـيئاً (٢) .

---

(١) Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus p. 117.

(٢) Ibid p. 120.

التابــوت الهيـــكل

إن دراســة التوراة يمكن أن تعطينا صــورة واضــحة عن التابوت والهيكل ، لعل أهم حـديث نبدأ به عن التابوت هو ما ورد فى سفر الخروج ونصــه : « وقال الرب لموسى اصعد إلىّ ، الى الجبل وكن هناك ، فأعطيك لَوْحَىْ الحجـارة والشريعة والوصـية التى كتبتهـا لتعـليم بنى اسرائيل ... » [١] ، فصـعد موسى الى الجبل ، وهناك تلقى من الإله أوصـافا للتابوت ، ويذكرها سفر الخروج مفصـلة نجتزىء منها ما يلى لنعرّف بهـذا التابوت وصفته : « فيصنعون تابوتاً من خشب السـنط طوله ذراعان ونصـف ، وعرضـه ذراع ونصف ، وارتفاعه ذراع ونصف ، وتغشيه بذهب نقى ، من داخلٍ ومن خارج ، وتضـع عليه إكليلا من ذهب حواليه ، وتَسْبِك له أربع حلقات من ذهب ، وتجعلها على قوائمه الأربع ، على جانبه الواحـد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان ، وتصنع عصويْن من خشب السـنط ، وتُغشيهما بذهب ، وتدخل العصوَين فى الحلقات على جانبى التابوت ، ليُحمل التابوت بهمـا ، وتبقى العصـوان فى حـلقات التابوت ، لا تُنْزَعان وتضـع فى التابوت الشهادة التى أعطيك » [٢] وعلى غطاء التابوت يوجـد طائران لم ير الناس مثلهما ، وينسب لموسى القول بأنه رأى هـذا النوع من الطيور بالقرب من عرش الله ، وحراسةُ التابوت موكولة لهـذين الطائرين [٣] .

وتذكر التوراة أن موسى نزل من الجبل ولَوْحا الشـهادة فى يده ، لوحان مكتوبان على جانبيهما ، من هنا ومن هنا كانا مكتوبين ، واللوحان هما صـنعة الله ، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين [٤] .

---

(١) خروج ٢٤ : ١٢ .
(٢) خروج ٢٥ : ١٠ — ١٥ .
(٣) James Hosmer : The Jews p. 16.
(٤) خروج ٣٢ : ١٥ — ١٦ .

ويتصل بالتابوت شيء يجدر بنا أن نتكلم عنه كلمة قصيرة ، ذلك هو المذبح المخصص لإيقاد البخور ، ويورد العهد القديم وصفاً مفصلاً له فيصفه بأن يكون طوله ذراعاً وعرضه ذراعاً وارتفاعه ذراعين ، وأن يصنع من خشب السنط ويغشي بذهب نقي سطحه وحيطانه . ويوضع قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة . ويوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح ، حين يصلح السرج ، وحين يصعد هارون السرج فى العشية ، يوقده . بخورا دائما أمام الرب . ويصنع هارون كفارة على قرونه مرة فى السنة من ذبيحة الخطيئة التى للكفارة [١] .

وتروى المراجع التى بين أيدينا ، أن بنى اسرائيل صنعوا التابوت على صفاته تلك ، وأن موسى وضع اللوحين فى التابوت ، كما وضع فيه ذهبا وفضة وبعض المواثيق ، وسماه تابوت العهد ، وقال لبنى اسرائيل : إنه فى هذا السفط توجد روح الإله يهوه . ولم يكن يسمح لأحد أن يمسه [٢] ، وإنما كان يحمل عن طريق العصوين سالفى الذكر ، ولما مسَّه عزة الصالح ، بأن مد يديه الى التابوت ليمنعه من السقوط على الأرض وأمسكه لحظة قصيرة ، غضب الرب على عزة ، وضربه الربُّ هناك لأجل أنه يمد يده الى التابوت فمات هناك أمام الله [٣] ، ويبدو أن قادة بنى اسرائيل كانوا يحتفظون فى التابوت بأغلى ما يملكون من ثروات ، ويوهمون الناس أن مَنْ مسَّه مات ، ليضمنوا نجاة هذه الثروات ، بدليل أن العرب فى إحدى جولاتهم أخذوا التابوت من بنى اسرائيل ، ولم يمت أولئك الذين أخذوه .

ويرى غوستاف لوبون [٤] أن تابوت العهد اقتباس من الفكر المصرى الذى كان به نظائر لهذا التابوت المقدس ، وقد ظل الاعتقاد فى

---

(١) خروج ٣٠ : ١ — ١٠ .
(٢) سليمان مظهر : قصة العقائد ٣٠٣ و ٣٠٦ .
(٣) صموئيل الثانى ٦ : ٧ .
(٤) اليهود فى الحضارات الأولى ص ٦١ — ٦٢ .

قدسية هـذا التابوت حتى عهـد أرميا الذى أخـذ يتكلم عن إله روحانى .
ووضـع من شأن التابوت وقال عنه : لا يعودون يقولون تابوت عهد الرب .
ولا يخطر لهم ببال ، ولا يذكرونه ولا يفتقدونه ، ولا يصنع من بعـد .

ذلك حـديث يكشف لنا سر التابوت . وبقى بعـد ذلك أن نتحـدث عن الهيكل . وأن نربط التابوت بالهيكل . وقـد سبق أن ذكرنا أن داود اتخـذ مدينة أورشـليم عاصـمة لملكه . ويقص سفر أخبار الأيام الأول . أن داود جمع رؤساء اسرائيل ورؤساء الفرق الخادمين الملك . ورؤسـاء الألوف ورؤسـاء المئات ، ووقف على رجليه وخطب فيهم قائلا : اسمعونى يا إخوتى وشـعبى ، كان فى قلبى أن أبنى بيت قرار لتابوت عهـد الرب ، ولموطىء قـدمى إلهنـا ، وقـد هيأت للبناء . ولكن الله قال لى : لا تبن بيتـاً لاسمى ... إنما اختار سليمان ابنى ليجلس على مملكة الرب بعدى ، وقال لى إن سـليمان ابنك ، هو يبنى لى بيتى ودارى . لأنى اخترته لى ابنـاً وأنا أكون له أباً [١] ، وقال داود الملك لكل الجمع ، إن سليمان ابنى صـغير وغض . والعمل عظيم لأن الهيـكل ليس لإنسـان بل للرب الإله : وأنا بكل قوتى هيأت لبيت إلهى الذهب والفضـة والنحاس والحـديد والخشـب وحجارة الجزع وحجارة الترصيع ، وحجارة كحـلاء ، ورقماء ، وكل حجارة كريمـة ، وحجارة الرخام بكثرة ..... (ويذكر الإصـحاح مقادير هائلة وأوزاناً عظيمة من هـذه المواد) ثم يحث داودُ الشعب أن يباركوا الرب إلهم وأن يسهموا بما يستطيعون من مـال فى بنـاء هـذا الهيكل [٢] . وتقول الرواية إنهم تبرعوا بخمسة آلاف وزنة من الذهب ، وبضـعفها من الفضة ، وبكل ما يحتاج إليه الهيكل من الحديد والحجارة ، وقام سليمان ببناء هـذا الهيكل الذى تُورِدُ عنه المراجع اليهودية وصفاً مفصـلا ، بما يحوى من أروقة وبيـوت وخزائن وغرف ومخادع ، وبما به

---

(١) اخبار الايام الأول الاصحاح الثامن والعشرين
(٢) اخبار الايام ٢٩ : ١ — ٣ .

من أمتعة وموائد وكئوس وأقداح ومذابح . ولعل من الأوفق أن نقتبس سطوراً قليلة عن وصف هذا الهيكل من سفر الملوك الأول . فقد جاء فيه ما يلى : فبنى سليمان البيت وأكمله وبنى حيطان البيت من الداخل بأضلاع أرزٍ من أرض البيت الى حيطان السقف . وغشاه من داخل بخشب ، وفرش أرض البيت بأخشاب سَرْوٍ ، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرزٍ من الأرض الى الحيطان . وبنى داخله المحراب أى قدس الأقداس ... وهيأ محرابا فى وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب ، وأقام تمثالين للكين يحرسان قدس الأقداس ، وغشَّى المحراب بذهب خالص وغشَّى المذبح بأرزٍ . وغشَّى سليمان البيت من الداخل بذهب خالص ، وسدَّ بسلاسل ذهب قدام المحراب[1] .

ويقول ول ديورانت : إن طراز الهيكل هو الطراز الذى أخذه الفينيقيون عن مصر وأضافوا إليه ما أخذوه عن الآشوريين والبابليين من ضروب التزيين . ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح . بل كان سياجا مربعا يضم عدة أجنحة ، ولم يكن بناؤه الرئيسى كبير الحجم ، فقد كان طوله حوالى مائة وأربع وعشرين قدما ، وعرضه حوالى خمس وخمسين وارتفاعه حوالى اثنين وخمسين [2] .

وقد اختير لتشييد الهيكل مكان" فوق ربوة ، ولكن سائر أجزاء الهيكل لم يبق منها الآن شىء على الإطلاق [3] .

أما بناة الهيكل فقد جلبهم سليمان — كما سبق القول — من حليفه ملك حيرام ، إذ كان اليهود لا يعرفون فن الهندسة والعمارة ، وكانوا كذلك

---

(١) الملوك الأول ٦ : ١٤ — ٢١ .
وانظر : A History of the Jewish People by Margolis and Marx p. 49-50.

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٥ .
(٣) المرجع السابق .

يجهلون ألوان الفنون الأخرى ، لبداوتهم ولأن موسى حرّم عليهم التصوير والنحت حتى لا يخلقوا أشياء تناظر ما خلقه الله (١) ثم يعبدوها .

ويقول ول ديورانت عن الهيكل :

يعدُّ بناء الهيكل أهم الأحداث فى ملحمة اليهود ، فإنه لم يكن بيتاً ليهوه فحسب ، بل كان أيضا مركزاً روحياً لليهود . وعاصمة لملكهم . ووسيلة لنقل تراثهم ، وذكرى لهم ، يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض . ولقد كان له فوق ذلك شأن فى رفع الدين اليهودى من دين بدائى متعدد الآلهة الى عقيدة راسخة غير متسامحة (٢) .

ولما تم بناء الهيكل جمع سليمان شيوخ اسرائيل ، وحمل الكهنة تابوت عهد الرب وأدخلوه الى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس . تحت جناحى الكروبين (٣) .

وأصبح الهيكل منذ ذلك الحين المكان الوحيد الذى تقدَّم عنده القرابين وكانت القرابين من قبل تقدَّم لرب اسرائيل فى هياكل محلية ، أو هياكل ساذجة فوق التلال (٤) .

ودخول الهيكل لم يكن مباحا للجميع ، وإنما كان مقصوراً على الكهنة : أما قدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلا مرة فى العام ولا يدخله إلا كبار الكهنة (٥) .

---

(١) Hosmer : The Jews p. 72.

(٢) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٨ .

(٣) الملوك الأول ٨ : ١ — ٦ .

(٤) الملوك الأول ٣ : ٢ .

(٥) Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 64.
وانظر كذلك : The Jewish World in the Time of Jesus by Guignebert p. 57.

الكهنــة والقرابين

تحدثنا عن الأنبياء فى الفكر اليهودى . وذكرنا أنهم طبقة ظهرت بين اليهود وادّعت الوحى والنبوة ، وقال كل منهم إنه تلقى كلمة الرب ، وذكرنا تنديد بعضهم ببعض . ورَمْىَ بعضهم بعضاً بالكذب والشعوذة ونرانا هنا — ونحن نتحدث عن الكهنة — فى حاجة إلى أن نوضح الصـلة بين الأنبياء والكهنة ، فهؤلاء وأولئك يدّعون الوحى . ويقدّمون النصح . ولكن كان هناك فرق واضح بين المجموعتين . فقد ظل الأنبياء بعيدين عن المعابد والخطط الدينية الرسمية . غير مرتبطين بتقاليد ، وكان جل اتجاههم أن ينعوا على الأغنياء غناهم . فأصبحوا كما يقول Wells الناصحين غير الرسميين للناس فى الشئون العامة والناعين عليهم الخطايا والتصرفات الغريبة [١] . وكانت تظهر أهمية الأنبياء مع كثرة المصائب والأهوال التى كانت تنزل ببنى اسرائيل ، ولم تكن أعمـال الأنبياء ذات صـلة بالهيكل أو القرابين . ولم يكن أحد يعيِّن الأنبياء ، ولا كانوا يختـارون من سبط محدد . ولم تكن هناك تقاليد يمرون بهـا ليصلوا للنبوة ، وهم فى كل هـذا يخالفون الكهنة ، وكثيراً مـا كانوا يهاجمون الكهنة ، وأحيانا كانوا ينتقدون الملوك وينعون عليهم الترف والملاذ ، وكان الكهنـة يحقدون عليهم تدخلهم فى الشئون الدينية ، وأنهم يدّعون أنهم يوحى إليهم ، إذ كان الكهنة يحـاولون أن تكون لهم وحدهم هـذه المواقف ، وليس الخلاف الذى حدث بين عيسى وكهنة الهيكل إلا حلقة من حلقات خلافات مماثلة بين الأنبياء والكهنة .

ونجىء الآن إلى الكهنة لنقرر أنهم كانوا من أبنـاء ليفى أحد أبناء يعقوب ، ومـا كان من الممكن أن يكونوا من غير هـذا الفرع ، وللوصول إلى الكهنوتية كان الواحد منهم يمر بتدريبات وتقاليد يعرف خلالها الطقوس والأسرار الدينية ، ويبرهن على استحقاقه لهـذا المنصب الخطير ، وكان لهم وحـدهم حق تفسـير النصوص ، ولم تكن القرابين مقبولة إلا اذا

The Outline of History p. 294. (1)

قدّمت على يد أحد الكهنة ، وكانوا معفون من الضرائب ، وتقــدم لهم العشور من نتاج الضأن ، ويأخذون مــا بقى فى الهيكل من القرابين ، وقد جمعوا بذلك أموالا ضخمة وثراء عظيما . وامتازت ثروتهم بأن عدت مقدسة ، وشخصياتهم بأن كانت الوسيلة إلى الله ، وبذلك أصبحوا فى كثير من الأحوال أقوى من الملوك أنفسهم .

وقد عقد Guignebert فصــلا عن المجمع الكهنوتى الذى يدبر شئون اليهود [١] . ونقتبس منه مــا نحتاجه فى هذا البحث :

كان يتكوّن من كبار الكهنة مجلس" يبحث الشئون الكبرى التى تهم اليهود ،ويرى بعض الباحثين أن هــذا المجلس امتــداد" للمجمع الذى أمر يهوه موسى أن يكوّنه من سبعين من كبار اليهود ليلتقى بهم يهوه فى خيمة الاجتماع [٢] . ولا يوافق Guignebert على هــذا الرأى ويرى أن الفرق كبير بين مجمع موسى الذى كان يمثل القبــائل والسلطات وبين مجمع الكهنة الذى نتحدث عنه ، والذى كان يمثل طائفة من العلماء والمفكرين من أبناء ليفى . ويرى هــذا المؤرخ أن مجمع الكهنة يرجع إلى عهــد الضغط اليونانى والرومانى ، ومــا انفجر عن ذلك من ثورات يهودية ، وقد رأى القائمون بهــذه الثورات أن من الضرورى أن يكون لهم مجلس يدبّر أمر هــذه الثورات ويرعى مصالح اليهود [٣] ، وعضوية هــذا المجلس تمتد مــدى الحياة، أمــا طريقة اختيار أعضائه فإنهــا غير واضــحة ، ولم يكونوا فى مستوى واحد من حيث مكانتهم ، بل كان منهم أعضــاء لهم نفوذ واسع وتأثير كبير على الآخرين [٤] .

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus pp. 50-59.

(٢) سفر العدد ١١ : ٦ .

(٣) Gaignebert p. 56.

(٤) The Jewish World in the Time of Jesus p. 62.

وسلطان هـذا المجلس الأدبى ، كان يمتد إلى حيث يقيم اليهود فى كل البقـاع . أما سلطانه المـادى فكان ينكمش وينبسط حسب الظروف .

وكان هـذا المجلس يبحث فى كل الشئون التى لهـا علاقة بالدين : فهو يضـع قوانين المعاملة ، وقوانين الزواج والطلاق . ويحـدد الأعياد ومواعيدها ، ويحـارب الهرطقة ، ومـا إلى ذلك من مشكلات اليهود . وكان هـذا المجلس يقوم بدور الوساطة أحياناً اذا جد نزاع بين طائفتين من اليهود ، وكان يحكم فى القضـايا الجنـائية الكبرى . وله أن يحكم بالإعدام على الهراطقة ، بشرط موافقة الحاكم الرومانى ، وقد قضى هذا المجلس بإعدام عيسى ، ولكنه احتاج لموافقة هـذا الحاكم [١] ؛ وبذلك كان هـذا المجلس سلاحاً حاداً فى يد طبقة الكهنة ، وطالما استعمله هؤلاء لبسط نفوذهم على اليهود وإملاء كلمتهم ، وبواسطة هـذا السلاح أصبحوا يأمرون وينهون ، ويحرّمون ويحللون ، ولم يقنعوا بمدّ سلطانهم على المسـائل الدينية فقط . بل راحوا يحوّلون كل مشكلات الحيـاة إلى مسائل دينية ، وبذلك أخضعوها إلى سلطانهم [٢] .

ولم يكن هـذا هو كل نفوذ الكهنة على الشعب . فبجانب هـذا المجلس كان الكهنة هم رعـاة المعبد وخدمة ، وقد حقق لهم هـذا الوضع امتيازاً دينياً وإدارياً . فالكاهن الأعظم استمتع بسلطة عظيمة ليس فقط فى الأمور الدينية ولكن فى الأمور المـادية أيضا ، وبخاصة فى عهد كانت الحدود بين السياسة والدين غير واضحة ، وعن طريق هـذا النفوذ طالما أصبح الكاهن الأعظم ملكا متوجا [٣] .

وكان الكاهن الأعظم يُختار من أعظم فروع أسرة ليفى . وبهـذا يضفى على جماعته مجداً وعظمة ، ممـا يجعلها تَدْعَم سلطته وتقوّى

---

(١) يوحنا ١٨ : ٣٠ ، وانظر كتاب المسيحية للملف و Guignebert p. 54.
(٢) Guignebert pp. 55-56.
(٣) Ibid p. 56.

نفوذه . وتحرص على بقائه فى هـذا المنصب ، إذ كان ضياع هـذا المركز منه كثير التأثير على أمنهم وثرائهم [١] .

أمـا القرابين فكانت تشـمل الضحايا البشرية . فكان الإنسـان يقدّم مع القرابين الأخرى من الحيوان والثمـار ، واستمر الأخذ بهـذه العادة فترة طويلة امتدت إلى عهـد الانقسـام حيث قدّم الملك أخاذ ابنه قرباناً للآلهـة [٢] ، وممن قدّموا ضحايا للآلهـة أيضاً ابنة جفتة (Jephthah's doughter) [٣] ، ثم اكتفت الآلهـة بجزء من الإنسان ، بدلاً من أن يضحّى بالإنسـان كله ، وكان هـذا الجزء هو ما يقتطع فى عملية الختـان ، وقد بقيت عملية الختـان رمزاً للتضحية ، وبقى مع جزء الختـان الحيوانُ والثمـارُ ، فأصبح يُضحّى بالبقر والخراف أو ببواكير الثمـار ، تحرق أمام المعبد مع الجزء الذى يقطع فى الختـان ، وكانت القرابين عبارة عن هدية يتقرب بهـا الشخص للاله ، رجاء قضاء حاجة يريدها ، وكانت أحياناً للشكر والاعتراف بعون حصـل عليه الشخص قبل تقديمها [٤] .

وكانت القرابين هى الحدث اليومى عميق الصـلة بالمعبد ، وكان يقـدّم قربانٌ فى الصباح وآخر فى المسـاء ، وكان يصحب القرابينَ احتفالٌ طويل وشعائر يقوم بهـا الكهنة ، وكثيراً مـا كان أفراد من الشعب يقدّمون قرابين خاصة بجوار القرابين سالفة الذكر ، وفى السبت وأيام الأعيـاد كانت هنا لك قرابين إضافية ، واحتفالات دينية أوفى وأشمل ، وكان تقديم القرابين ليهوه ، دليلا على الارتبـاط بين الشعب والاله ، ودليلا على وجود يهوه بين الشعب [٥] .

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus p. 57.

(٢) الملوك الثانى ١٦ : ٣ .

(٣) Charles Foster Kent : A History of the Hobrew People p. 96.

(٤) Berry : Religions of the World p. 31.

(٥) Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus pp. 60-61.

ويذكر الباحثون أن تقديم القرابين كان مرحلة من مراحل الرقى عند اليهود ، فقد كانوا من قبل يلجئون للسحرة والعرافين ، ولكن الكهنة قاوموا هــذا الاتجاه فيهم ، ودعوا الناس ألا يعتمدوا إلا على قوة واحدة ، هى قوة القربان والصلوات والتبرعات ، وكان المعتقد أن القرابين تكفِّرُ ذنوبَ الناس وتمحو خطاياهم اذا باركتها يد الكاهن [١] .

والتطور فى نوع القرابين الذى ذكرناه آنفــاً كان نتيجة للتطور فى الفكر اليهودى عن الإله ، فقد كان يهوه فى بادىء الأمر إلهــاً يحب الدم . وكانت اليهودية دين فزع وذعر وخوف ، ولم يكن يُطفئُ حقــد الإله إلا بالدم المسفوك ، فلمــا ترقّت فكرة اليهود عن الإله ، وقالوا بإله بَرٍّ وصالح ، أصبح هــذا يكتفى بالختان بدل الإنسان ، كمــا يكتفى بالحيوان والثمار ، وكان بعض بنى اسرائيل يثورون أحيانا على الطقوس والقرابين والعبادات الشكلية بالمعبد ، ولكن أكثرهم على كل حــال ، ظلوا خاضعين لهــا أطول فترات تاريخيهم .وممــا ساعد على تقليل الثقــة بالمعــابد قبل بناء الهيكل تبــادل التكذيب والتحقير بين معبد ومعبد فى المنافسات الشديدة . فكانت هــذه كلها مؤثرات تحاول أن تفك عقال أذهان الناس ، وتفتح أمامهم آفاقاً أكثر ســعة ، وأشد حرية من النظرة الدينية ، وكانت الكنوز الذهبية الضخمة بالمعبد تجذب الناس فى عهــد من العهود ، وتفعل فعلهــا السحرى فى نفوس السذج ، ثم أصبحت هــذه الكنوز نفسها عاملا من عوامل التراخى فى العبــادة ، فما كان الجائع يستطيع أن يمسك بطنه ويخضع لثراء الأثرياء ، بعد أن تفتح ذهنه بعض الشىء .

وممــا أضعف نظام الكهنة كذلك ، قيــام المركزية الدينية ببناء الهيكل ووضع التابوت به ، فأصبح هناك معبد واحد ومجموعة واحدة من الكهنة ،

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٢ ص ٢٣٩ .

ونظر بعض الكهنة فوجدوا أنفسهم قد فقدوا كل سلطان لهم فحقدوا على هؤلاء الذين لم يفقدوا مكانتهم ، وأخـذ كل منهم يقلل من مكانة الآخرين .

وهكذا وضـع كهنة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله ، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركهـا الكاهن ، فقد كان مفتاح السماء فى يده ، وهـذا التصرف كان من أهم العيوب التى جـاء المسيح لمحاربتها ، ولكن المسيحية ــ للأسف ــ سرعان ما سارت فى نفس الطريق بعد المسيح ، فقـام القسس يمثلون نفس الدور الذى مثله كهنة اليهود من قبل [1] .

---

(١) انظر كتاب المسيحية للمؤلف .

الشعب المختار والمسيح

يقول الدكتور هربرت لوى اليهودى ، أستاذ اللغة العبرية بجامعة اكسفورد : إن اليهودية تقوم على أساسين هما وحدانية الله واختيار اسرائيل [١] ، وقد سبق أن تحدثنا عن الوحدانية عند اليهود ، ونتكلم الآن عن الأساس الثانى . غيروى أن يهوه قطع وعداً لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودى جميع الأجناس[٢] . وجاءت النصوص الآتية فى التوراة :

— أنا الرب إلهكم الذى ميزكم عن الشعوب . تكونون لى قديسين لأنى قدوس . أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى [٣] .

— إنك يا اسرائيل شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم ، وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم [٤] .

وبالغ التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون — وسنتكلم عنهما فيهما بعد — فى تبيان أفضلية اليهود واختيارهم ، فذكرا أن الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبين باقى البشر ، وقررا أن لليهود وحدهم الحياة الأبدية ، وأن أرواحهم من روح الله دون سائر الشعوب .

ما السبب فى كون اليهود شعباً مختاراً ؟

---

(١) سبق أن فصلنا القول فى الوحدانية والتعدد عند اليهود ، وهربرت لوى يهمل أطول فترات التاريخ العبرى عندما يتناسى تعدد الآلهة عندهم .

(٢) Wells : The Outline of History Vol II. pp. 291.

(٣) اللاويون ٢٠ : ٢٤ — ٢٦ .

(٤) تثنية ٧ : ٦ — ٨ .

هناك عبـــارات اصطلاحية يذكرها اليهود للتعبير عن مصـــدر هذا الاختيار ، وهى عـــبارات تدعـــو للسخرية والضحك ، فالباحث Arthur Hertzberg يقرر أنه فى سيناء عندما تجلى الله لموسى ولبنى اسرائيل تم « زواج » بين الله وبين اسرائيل ، وسُجِّل عقد الزواج بينهمـــا ، وكانت السماوات والأرض شهوداً لهـــذا العقد ، وفيما يلى نص كلمات هـــذا البـــاحث .

There are a number of exambles in Jewish literature of «A marriage contract» between God and Israel. with heaven and earth as witnesses(1).

ويرى اليهود أن الامتياز الذى حصـــل عليه الشعب اليهودى هو فى الوقت نفسه مسئولية عليهم ، وعدم رعايتهم هـــذه المسئولية بأمانة وصدق جعلهم هدفاً للانتقام ، ولذلك فإنهم يفسرون مـــا نزل بهم من ضُرٍّ بأنه عقـــاب لهم على عدم حملهم الأمانة وعدم سيرهم بمقتضى ما مُنِحوه من امتياز وتفوّق ، ويُضيف مفكروهم — دفاعاً عمـــا أصابهم من ويلات — أن اليهود لم يكونوا أكثر الناس خطايا ، ولا أبعدهم عن الصواب ، ولكن المصـــائب لحقت بهم أكثر من غيرهم لأن اختيـــارهم وتفضيلهم على سواهم ، كان يحتّم عليهم أن يكونوا أكثر طـــاعة وأكثر استجابة ، فلمـــا عَصَوْا كان عقابهم أقسى ممـــا نزل بسواهم على نفس العصـــيان (٢) .

وقد سبق عند الحديث عن ديانة اليهود العنصرية أن أوضحنا أن الصهيونية والنازية تشتركان فى ادعـــاء السيادة والامتياز على البشر . ونضيف هنـــا أن النازية أسّست على أن الألمـــان عنصر ممتاز نقى يسمو على كل عناصر البشر ، وليس هناك من يضاهيه « رِفْعَةً » وسمواً ، ولما كانت هـــذه المبادىء نفسها هى مبادىء اليهود ، فإن صداماً ضخما حدث بين

---

(1) Judaism Ed. by Arthur Hertzberg p. 119.
(٢) Ibid p. 13.

الطائفتين ، لأن كلا منهمـا يدعى أنه أفضـل من الآخر ، وفى منـ..
السيادة بالنسبة له .

ونتج من طبيعة الاختيار عقيدة أخرى عند اليهود ، هى عقيدة المسيح المنتظر ، فإن اليهود وجدوا أنفسهم لاخيرة البشر كمـا زعموا ، ولا صفوة الخلق كمـا أمّلوا ، بل لم يجدوا أنفسهم فى نفس المكانة التى ينعم بها الآخرون ، وإنما كانوا هدفاً للبلاء والنكبات ، ومن هنا اتجـه مفكروهم فى عصورهم المتأخرة إلى مخلّص ومنقـذ ينتشلهم من هـذه الوهدة ، ويضعهم فى المكانة التى أرادوهـا ، وأطلقوا على هذا المخلّص « المسيح المنتظر » . ووصفوه بأنه رسول السمـاء ، والقائد الذى سينال الشعبُ المختـار بهديه وإرشاده مـا يستحقه من سيادة وسؤدد [١] . ويتضح من الوصف الذى أورده Guignebert أن المسيح المنتظر ليس إنساناً عادياً بل هو إنسان سماوى (Heavenly person) وكائن مُعْجِز" خَلَقَه الله قبل الدهور ، ويبقى فى السماء حتى تحين ساعة إرسـاله ، وعندما يُرْسِله الله يمنحه قوته ، وهو يحمل لقب « ابن الإنسـان » أى أنه سيظهر فى صورة الإنسان [٢] وإن كانت طبيعته تجمع بين الله وبين الإنسان [٣] .

ونعلق على هـذا الوصف بأن نقول إن المسيحيين اقتبسوه كلـه وأسندوه إلى عيسى بن مريم [٤] .

وكلمة المسيح معناها الممسوح « بزيت البركة » لأنهم كانوا يمسحون به الملوك والأنبياء والكهنة والبطارقة ، وكانوا فى مبدأ الأمر يرون المسيح ملكـاً فاتحاً مظفراً من نسل داود ، يسمونه ابن الله ، ويعتقدون أنه سيجىء ليعيد مجـد إسرائيل ، ويجمع أشتات اليهود بفلسطين ، ويجعل أحكام

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus p. 140.
(٢) Ibid p. 141.
(٣) James Hosmer : The Jwes p. 85.
(٤) اقرأ كتاب المسيحية للمؤلف .

التوراة نافذة المفعول ، ولكنهم أحياناً أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم وإن لم يكن من نسل داود ، كما أطلقها أشعيا على قورش . ولما طال انتظارهم للمسيح الفاتح الغازى ، ولم يجىء فكروا أحياناً بأن يجىء المسيح مصلحا اجتماعيا عادلاً وديعاً (١) .

وقد سبق أن قلنا إن فكرة المسيح برزت فى الفكر اليهودى فى وقت متأخر ، ومراجعة الكتاب المقدس تقرر لنا أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم فى بابل ثم خضوعهم إلى الفرس (٢) ، وهذا التوقيت دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التى يدين بها الفرس (٣) .

ويشرح Guignebert العلاقة بين الفكر الفارسى والفكر اليهودى فى مسألة المسيح فيقول : إن الاتجاه الفارسى كان يُبْرِز انتصار الخير على الشر فى الصراع الطويل بينهما ، وذلك الذى سماه الفرس خيراً هو نفسه ما أسماه اليهود « المسيح » ، ويضيف هذا الباحث أن فكرة وجود ملك مثالى يحكم العالم كله كانت فكرة شائعة عند الساميين وهى تستتبع وجود عالم مثالى وهو ما أسماه اليهود ، والمسيحيون من بعد اليهود (ملكوت الله) (٤) .

بل يعود Guignebert بفكرة المسيح لدى اليهود إلى وقت سابق للعهد الفارسى ، وهو يرى أن الكلمة المستعملة مع المسيح هى كلمة Expectation أى (توقّع) ، وهى عنده توحى بأن المسيح وُجِد قبل ذلك ، وليس توقّعه إلا أملاً فى أن يعود مرة أخرى ، ويقرر أن بعض

---

(١) Judaism Ed. by Arthur Hertzberg pp. 215-218.

(٢) اقرأ سفر دانيال .

(٣) العقاد : الله ص ١١٧ .

(٤) The Jewish World in the Time of Jesus p. 141.

الباحثين توقعوا المسيح منذ عهد موسى ، ويروى أن بعض الشعراء وصفوا داود بأنه المسيح المنتظر ، ويتخذ من هذا دليلا على وجود فكرة المسيح قبل الأسر البابلى [١] . ولايُسْتَبْعَد أن يكون (Messiah = مسيا = المسيح) يمثّل المنقذ الذى هتف به اليهود كلما ألمّت بهم النوائب ، وطالما ألمّت بهم هذه النوائب [٢] .

ويتجه بعض الباحثين إلى القول بأن فكرة المهدى المنتظر عند الشيعة مستعارة من فكرة المسيح المنتظر عند اليهود [٣] . وعلى هذا فكلمة « المهدى » بديل" شيعى لكلمة « مسّيا » اليهودية ، وهؤلاء وأولئك لايزالون ينتظرون هذا الأمل ويرون فيه الرشاد والخلاص .

ويرى We'ls أن فكرة المسيح عند اليهود كانت خطوة طبيعية ناشئة عن خطوات سبقتها ، وتلك الخطوات هى الاعتقاد بأن الخلق أجمعين ليسوا من أبناء إبراهيم ، وإنما هم أمم وقبائل ، وأن الشعب اليهودى أرقى هذه الأجناس وتلك الأمم » وأن إلههم يهوه أعظم وأقوى آلهة القبائل خطراً ، ونشأت عن هذه الأفكار الثلاثة فكرة المسيح المنقذ رجاء أن يحقق لليهود ما ترامى به الزمن من وعود يهوه التى طال الأمد عليها [٤] .

وبالغ اليهود فى رسم الصورة التى أرادوها للمسيح الذى كانوا ينتظرونه ، فذكروا أن الناس فى ظله لن يعيشوا وحدهم فى العالم فى سلام وسعادة ، بل سوف يشاركهم فى ذلك كل أنواع الحيوانات ، فالذئب يسالم الحمل ، والعجل يداعب الأسد .

---

(١) Ibid p. 139.

(٢) The Jewish World in the Time of Jesus p. 139.

(٣) Margolis and Marx : A History of the Jewish Peaple p. 258.

(٤) Outline of History Vol. 2, p. 292.

ونقتبس فيما يلى بعض فقرات من أشعيا يتحدث فيها عن المسيح المنتظر :

— ها العذراء تحبل وتلد ابنا [١] .

— يولد لنا ولد ، ونُعْطَى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويُدْعى اسمه عجيبا ، ويكون إلهاً قديراً أبا أبديا رئيس السلام ، ولنموٌ رياسته يجلس على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ، ويعضُدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد ، غيرةُ رب الجنود تصنع هذا [٢] .

— ويخرج قضيب من جزع يسّى وينبت غصن من غصونه ، وتحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب ، ولذته تكون فى مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البِرُّ مِنْطقة متنية ، والأمانة منطقة حَقْويه .

— فيسكن الذئب مع الخروف ، ويربُض النمر مع الجدى ، والعجل المسمَّن والشبل معا ، وصبى صغير يسوقها ، والبقرة والدُّبّة ترعيان ، تربض أولادهما معاً ، والأسد كالبقر يأكل تِبْناً ، ويلعب الرضيع مع سرب الصِّل ، ويمد الفطيم يده على حُجْر الأفعوان ، لا يسوءون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر ، ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسّى القائم رايةٌ للشعوب ، إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً .

---

(١) اشعيا ٧ : ١٥ .
(٢) اشعيا ٩ : ٦ — ٧ .

— ويكون فى ذلك اليوم أن السيد يعيد يــده ثانية ليقْتنىَ بقيــة شــعبه . التى بقيت من آشــور ومن مصر ومن •••••• ومن حمــاة ومن جزائر البحر ، ويرفع راية للأمم ، ويجمع منفيى اسرائيل ، ويضم مشتّتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض [١] •

وردّد أرميا وعاموس نفس المعانى التى ردّدها أشــعيا واقتبسناها آنفاً ، والقارىء لسفريهما يجــد هذه الأفكار منثورة هنا وهناك •

وتهيأ الرأى العام اليهودى لهــذا المسيح ، وكان توقّعه يتجدد كلما نزلت باليهود البلايا والمحن ، وظهر عيسى بن مريم وأعلن أنه المســيح الذى ينتظره اليهود ولكن أكثرية اليهود رفضــوا هــذا الادّعاء ، وقاوموا دعوة عيسى ، وألقوا القبض عليه وحــكموا عليه بالإعــدام [٢] ، ويقول عنه التلمود : إن يسوع الناصرى موجود فى لُجّات الجحيم ، بين القارّ والنار ، وقــد أتت به أمه عن طريق الخطيئة [٣] •

ومرت فترة طويلة دون أن يجىء المســيح الذى ينتظره اليهــود ، وانتهز بعض اليهود فرصــة هــذا الترقب فادعى كل منهم أنه المسيح ، ويسجل التاريخ أخبارا لمسيح كاذب من حين الى حين ، وبخاصــة فى بلاد الفرس حيث ذاع القول بالمهــدى المنتظر لدى الشيعة ، فأثار الحماسة لظهور المســيح المنتظر ، ففى بلدة شيرين ظهر رجل من اليهود فى القرن الثامن الميلادى ، وادعى أنه المسيح المنتظر ، ووعــد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلســطين [٤] ، وفى نفس القرن ظهر فارسى آخر فى بلدة اصفهان اســمه أبو عيسى وادعى أنه المسيح ، وقال إن عودة فلســطين لن تتم

---

(١) اشعيا ١٧ : ١٥ و ٩ : ٦ — ٧ و ١١ : ١ — ١٠ .
(٢) اقرا كتاب المسيحية للمؤلف .
(٣) سنتكلم عن التلمود فى الفصل الرابع من هذا الكتاب .
(٤) Margolis and Marx : A History of the Jewish People . p 259.

إلا على أســـنة الرماح ، وأعــد جيشـــا قوامه عشرة آلاف جنـــدى من اليهود ، وواتته فترة الاضطرابات التى كان يعانيها العالم الإسلامى عند ســـقوط الدولة الأموية وقيام دولة بنى العباس ، فعاشت حركة أبى عيسى فترة لأن أبا العباس السفاح انشغل عنها بما صـــادفه من مشـــكلات فى مطلع الدولة العباسية ، فلما آل السلطان للخليفة المنصـــور اتجـــه بضربة قاصـــمة الى جيش اليهود فهزمه ، وفر أبو عيسى تجاه الشـــمال ، ذاكراً أنه سيتقابل هناك مع أحـــد قادة اليهـــود المختفين ليتعاون معـــه على استعادة فلســـطين [1].

وفى القرن السابع عشر ظهر فى سالونيك يهودى اسمه سبتاى زيفى كان واســـع الاطلاع على الثقافة اليهودية مما جعـــله على صـــلة بأقوال اليهود حول المســـيح المنتظر ، ورأى زيفى ما عاناه اليهود فى حرب الثلاثين بأوربا ، فقـــد أمضى طفولته وشبابه وهـــذه الحرب مشتعلة ؛ حيث كان اليهود وقوداً لها ، وساورته نفسه أن يعلن أنه المسيح المنتظر ، فعكف على الصـــلاة والصوم ، وأخـــذ يطوف البلاد هنا وهناك ، ويدعو لنفسه ويعلن قرب ظهور المسيح المبارك ، ولما حلّت سنة ١٦٦٦ أعلن زيفى أول رســـالة لليهود ، واختار لإعلانها يوماً يمضـــيه اليهود فى صـــوم وحزن لأنه يرتبط بذكريات أليمـــة عندهم ، وفى هـــذه الرسالة يقول :

« من أول ابن لله سبتاى زيفى ، المسيح ، مُخلِّص شعب اسرائيل ، الى جميع أبناء اسرائيل .... السلام .... لمّا كان قـــد قدّر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعـــد الله الى أبنائه ، فلا بُد أن تغيروا أحزانكم فرحاً وصـــومكم مرحاً ، لأنكم لن تبـــكوا بعد الآن ، فاستمتعوا وغنّوا واستبدلوا باليوم الذى كان من قبل يُقضى فى حـــزن وآلام ، يوم عيـــد ، لأننى ظهرت ... » .

---

(1) Ibid p. 259

وأعلن زيفى أنه سيستعيد فلسطين لليهود ، وسيُعيد مجد صهيون الذى حققه من قبل داود وسليمان ، وقد ذكر لنا Hosmer تفاصيل دقيقة عن سبتاى زيفى وحركته ، فلننقل منه بعض فقرات تصور لنا هذه الحركة الخطيرة ونهايتها ، يقول Hosmer [(١)] : وُلد سبتاى زيفى سنة ١٦٢٦ م وهو ابن" لتاجر يهودى كان يعمل مديراً لفرع من فروع شركة انجليزية تجارية كبيرة ، وكان سبتاى جذابا هادىء الأخلاق . كما كان شديد الحماسة للفروض الدينية والتقاليد اليهودية ، مما لفت اليه الأنظار ، وعندما بلغ الخامسة والعشرين أعلن أنه المسيح المنتظر ، وسرعان ما صدّقته أفواج من الناس وأصبح له مريدون يزدادون يوماً بعد يوم . وأخذ سبتاى ينتقل بين اليونان وسوريا ومصر . وكان بعض أتباعه المتحمسين له يسبقونه الى حيث ينوى أن يذهب ليهيئوا الجو لحضوره . ويجمعوا لاستقباله الجموع ؛ وفى القاهرة كانت هناك فتاة يهودية بولندية نادرة الجمال هربت بما يشبه المعجزة من مذابح القوزاق ، وعندما التقى بها سبتاى افتتن بجمالها وتزوج بها وأعلن أنه منذ القدم كان قد قُضِىَ بأن تكون شريكة حياته ، وراح سبتاى فى حماسة ظاهرة ينتقل هنا وهناك ويواصل دعوته ، ولم يستطع الربانيون أن يوقفوا حركته التى أخذت تنتشر فى كل مكان بين اليهود ، حتى أصبح له أتباع فى أمستردام وهامبورج ولندن بالإضافة الى أتباعه بالشرق . وقد بلغ تصديقه مبلغاً عظيما حتى أن بعض أتباعه راحوا يبيعون ممتلكاتهم ويجمعون ثروتهم ويُعدون أنفسهم للعودة من المهجر الى فلسطين خلف سبتاى ؛ وفى فارس توقف العمال اليهود عن طاعة ساداتهم ورفضوا أن يستمروا فى فلاحة الأرض ، وبدأ اليهود فى كل مكان وكأنما مسهم طائف من الجنون وأصبحوا عبيداً للأمل الذى جددته دعوة زيفى .

وانتشى زيفى بالنصر الذى حققه ، فراح يُدخل تعديلات جريئة فى

---

(١) James Hosemr : The Jews pp. 216-218.

التقاليد والنظم اليهودية ، فغير وقت الصـــوم ومواعيد الأعياد كما جاء فى رسالته التى ذكرناها آنفاً ، ووصـــلت به النشوة الى أن تخيل نفسه صاحب سلطان شامل ، فأخـــذ يوزع التيجان على إخوته وأصدقائه المقربين ؛ بعد أن عين كلا منهم ملكاً على منطقة من المناطق التى رأى أن سلطانه سيزحف عليها ، واحتفظ لنفسه بلقب « ملك الملوك » .

ووصـــل زيفى فى تجواله الى القسطنطينية حيث عاصـــمة الخـــلافة العثمانية ويلاحظ أن الخليفة المســـلم لم يتعرض له فى المدة السابقة لأنه فيما يبدو لم يرد أن يواجه الحماس والصخب الذى أحاط باسم سبتاى فى أول أمره ، وهـــذا التصرف من الخليفة المسلم شجع ســـبتاى الى أن يدخل عاصـــمة الخلافة ، وهناك ألقى الخليفة القبض عليه ، وأحـــكم قيده وألقى به فى قلعة الدردنيل ، واكتفى الخليفة المسلم بذلك فترة نَعِم خلالها سبتاى بالكرم والحفاوة ، وزحف كثير من اليهود الى القسطنطينية ليروا مصـــير قائدهم ، ولكن أحـــد اليهود الربانيين البولنديين أعلن أن سبتاى كاذب ، وأن حركته تهـــدد الأمن والسلام ، وانتهز السلطان محمد الرابع هـــذا الخلاف ، فأحضر سبتاى أمامه فى جمع حافل ، وأعـــدّ بعض الجند المهرة لقتله ، ثم أعلن هـــذا السلطان استعداده ليتحول الى اليهودية اذا استطاع سبتاى ابنُ الله ، والمسيح المنقذ كما يدعى ، أن يمنع الرصاص من الانطلاق ، وفى نفس الوقت منح الخليفة فرصـــة لسبتاى ليعلن أنه كاذب مدع ، وأن يدخل الإسلام إن كان يعرف أنه لن يستطيع إيقاف الرصاص من الانطلاق ، وسرعان ما اختار سبتاى السلامة ، وأعلن أنه كاذب ، واعتنق الإسلام أو لم يجـــد مناصاً من ذلك ، وسُمِّى محمد أفنـــدى ؛ وانتهت بذلك هـــذه الزوبعة التى أثارها هـــذا المدعى ، ولا يزال اليهود حتى الآن ينتظرون المســـيح (١) .

---

(1) See also : Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 701.

الفِرَق فى اليهودية

تكثر الفِرَق فى اليهودية كثرة بالغــة ، وتختلف هــذه الفرق فى مبادئهــا وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون ، وإلى مــا وراء الكون ؛ وسنتكلم هنا عن أهم الفرق فى اليهودية ، شارحين أبرز نقــاط الاتفاق والاختلاف بينهــا :

الفرِّيسيون :

كلمة الفرِّيسيِّين معناها المنعزلون والمنشقون ، فهم بذلك يناظرون إلى حدٍّ ما فريق المعتزلة عند المسلمين ، وقد أَطْلَق عليهم أعداؤهم هذه التسمية ، ولذلك فهم يكرهونهــا ويسمون أنفسهم « الأحبار » أو « الإخوة فى الله » أو « الربانيين » Godly oues [1] .

وهم يعتقدون أن التوراة بأسفارهــا الخمسة خلقت منــذ الأزل ، وكانت مدونة على ألواح مُقدسة ثم أُوحِىَ بهــا الى موسى ، وعلى هذا فتدوينها بعده هو فى الحقيقة إعــادة تدوين ، ويعتقد الفريسيون فى البعث ، وقيامة الأموات ، والملائكة ، والعــالم الآخر ، وأكثرهم يعيشون فى مظهر الزهد والتصوف ، لا يتزوجون ، ويحافظون على وجودهم بطريق التبنى ، ولا يقدِّمون القرابين فى المعابد [2] .

ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هى كل الكتب المقدســة ، التى يُعْتَمَد عليهــا ، وإنما هناك بجانب التوراة روايات شفوية ومجموعة من القواعد والوصايا الشروح والتفاسير ، التى تعتبر توراة شفوية ، وقد تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ، وربمــا دونوها أحياناً خوفا عليها

---

(1) Guignchert : The Jewish World in the Time of Jesus p. 154.

(2) Laurance Browne : From Babylon to Bethlehem pp. 84-85.

من الضياع ، وتلك الروايات الشفوية هى التى دونت فيما يسمى التلمود[1] ؛ ولضمان تقديس اليهود للتلمود ، أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عُليا ، وأنهم معصومون وأن أقوالهم صادرة عن الله ، وأن مخافتهم هى مخافة الله ، ومن قولهم فى ذلك : « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هى قول الله الحىّ ، فإذا قال الحاخام أن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس ، فصدِّق قوله ولا تجادله ... »[2] وتبعاً لذلك ليس هناك اجتهاد عند الفريسيين ، وما الحاجة للاجتهاد إذا كان الحاخام مقدساً ومعصوماً ؟ وعنده لكل سؤال جواب[3] وللفريسيين رأى فى القضاء والقدر ؛ فهم يرون أن الأفعال يمكن أن تتأثر بالقضاء والقدر ولكنها غير واقعة بهما[4] .

ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكوّنون فرقة دينية ، وإنما يمكن أن نطلق عليهم حزباً سياسياً له اتجاهاته الدينية ، وهم يعتقدون أن دولة اليهود لابد أن تستعيد مكانتها ، ولذلك كانوا يؤمنون بالمسيح الذى يجىء ليعيد « ملكوت الله »[5] .

وكان نشاط الفريسيين فكرياً لا ثوريا ، فهم لم يلجأوا قط للحركات العنيفة ، ولكنهم اتجهوا بكل جهدهم إلى تفسير التوراة والتعليق عليها[6] .

وكان الفرّيسيون يريدون من بنى اسرائيل أن يتمسكوا بالعقيدة القديمة التى كانت لأجدادهم قبل سقوط دولتهم بفلسطين ، وكانوا يعارضون الأنبياء الذين ظهروا فى فترة الأسر وبعده ، ويتمسكون بشريعة الأنبياء الأوّلين ، كما كانوا يتشدّدون فى التنفيذ ، ويتمسكون بالتقاليد .

---

(١) Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 159.

(٢) من نصوص التلمود .

(٣) الباعو بشياصي : شعار الخصوص ص ١ .

(٤) Lauraucc Beowne : From Babylon to Methlehem p. 85.

(٥) Guiguebert The Jewish World in the Time of Jesus p. 167.

(٦) Ibid p. 189.

وكان الفريسيون ينعمون بكثير من السلطة فى بلاط أمراء المكابيين . وكان لهم نفوذ واسع فى المجتمع اليهودى . وقد أدى اتساع هذا النفوذ إلى تخوّف السلطات الحاكمة منهم ، وإلى نظرها لتصرفاتهم فى شيء غير قليل من الشك والشبهة . وكان ذلك بدء انشقاق بين السلطات الحاكمة وبينهم .

وفى عهد هركانوس (١٠٥ ق م) اشتد الخلاف بينه وبينهم . فانسحب الفريسيون من تأييد حكومته ، ووضعوا أنفسهم موضع المعارضة . فتخلى عنهم هركانوس وانضم إلى منافسيهم الصدوقيين الذين ظلوا على الولاء للحكومة [١] ، ومنذ حصلت هذه القطيعة اتجه الفرنسيون إلى العودة لفكرة المسيح الذى ينتظره اليهود كما ذكرنا آنفاً ، وقد كان تحول السلطان عنهم نذيراً بتدهور أحوالهم ، هذا بالإضافة إلى أنهم انحرفوا عن سنن أسلافهم ، واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها ، وأقبلوا على الشهوات يستسرّون بها ، وهم فى عملهم يراءون الناس استدراجاً ليوقعوهم فى مخالبهم ، ويبتزون أموالهم ، فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار [٢] .

وقد صورهم كاتبو الأناجيل فى صورة معارضة للمسيح عيسى عليه السلام ، ووضعوهم فى موضع معارض له [٣] .

وتأثرت مكانتهم رويداً رويداً بهذه الأسباب فتخلى عنهم أكثر أتباعهم ، وأصبح الانتساب إليهم عاراً ، على أنه وُجِدَ من بين الباحثين اليهود فى العصر الحديث من يدافع عنهم ليعيد لهم مكانتهم التى نعموا بها فترة من التاريخ ، ومن هؤلاء « هوكسلى » الذى يقول : من غرائب سخريات التاريخ إن لم تكن أغربها ، أن كلمة فريّسى أصبحت تدل على العار .

---

(١) Ibid p. 168.

(٢) سليمان مظهر — قصة العقائد ص ٢٦٩ .

(٣) Guignebert The Jewish World in the Time of Jesus p. 165 Guignebert

ويقول « هارفولد » : كانت الفريسية سيئة الحظ فى التاريخ ، إذ قلما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسيَّة على حقيقتها ، بل قلما حاولت أن تنتهز هذه الفرصة إذا سنحت ، فهل بلغ الدين المسيحى مبلغاً من الضعف ، يلجئه إلى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه ؟ .

ويقول القس « بوكس » : لقد أسس الفريسيون نظام الفردية فى الدين ، ووضعوا طقوساً روحية بحتة ، وتعمقوا فى الاعتقاد فى الآخرة ، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف ، وجعلوا الكتاب المقدس ملكا مشاعاً للجميع ، وفى اجتماعات الكنيس الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات باللغات ، عن حقائق الدين وآماله ، استناداً على نصوص التوراة .. وكافح الفريسيون كفاحاً مستبسلا فى سبيل وضع الحياة تدريجياً تحت سلطة العقائد الدينية ، فتأثرت قلوب الشعب بأوامر الدين ونواهيه بفضل ما بذله الفريسيون من العناية فى سبيل تقويم العادات ، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقاً دقيقاً ، ولكن الظواهر الخارجية كانت دائماً خاضعة للعقائد الكامنة (١) .

الصدّقيون :

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم فى عهد سليمان ، أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد فى القرن الثالث قبل الميلاد (٢) وينكر Guignebert هذه النسبة لأن حرف الدال مضعّف فى تسمية الفرقة وليس مضعفاً فى كلمة صادوق ، ثم أن أتباع هذه الفرقة لم يدّعوا أبداً الارتباط بهذا الكاهن أو ذاك ويرى Guigneber أن هذه التسمية من صنع أعدائهم وأنها من نوع التسمية المضادة

---

(١) من الفكر اليهودى ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) Laurance Browne : From Babylon to Bethlehem p. 85.

لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار فسماهم أعداؤهم « الصدّوقيين » [١] .

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء الإنسان يتم فى الدنيا ؛ فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ؛ والعمل السىء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب [٢] .

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية « التلمود » ، وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة ، وينكرون الخلود الفردى . كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار ، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله ، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقّبونه .

ولا يميل الصدوقيون للاشتراك فى الحركات الثورية والآمال التى تتطلب عنفاً وجهداً ، ويميلون لاحترام القوانين الموجودة على أى حال ، ما دامت الديانة اليهودية محترمة بوجه ما ، فكانوا يكتفون من السلطات الحاكمة بالاعتراف بيهوه ، وبامتيازاتهم الخاصة ، ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع .

وينحدر الصدّوقيون من طبقة الارستقراط ببيت المقدس الذين كانوا يمثلون الغنى والدين والسلطة والمكانة فى المجتمع اليهودى ؛ ولذلك يعدّهم الكتّاب اليهود حزب المحافظين فى الشعب اليهودى ؛ ويرى Guignebert أنهم لا يكوّنون طائفة دينية بقدار ما يكونون حزباً سياسياً [٣] ، ويسميهم حزبَ المحافظين لعدم اعترافهم بالتراث الشفوى « التلمود » ولأنهم يرون أن الزيادة فى الاعتقاد أو العبادة أو التراث بدعة مرفوضة [٤] .

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus p. 162.

(٢) Laurance p. 85.

(٣) The Jewish World in the Time of Jesus pp. 162 - 163.

(٤) Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 159.

ويقال أن عيسى عليه السلام كان على صلة طيبة بهم ، لأنه هاجم الفريسيين وقبل سلطان قيصر الروم ، على نحو ما فعل الصدوقيون ، غير أن إنكارهم للبعث والدار الآخرة ... كانت سببا فى الخلاف بينهم وبين المسيح ، وقد حاول عيسى ردهم إلى الاعتقاد السليم ، ولكنهم لم يستجيبوا له وقاوموا دعوته أكثر مما قاومها غيرهم [١] .

القراءون :

كان القراءون يمثلون القلة بين اليهود ، فلما تدهور شأن الفريسيين ، نما فريق القرائين وورث أتباع الفريسيين ونفوذهم .

والقراءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً ، وليست عندهم روايات شفوية كالتى قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الآخر ، وبالتالى لا يعترف القراءون بالتلمود .

ويقول القراءون بالاجتهاد ، فإذا تبين الخلف خطأ السلف كالخطأ الذى لاحظوه فى المحرمات فى الزواج ، فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ ، ومن هذه الأخطاء التى لا حظها المتأخرون وصححوها ، خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم [٢].

الكتبة :

تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهنتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها ، فهم أشبه شىء بالنساخ ، وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة ، عرفوا بعض المعلومات من الكتب التى نسخوها ، فاتخذوا

---

(١) Laurance, Passim.

(٢) الياهو بشياصى : شمار الخضر ص ١ — ٢ (مقدمة المترجم) .

الوعظ وظيفة أخرى لهم بجوار كتابة الشريعة ، وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتَصيُّد أموال الناس ، وبخاصة عندما عمَّ الفساد وانحرف الفريسيون [١] .

وكانوا يسمَّون أحياناً بالحكماء ، وأحياناً السادة « Rabbis » كما كان الواحد منهم يُنادى بلقب « أب » عند المخاطبة ، وقد برز الكتبة كحملةٍ للواء الشريعة عند ما جذب النفوذ السياسى غيرهم من رجال الدين إلى مجاله ، فأصبح رجال الدين حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان وأخلوا المجال الدينى للكتبة ، فاحتلوه .

وجاءت خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأعْلت من قدْرهم ، هى أن كل واحد منهم عُنِىَ بإنشاء مدرسة أصبح هو راعياً لها ومعلماً بها ، وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ، ومن الناحية النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مُريديه ، وإن كانت الناحية النظرية كثيرا ما أهملت ، وحصل الكتبة على ثراء كبير من مريديهم ومن وسائل أخرى [٢] .

المتعصبون :

فرقة أخرى من الفرق اليهودية خصص لها (Guignebert) حديثا . نورد فيما يلى ترجمة أبرز فقراته :

كان فى فلسطين بين الفرق الأخرى فريق وثيق الصلة بالفرّيسيين . يتفق معهم فى أكثر عقائدهم ، كالقول بالمسيح المنتظر ، وكالحماسة الوطنية والميل للعبادة ، ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتُّهموا باللادينية ، أو بقبول الخضوع لغير اليهود ،

---

(١) Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 258.

(٢) Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus pp. 67-68.

وكان من سياسة هذا الفريق ألا ينتظر أتباعه العونَ من إلههم ، بل يعملوا بأنفسهم ليساعدوا الإله على تحقيق ما يريده لشعبه . وكانوا بذلك يكوّنون الجناح اليسارى فى فريق الفريسيين . بيد أنهم كانوا فى غاية الحماسة تجاه شغفهم بالحرية ، ولم يعترفوا بأى سلطان عليهم سوى سلطان الله ، وكان الموت عندهم أسهل من طاعة اليهود ، ومن ثم أعلنوا احتقارهم لجماعة الفريسيين الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للرومان ، وكانت الحركات الثورية التى قام بها المتعصبون فى مطلع القرن الميلادى الأول سببا فى الحدة بين اليهود وبين الرومان ، مما دفع الرومان إلى أن يضربوا الثائرين ضربات قاصمة ، وأن يذبحوا قادة الثورة ، ولكن إخماد هذه الثورات لم يضع نهاية لحركات المتعصبين ، فهبوا من جديد يدبرون ثورات أخرى ويجمعون لها الجموع ، ولما أحس الرومان بذلك قضوا على السلطة المحلية التى كانوا قد منحوها لليهود ، وحكموا مناطق اليهود بطريق مباشر ، وكان ذلك باعثا لحماسة هذا الفريق ودافعا إلى خلق جو من الاضطراب والقلق فى المناطق اليهودية ، وفى هذا الجو بدأ المتعصبون حركات اغتيال وفوضى ضد الرومان وضد اليهود الذين كانوا يتعاونون مع الحكم الرومانى ، وبلغ من حماستهم أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علناً فى الطرقات ، ويغتالون دون تردد كل من يرون أن القضاء عليه سيحقق لهم هدفهم [1] ، وبهذا أُطْلِق عليهم « السفاكون » Assassins كما لجئوا إلى النهب واللصوصية والفتك ، وأوقعوا بالبوليس الرومانى ألواناً من العنت ، ومن أجل هذا يَعُدّ الباحثون هذا الفريق ضمن الفرق السياسية ، أو فرق العصابات ، مع أنهم بدءوا حركتهم فى إطار دينى ، ولهدف دينى ، ولكن جرائمهم الكبرى نقلتهم من ميدان إلى ميدان [2] .

---

(١) من أحفادهم قتلة برنادوت وكنيدى .
(٢) The Jewish World in the Time of Jesus pp. 169-170.



الباب الرابع

مصادر الفكر اليهودى



تقـــديم :

كان التخطيط الأول لهـــذا الكتاب أن يكون به مبحث عن « العهـــد القديم » يناظر المبحث الذى ورد بكتاب « المسيحية » عن « العهد الجديد » ولكن المراجع سرعان مـــا قررت أن « العهد القديم » ليس الكتاب المقدس الوحيد لدى اليهود ، وأن هناك مصـــادر أخرى يلتزم اليهود بتقديسها ولا تقل أهمية عن « العهد القديم » • ومن أجل هـــذا تغير عنوان هـــذا الباب فأصبح « مصادر الفكر اليهودى » حيث سيشمل البحثُ الكلامَ عن أهم المصـــادر التى يضفى اليهودُ عليهـــا القداسةَ ويستمدون منها التوجيه ، وهـــذه المصادر هى :

١ — العهـــد القديم •

٢ — التلمـــود •

٣ — بروتو كولات حكماء صهيون •

وفيما يلى حديث عن كل منها :

العهــد القــديم

تعريف بالعهــد القديم :

العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود . وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم كمــا سيتضح فيما بعد ، وقد تُطلَق « التوراة » على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل ، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى ، لأنه أبرز زعمــاء بنى اسرائيل ، وعنده يبدأ تاريخيهم الحقيقى . **وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية .**

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين . ولكن أسفاره غير متفق عليهــا . فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون . فإذا جئنا إلى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية .

وتقسَّم أســفار العهد القديم التى يعترف بهــا البروتستانت ثلاثة أقســام :

القسم الاول « التوراة » ويشمل أســفاراً خمسة هى : التكوين — الخروج — اللاويون (الأحبار) — العدد — التثنية ، وتلك هى التى يُطلق عليها أسفار موسى أو يطلق عليها التوراة كما ذكرنا .

القسم الثانى « أسفار الأنبياء » وهى نوعان :

١ — أسفار الأنبياء المتقدمين : وتشــمل الأسفار الآتية : يشوع (يوشع ابن نون) — قضاة — صموئيل الأول — صموئيل الثانى — الملوك الأول — الملوك الثانى .

٢ — أسفار الأنبياء المتأخرين : وتشمل الأسفار الآتية : إشَعْيَا — إرْمِيَا — حزَقيال — هُوشَع — يوئيل — عاموس — عُوبَدْيا — يونان (يونس) — ميخا — ناحوم — حَبَقّوق — صَفَنْيا — حَجّى — زكريا — مَلاَخِى .

القسم الثالث « الكتابات » وهـذا القسم يتشعب إلى أنواع ثلاثة :

١ — الكتب العظيمة وتشمل الأسفار الآتية : المزامير (الزبور) الأمثال (أمثال سليمان) — أيوب •

٢ — المجلات الخمس : — تشمل الأسفار الآتية : نشيد الأناشيد — راعوث — المراثى (مراثى إرميا) — الجامعة — أستير •

٣ — الكتب : ويشمل الأسفار الآتية : دانيال — عزْرا — نحميا — أخبار الأيام الأول — أخبار الأيام الثانى •

ومجموعة هـذه الأسفار تسع وثلاثون سفراً وهى الأسفار التى تعتمدها الكنيسة البروتستانتية ، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى هى : طوبيا — يهوديت — الحكمة — يسوع بن سيراخ — باروخ — المكابيين الأول — المكابيين الثانى ، كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها يجيئان بدلا من سفرى صموئيل الأول والثانى ، وبعض رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفرى الجامعة ونشيد الأناشيد لأسفار العهد القديم ، وطائفة السامرين [١] لايؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة ، ولا يرون غيرها كتاباً مقدساً ، ويضيف بعض السامرين سفرى يوشع والقضاة لأسفار موسى ويرون فى هـذا الأسفار السبعة كتابهم المقدس •

وللمسيحيين الكاثوليك تقسيم آخر لأسفار العهد القديم ، فهم يرون أن الأسفار الستة والأربعين تتدرج تحت خمسة أقسام هى :

١ — أسفار موسى الخمسة التى تتضمن شريعته •

٢ — أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهى — يشوع — القضاة — راعوث — الملوك الأول والثانى والثالث والرابع — أخبار الأيام الأول —

(١) السامريون طائفة من المتهودين اى الذين دخلوا اليهودية من غير بنى اسرائيل .

أخبار الأيام الثانى — عزرا — نحميا — طوبيا — أستير — يهوديت — المكابيون الأول والثانى .

٣ — أسفار شعرية — وعددها ستة وهى : أيوب — المزامير — أسفار سليمان الثلاثة : الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد — مراثى إرميا .

٤ — أسفار نبوية وعددها ١٧ وهى : أشعيا — إرميا — باروخ — حزقيال — دانيال — هوشع — يوئيل — عاموس — عُوبَدْيا — يونان — ميخا — ناحوم — حبقُّوق — صَفَنْيا — حجَّى — زكريا — ملاخِى .

٥ — أسفار تعليمية وعددها اثنان هما : سفر الحكمة ويسوع بن سيراخ (١) .

وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببنى اسرائيل ، وهما سفر أيوب وسفر يونان ، فأيوب من بنى عيسو وليس من أبناء اسرائيل كما يظهر من نصوصه ، ويونان تفيد عبارته أنه نبى مرسل إلى نينوى لا إلى بنى اسرائيل ، ومحتويات السفرين قريبة من المحتويات التى أشار لها القرآن الكريم .

ومن الأسفار ما هو طويل كثير الإصحاحات كسفر المزامير الذى يصل إلى مائة وخمسين مزموراً ، وإشعيا الذى يحوى ستة وستين إصحاحاً ، وإرميا وهو يتكون من أثنين وخمسين إصحاحاً ، والتكوين وبه خمسون إصحاحاً ، ومنها ما هو قصير كسفر عُوبديا وبه إصحاح واحد ، وحجى وبه إصحاحان ، وصَفَنْيا وحبقُّوق وناحوم وكل منها يتكون من ثلاثة إصحاحات .

والعهد القديم على العموم سِجِلٌ فيه شعر ونثر ، وحِكم وأمثال ، وقصص وأساطير ، وفلسفة وتشريع ، وغزل ورثاء مع بلاغة أسلوب وفصاحة عبارات فى كثير من الحالات .

---

(١) زكى شنودة : تاريخ الأقباط ص ٩١ — ٩٢

تعريف بالأسفار

بعد هذه الجولة السريعة حول الكتاب المقدس كجملة ، يجدر بنا أن نعرّف بأسفاره مفصلة ، وسنسير على ذلك متتبعين نظام النسخة البروتستانتية فإذا انتهينا من التعريف بأسفارها ، رحنا نعرّف بالأسفار الزائدة التى أوردتها النسخة الكاثوليكية :

أسفار التوراة :

أول ما يعنينا فى بحثنا أسفار موسى الخمسة ، والسفر الأول الخلق أو التكوين (Genesis) كما يسمى فى اللغة العربية وسمّى بهذا الاسم لاشتماله على قصة خلق العالم ، وخلق الإنسان الأول : ويشمل السفر — بالإضافة إلى هذا — قصة الخطيئة التى ارتكبها أبو البشر ،ونزوله إلى الأرض عقاباً له ، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم ، فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده ، وقصة إبراهيم وتجواله ونسله الى اسحق ويعقوب وأولاد يعقوب وبخاصة يوسف ، وما جرى له الى أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وإخوته ، وبموت يوسف ينتهى هذا السفر •

والسفر الثانى هو سفر الخروج ويسمى باليونانية واللاتينية Exodus أى خروج ، وسمّى بذلك لتناوله خروج بنى اسرائيل من مصر ويحوى هذا السفر قصة بنى اسرائيل بعد يوسف ، وما عانوه من الفراعنة ، وظهور موسى وخروجه بهم من مصر ، ويستمر هذا السفر فى قص تاريخ بنى اسرائيل حتى يصل بهم إلى شرق الأردن ، وفى هذا السفر الوصايا العشر التى أعطاها الله لموسى ، وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية الخاصة بيهوه إله بنى اسرائيل ، ومنها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد ، وما حدث من بنى أسرائيل فى غيبة موسى •

والسفر الثالث اللاويون أو الأحبار ، ويسمى فى اللاتينية (Leviticus)

أى لاويون نسبة إلى أسرة لاوى أو ليفى ، ويحتوى هـذا السفر كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام ، مثل كفارات الذنوب ، والأطعمة المحرمة ، والأنكحة المحرمة ، ومثل الطقوس والأعياد والنذر والطهارة ، كما يحتوى كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التى يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العذاب .

والسفر الرابع سفر العَدَد (Numeri) وسمى بذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بنى اسرائيل ، وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم ، وبجوار هـذا العدّ ، يحتوى هـذا السفر على سيرة بنى اسرائيل فى بَرّيَّة سيناء وما بعدها ، فهو بذلك استمرار لما ورد فى سفر الخروج ، وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقسية والكهنوتية والاجتماعية ، والمدنية ، وبه كذلك حديث عن حروب بنى اسرائيل ضد المَدْينيين ؛ وفى الإصحاح الثانى عشر من هـذا السفر ثورة وسُخط يبدوان من هارون ومريم أخوى موسى ضده ، لأن موسى تزوج امرأة كوشية ، ويقول هارون ومريم فيما رواه هذا الاصحاح ، هل كلَّم الربُّ موسى وحده ؟ ألَمْ يكلمنا نحن أيضاً [١] ؛ ويغضب الرب على هارون ومريم وتصاب مريم بالبرص ، ويعلق الأستاذ محمد عزه دروزة على هذا التذمر بقوله : وهكذا لم يَنْجُ أخو موسى وأخته من خُلق التذمر والحسد والأنانية [٢] . ويحكى الإصحاح السادس عشر قصة ثورة قادها شخص من اللاويين اسمه قورح ضد موسى وهارون ، وفى هـذه الثورة صاح قورح قائلا : كفاكما ، إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب [٣] ، وانضم إلى قورح ثوار

---

(١) الاصحاح الثانى عشر : الفقرة الثانية .

(٢) تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم . جـ ١ ص ٦٩ .

(٣) الاصحاح السادس عشر الفقرة الثالثة .

آخرون وصاحوا بموسى قائلين : أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا أيضا ترأسا ؟ (١) .

والسفر الخامس سفر التثنية أو تثنية الشريعة ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم،ويسمًّى فى اللاتينية (Deuteronomium) أى الإعادة وفى هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً ، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام ، وعن نظام القضاء والملك عند بنى اسرائيل ، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة ، كما تحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى ، وينتهى السفر بخبر وفاة موسى ودفنه فى جبال مؤاب .

***

وبعد الحديث عن أسفار موسى الخمسة نتناول بإيجاز الأسفار الأخرى من العهد القديم :

يشوع :

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون ، وكان يشتغل فى أول حياته خادما لموسى وكان اسمه آنذاك هوشع فدعاه موسى يشوع ، وكان موسى قد عرف فيه الإخلاص والكفاءة فاستخلفه ، وينص هذا السفر على أن يشوع اصطنع مختلف الحيل لينتصر فى حربه ضد سكان البلاد الأصليين وليدخل فلسطين ، ومن حيله التى ذكرها هذا السفر التجسس ، وقد شغلت الإصحاحات الأولى من هذا السفر بأخبار التجسس والغزو ، أما الإصحاحات الأخيرة منه فتتحدث عن تنظيم البلاد المفتوحة وتوزيعها على الأسباط واستيطانها ، وفى الإصحاح الرابع والعشرين وهو الإصحاح الأخير من هذا السفر حديث عن موت يشوع ودفنه فى جبل أفرايم ،

---

(١) نفس الاصحاح الفقرة ١٣ .

وحديث كذلك عن عظـام يوسف التى أصعدها بنو اسرائيل من مصر حيث أعيد دفنهـا كمـا يقول الإصحاح فى شكيم« نابلس » .

القضـاة :

كان رؤساء بنى اسرائيل فى الفترة التى تبدأ من يشوع إلى صموئيل يسمون القضـاة ، ومن هنـا اتخذ هـذا السـفر اسمه منسوبا إليهم ، ويتحدث هـذا السفر عن بعض القضـاة العظام مثل عثنائيل وأهـوز وباراق ودبوره وجدعون ويفتـاح وشمشون صاحب القصـة الشهيرة مع دليلة [١] ، كمـا تحدث هـذا السفر عن قضاة صغار لم يكن لهم تأثير يذكر فى حياة بنى اسرائيل ، ويتحدث هـذا السفر كذلك عن شغب بنى اسرائيل على يهوه وعبادتهم آلهـة أخرى من الحجارة والأشجار ، ويبين كيف انتقم الله منهم فسلّط عليهم أعداءهم وأنزل كثيراً من النوائب بهم . وآل أمر القضاة الى صموئيل ، فلمـا شاخ جعل بنيه قضاة ، ولكنهم أخذوا الرشوة وظلموا فى القضـاة ، فطلب شيوخ بنى اسرائيل من صموئيل أن يعين لهم ملكـا ، ففعل ، وبدأ عهـد المُلك فى بنى اسرائيل .

راعـوث :

لعله كان من الطبيعى أن تَرِد الأسفار التى تحدثت عن الملوك بعد سفر القضاة ، ولكن لمـا كان داود أشهر هؤلاء الملوك ، فقد أورد كاتبو العهد القديم سفر راعوث كتمهيد لأسفار الملوك ، لأن سفر راعوث يبين لنا نسب داود ، واسم السفر مقتبس من اسم امرأة مؤابية ، وخلاصة ما فى هـذا السفر أن مجاعة نزلت ببيت لحم فهاجر منهـا اسرائيلى اسـمه « أليمالك » ومعـه زوجته « نعمْى » وابناه « مَحاون وكِليون » ونزلوا بأرض مؤاب ، وهناك تزوج الابنـان بإمرأتين مؤابيتين اسم إحداهمـا

---

(١) اقرأ قصته فى الاصحاح الرابع عشر والسادس عشر .

« عُرفة » واسم الأخرى « راعوث » ثم مات الرجـال الثلاثة وأرادت نعمى العودة إلى بيت لحم فأصرَّت راعوث أن تصحبها ، وفى بيت لحم تزوجت راعوث من رجل يهودى اســمه بوعز ، وأعقبت منــه عُوبْيد جــدّ داود .

وفى السِّفْر بالإضافة إلى هــذه القصة وصفٌ للحيــاة القروية ، حيث اتصلت راعوث ببوعز فى مزارعه بالريف . وهــذا السفر من الأسفار التى لقيت عناية كبيرة من الغربيين واهتم به كثير من الأساتذة والقصصين والكتاب والشعراء .

أسفار الملوك الأربعــة :

تشمل هــذه الأسفار مــا أسمته الكنيسة البروتستانتية صموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى ، وتتحدث هــذه الأسفار عن سيرة شاول أول ملوك بنى اسرائيل ، وأشبوشب ابنه ، وداود ، وأبشالوم بن داود ثائراً فى حياة أبيه ، ثم — بعد أبيه — فى حياة سليمان بن داود ، كمــا تتحدث عن ملوك الدور الثانى بعد انقســام دولة بنى اسرائيل ، وفى هــذه الأسفار حديث فياض عن الخلاف بين شاول وداود ، ثم عن هرب داود ، ثم هزيمة شاول ، وانتقال الأمر إلى داود الذى احتل عاصمة شاول وهى حبرون « الخليل » ، ثم اســتيلاء داود على أورشليم التى أصبحت تسمى مدينة داود ، وفيهــا كذلك حديث اتصــال داود بزوجة أوريا ، وعن الخلافات التى دبت ضــد داود فى أواخر أيامه ، ثم عن سليمان وتغلبه على الأحداث فى مطلع عهده ، وبنائه الهيكل ، وصلته بملكة سبأ ، وقصص حريمه اللاتى استملن قلبه إلى آلهتهن ، ثم حديث عن نهــاية سليمان ، ومــا تلا ذلك من انقسام دولة اليهود إلى مملكتين ، وحروب واسعة النطاق بينهمــا ، أو بين كل من دولتى اليهود من جهة وبين الممالك المجاورة فى الشمال أو الجنوب من جهة أخرى .

أخبار الأيام الأول والثانى :

يلاحظ من يطالع العهد القديم أن سفر أخبار الأيام الثانى ينتهى بالعبارة الآتية : « وفى السنة الأولى لقورش ملك فارس ، لأجل تكميل كلام الرب بفم إرميا ، نبه الرب روح قورش ملك فارس ، فأطلق نداء فى كل مملكته وبالكتابة أيضاً ، قائلا : هكذا قال قورش ملك فارس ، إن الرب إله السماء قد أعطانى جميع ممالك الأرض ، وهو أوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم التى فى يهوذا ، مَنْ منكم من جميع شعبه ليكن إلهه معه ويصعد » وهذه العبارة نفسها هى التى يبدأ بها — بتغيير طفيف أحياناً — سفر عزرا الذى يتلو سفر أخبار الأيام الثانى ، وقد دعت هذه المسألة بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن سفرى أخبار الأيام الأول والثانى كانا فى الأصل يكوّنان مع سفر عزرا كتاباً واحداً فى التاريخ •

وسفرا الأخبار يحويان محتويات لا تختلف كثيراً عن المحتويات التى وردت فى أسفار موسى ، وفى أسفار الملوك ، ففى سفر الأخبار الأول حديث عن آدم وأولاده ، وعن الملوك الذين ملكوا أرض إدوم قبل اسرائيل ، ويبدأ الإصحاح الثانى عدًّا لبنى إسرائيل من الأجداد إلى الأحفاد بتفاصيل واسعة حتى عهد داود وسليمان ، وابتداء من الإصحاح العاشر يتكلم السفر عن ملوك بنى اسرائيل بعد الانقسام حتى السبى ، وعلى العموم فإن هذين السفرين اقتبسا أكثر ما بهما من مادة من الأسفار التى أوردنا الحديث عنها من قبل •

عزرا ونحميا :

يُنسب سفر عزرا إلى عزرا الكاهن ، ويبدو أنه عُزَيْر الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، ويقص هذا السفر قصة عودة بعض المسبيين من بابل إلى أورشليم ، ثم يجىء — فى بعض النسخ — سفر يحمل الاسمين

معا « عزرا — نحميا . » ويلى ذلك سفر نحميا ، ولو تتبعنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحميا جديراً بالتقدم على سفر عزرا . لأن نحميا سبق عزرا فى الحضور إلى أورشليم ، ولكن يبدو أن شخصاً واحداً هو الذى ألّف سفر أخبار الأيام بقسميه وكذلك الأسفار المنسوبة لعزرا ونحميا ، وكان ذلك حوالى سنة ٣٠٠ ق م أى بعد عزرا ونحميا بأكثر من قرنين ، وذلك على الرغم من ان فى سفر نحميا عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متقمصاً شخصية نحميا ، وقد قدّم سفر عزرا لأهمية هذا الكاهن فى التاريخ اليهودى ، ولأنه بعد أن حضر سبق نحميا فى المكانة ، وكان له قصب السبق فى إعادة بناء الهيكل .

وقد تمكّن بذكائه وحسن سياسته من أن يؤثر على ملك الفرس فأذن له بالذهاب إلى أورشليم ، لإعادة أسوارها وبناء أبوابها وتشييد قلاعها ، وقد تمكن نحميا من إعادة بناء السور ، ثم جاء عزرا ومعه ألف وثمانمائة شخص إلى أورشليم ، وكان من بينهم رجال المعبد لإعادة شريعة يهوه ، وأصبح عزرا نائباً عن الملك ، يعين الموظفين ويوقع عليهم العقوبات ، وهكذا قام عزرا بحركة إصلاح دينى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت حركة معززة بالسلطة الحكومية التى كان يمثلها عزرا فى نفس الوقت ، ويحوى السفر قانوناً ، يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا ، لأنه يؤيد شريعة موسى ، كما يسرد السفر أعمال الإصلاح الدينية والاجتماعية التى تنسب إليه ، ويعد سفرا أخبار الأيام وسِفْرا عزرا ونحميا سلسلة متكاملة مستقلة تشمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا ، حتى ليمكن بها الاستغناء عن باقى الأسفار التاريخية مع شىء من الاختصار ، وسِفرا عزرا ونحميا هى أقدم الأسفار التى تتحدث عن اليهود بعد النفى .

أستير :

سُمّىَ هذا السفر باسم امرأة يهودية جميلة اسمها أستير ، رآها ملك الفرس واتخذها له زوجة ، وقد استطاعت أن تقرّب بين الملك زوجها

وبين ابن عم لهـا اسمه مردخاى ، وكان للملك وزير اسـمه هامان كان الفرس يسجدون له ويعظمونه ، ولكن مردخاى — اعتماداً على ابنة عمه الملكة — رفض أن يسجد مع الساجدين ، وأخذ هامان لذلك يُدبِّر مؤامرة للقضـاء على اليهود ، فاستصدر من الملك قراراً بالتنكيل بهم لأنهم خونة . وعيَّن يوم الثالث عشر من آزار للقضـاء عليهم وأعدَّ مشنقة خاصـة لمردخاى ، ولكن استير وابن عمهـا استطاعا أن يرسما خطة يُظهران بهـا للملك خيانةً ضـده يُدبِّرهـا له هامان وزيره ، فاصدر الملك أمره بقتل هامان وأتباعه ، وقُتل هامان على المشنقة التى كان قد أعدها لمردخاى . وبلغ عدد من قتلهم اليهود فى اليوم الثالث عشر من آزار خمسة وسبعين ألفـاً من الفرس ، وصـار اليوم التالى « الرابع عشر من آزار » عيداً من أعياد اليهود حتى اليوم ، وليست أستير قصة تاريخية ، وإنمـا هى أسطورة يرسم بهـا مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بنى اسرائيل ، وخدمة أغراضهم .

أيوب :

قلنا فيمـا سبق إن قصـة أيوب الواردة فى العهد القديم فيهـا عناصر قصـة أيوب التى أوردها القرآن الكريم ، ولكن العهـد القديم يصوِّر أيوب حائراً بين الرضـا والثورة ، فهو أحياناً يرضى بمـا نزل به ، وأحياناً يثور ويتسائل : لمـاذا نزل بى كل هـذا ؟ فأيوب مؤمن بالله راض بمـا قسم له ، ولكن كان هناك — على حد تعبير السفر — رهـان بين الله وبين الشيطان . ويحاول الشيطان أن يثير التساؤل والسخط فى نفس أيوب ، وينتصر الشيطان أحياناً بعض الانتصار فيصرخ أيـوب « اليـوم أيضـاً شكواى تمردٌ !! ضَرْبتى أثقل من تنهدى ، مَنْ يعطينى أن أجـده ، فآجئ الى كرسيه أُحْسِن الدعـوى أمامه وأملأ فمى حججاً ، فأعرف الأقوال التى بها يُجيبني ، وأفهم ما يقوله لى ، أبكثرة قوةٍ يخاصمنى .

كلا [١] .... كم لى من الآثام والخطايا ؟ أعْلِمْنى ذنبى وخطيئتى . لماذا تحجب وجهك وتحسبنى عدوا لك ؟ أترعب ورقة مندفعة ؟ وتطارد قشاً يابساً ؛ لأنك كتبت علىّ أموراً مُرّة ، وورثتنى آثام صباى [٢] .

ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية ، ويقول عنه كارليل : هو كتاب نبيل . وهو كتاب الناس أجمعين ، وهو أول وأقدم شرح لتلك المشكلة التى لا آخر لها ، مشكلة مصير الإنسان وتصرف الله معـه على ظهر هذه الأرض [٣] . ويعلق ول ديورانت على مـا قاله كارليل بقوله : إن هـذه المشكلة قامت بسبب اهتمام العبرانيين بأمور هـذه الدنيا ، ذلك أنه لـما كانت الجنة لا وجود لهـا فى الديانة اليهودية القديمة ، فقد كان من الواجب المحتم أن تنـال الفضيلة ثوابها فى هـذا العالم ، وإلا لم يكن لهـا ثواب على الإطلاق ، ولكنهم كثيراً ما كان يبدو لهم أن الأشرار ينجحون ويفوزون ، وأن أشد الآلام قد نزلت بخيـار الناس ، فلِمَ إذاً — كمـا يقول كاتب المزامير — هؤلاء هـم الأشرار يكثرون ثروة [٤] ولِمَ يخفى الله نفسـه ولا يعـاقب الأشرار ويثيب الأخيار [٥] .

المزامير :

سمى السـفر بذلك الاسم لأنه يحوى مجموعة من الأغانى تُنْشَد بمصاحبة المزامير . فهـذا السفر يُناظر ما يُعرَف فى العربية بالتهاليل والتواشيح والتسابيح ، وبعض المزامير طقوس دينيـة ، وبعضها يتصل

---

(١) الاصحاح ٢٢ : ١ — ٦ .
(٢) الاصحاح ١٢ — ٢٦ .
(٣) Carlyle: Heroes and Hero-Worship p. 280.
(٤) المزمور ٧٣ : ١٢ .
(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٦١ .

بالأعياد الإسرائيلية . وأكثر المزامير ترجع لداود . فله وحده ثلاث وسبعون مزموراً ، وبالسفر مزامير أخرى لسليمان ولآساف الذى كان رئيس المغنين فى عهد داود ، وتنسب بعض المزامير لموسى . وفيما يلى مزمور منسوب إلى داود ، ووضعه فى الكتاب المقدس هكذا :

المزمور الخامس

لإمام المغنين على ذوات النفخ ، مزمور لداود

لكلماتى أصغ يارب : تأمل صراخى استمع لصوتى ودعائى يا ملكى وإلهى لأنى إليك أصلى يارب . بالغداة تسمع صوتى ، بالغداة أوجه صلاتى نحوك وأنتظر .

لأنك لست إلهاً يُسَرُّ بالشر ، ولا يساكنك الشرير ، لا يقف المفتخرون قدام عينيك ، أبغضتَ كل فاعلى الإثم ، رجلُ الدماء والغش يكرهه الرب ، أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك ، أسجد فى هيكل قدسك بخوفك .

يا رب اهدنى إلى برّك بسبب أعدائى . سهل قدامى طريقك . لأنه ليس فى أفواههم صدق . جوفهم هُوّة . حلقهم قبر مفتوح . ألسنتهم صقلوها . أَدِنْهُم يا الله . ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم ، طوّح بهم لأنهم تمردوا عليك .

ويفرح جميع المتكلين عليه . الى الأبد يهتفون وتظللهم . ويبتهج بك مُحبو اسمك لأنك أنت تبارك الصدّيق يارب . كأنه بتُرْس تحيطه بالرضا .

أسفار سليمان (الأمثال — الجامعة — نشيد الأناشيد) :

تنسَب هذه الأسفار إلى سليمان ، وليست فى الحقيقة إليه ، فسفرُ الأمثال يحوى مجموعة من الأمثال لا تربط بينها رابطة ، وليس فى

أسلوبها وحـدة أو تناسق ، فالسفر — فيمـا نعتقد — ليس من فعـل شخص واحد ، ولا نتاج عصر واحد ، وإنمـا هو من الآداب الشعبية التى تتناقلها الأجيال وتُدْخِل عليهـا كثيراً من الزيادة والنقصان .

وكما تعدَّدت الأشخاص الذين ألَّفوا هـذه الأمثال ، فإن موضوعاتها متعددة أيضـاً ، فمنها أمثال دينية ، ومنهـا دنيوية ، ومنها أمثال للتحذير والإنذار ومنها ألغـاز وهجاء .

وبعض الأمثال تَرِدْ باسم سليمان كنصائح يوجهها لولده ، وبعضها تنسب لسليمان أيضـاً ولكنها عامة ليست موجهة إلى أحد ، وبعضها تنسب إلى حكماء ، حُدِّدَتْ أسماؤهم أو لَمْ تُحَدَد ؛ وممن حدِّدت أسماؤهم « أجور بن ياقة » وبعض هؤلاء يوجهون الأمثال نصائح لأولادهم وبعضهم يطلقونها إطلاقاً ، وبعض الأمثـال تتصل بالملك « لموئيل » ، وهى عبارة عن نصائح أمه له لمـا صار ملكاً ، ويختم السفر بمدح للزوجة الصالحة ، فهو يصفها بأنها « تفوق اللآلىء ؛ بهـا يثق قلب زوجها ، فلا يحتـاج إلى غنيمة ، تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتهـا ، تفتح فمها بالحكمة ، وفى لسـانها سنَّة المعروف ، تراقب طُرُق أهل بيتهـا ، ولا تأكل خبز الكسل ... الحُسْن غِشٌ والجمـال باطل أما المرأة المتقية الرب فهى تُمدَح[1] .

أمـا سفر الجامعة فهو أيضـاً نوع من الشعر الذى يطلق عليـه شعر الحكمة ، وهو قريب الشـبه بالإصحاحات الأولى من سفر الأمثال ، حيث يتحدث حكيم له خبرة ومعرفة يسميه السفر « الجامعة »[2] ، وقد يتشاءم أحياناً ويتشكك فيمـا حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحـاد

---

(١) انظر الاصحاح ٣١ .
(٢) الاصحاح : ٢٢ : ٩ .

والزندقة ، مثل « قد يكون بارٌ يَبِيدُ فى برِّه ، وقد يكون شرير يطول فى شرِّه ، لا تكن باراً وتكن حكيما بزيادة ، لماذا تخربُ نفسك ؟ لماذا تموت فى غير وقتك ؟ حسن أن تتمسك بهذا وألا ترْخى يدك عن ذاك ، مُتَّقى الله يخرج منهما كليهما [١] » .

أما سفر نشيد الأناشيد فهو عبارة عن موضوع غرامى أو هو غزل بين يهوه وبين اسرائيل يرتله اليهود حتى اليوم فى عيد الفصح . وقد قبِل فى الكتاب المقدس لأن فيه اسم سليمان ، والحقيقة أنه ليس له ، فهو أغان شعبية من وضع الشعب . ويرددها الشعب فى عصور متعددة ، فى مناسبات الزواج والزفاف.

أسفار الأنبياء :

وهى فى النسخة الكاثوليكية ستة عشر سفراً ، وتكاد تكون محتويات هذه الأسفار متشابهة ، فهى أحياناً مهاجمة لسلوك بنى اسرائيل ولمعبوداتهم التى مالوا إليها دون يهوه ، وهى أحياناً تهديد لهم بالشر نظير سوء سلوكهم ، وبعضها يتنبأ بسقوط دولتهم ، وبعضها يحث على الخضوع للسلطات الخارجية ، وبعضها يتكلم عن المسيح المنتظر ، وهكذا ، وترد الفكرة مع أكثر من نبى أحياناً ، وليست نسبة هذه الأسفار للأنبياء دقيقة ، وليس وضع الأنبياء فى هذه الأسفار متسلسلا تاريخياً ؛ فعاموس الذى عاش فى القرن الثامن قبل الميلاد يجئ بعد إرميا الذى عاش فى القرن السابع قبل الميلاد . وسفر عوبديا يصور رؤيا تلقَّى هذا فيها خطاباً من الرب يندد بإبادة كل رجل فى جبل عيسو لأن أبناء عيسو جاروا على أبناء يعقوب ، وسفر حبقوق عبارة عن وحى تلقاه هذا النبى ومناجاة لربه ، وفيما يلى فقرات من الإصحاح الأول تشير إلى ما ذكرنا « الوحى رآه حبقوق النبى — حتى متى يارب أدعو وأنت

---

(١) الاصحاح السابع ١٥ — ١٨ .

لا تسمع . أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص [١] ... » وفى سفر حجّى . مـا يدل على أن « الربّ كلّف حجّى ليكلم حاكم يهوذا وكاهنها الأكبر منددا ببقـاء بيته خربا ، وبقولهم إنه لم يحن وقت بنائه بينما هم يسكنون فى بيوت مغشاة » [٢] . وقد سبق لنا الحديث عن أكثر هؤلاء الأنبياء وكان ظهورهم فى فترة الانقسام ، فالسبى ، فمـا بعد السبى .

المراثى :

يَرِدُ سفر المراثى بعد سفر إرميـا ومنسوبا له ، وفيه يبكى إرميا حاله يهوذا وأورشليم ، ومـا نزل ببنى اسرائيل من انحرافات ، والمصير السيىء الذى آلت له دولتهم ، وممـا جاء فى هذا السفر « ابتلع السيد — ولم يشفق — كلّ مساكن يعقوب ، نقض بسخطه حصون بنت يهوذا ، نجّس المملكة ورؤساءها ، وأشعل فى يعقوب نارا ملتهبة تأكل من حولهـا ، مدّ قوسه كعدو ، نصب يمينه كمبغض ، وقتل كل مشتهيات العين فى خباء بنت صهيون ، سكب — كنـار — غيظه ، صـار السيد كعـدو ابتلع اسرائيل ... » [٣] .

الأسفار الزائدة بالنسخة الكاثوليكية

اعترفت الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م بأسفار لم تكن معترفا بها قبل ذلك التاريخ ، أهمها الأسفار السبعة التى أشرنا لهـا من قبل والتى سنورد عنهـا بعض التفاصيل فيمـا بعد ، ويجدر بنا أن نوضح أن هذه الأسفار وضعت بعد الزمن الذى اتّفِق على أنه عصر العهـد القديم ، فليس رفضها من بعض الكنائس لأنهـا أقل من سواها ، بل لأنهـا وضعت بعد « عصر العهد القديم » وبعضها كبير الأهمية لأنه يحمل دراسة تاريخية

---

(١) الاصحاح الاول : ١ — ٢ .
(٢) الفقرات الاولى من الاصحاح الاول .
(٣) الاصحاح الثانى ٢ — ٥ .

كسفرى المكابيين ، وبعضها أســاطير يهودية كيهوديت التى لا تقل عن أسطورة أستير ، وفيمــا يلى تعريف بهذه الأسفار :

طوبيــا :

أسطورة طوبيا كمــا وردت فى العهد القديم تتلخص فى أن رجلا اسمه طوبيا كان أسيراً فى نينوى وفقد بصره هناك ، وكان له ابن اسمه طوبيا أيضــاً ، وفى مدين كانت هناك امرأة جميلة اسمها ســارا ، كان يعشقها عفريت يقتل كل من يتقدم للزواج منهــا ، حتى قتل ســبعة من خطابها ، ثم أرسل الرب رسولا إلى طوبيا الأب أن يزوج ابنه من سارا ، وأعلمه أنه سيقضى على العفريت ، ورحل طوبيــا الابن إلى نينوى وتم الزواج ، وفى الســفر وصف لحفلة الزفاف وبه كذلك خطب وصــلوات ونبوءات .

يهوديت :

تشــبه أسطورة يهوديت أسطورة أستير التى تحدثنا عنهــا من قبل وتتلخص فى أن نبوخذ نصر ملك آشور هاجم اليهود واستولى على المنابع التى تمــد مدنهم بالماء ، وبدا أنه سيقضى عليهم ، وأوشكوا على الاستسلام ، لولا أن أرملة يهودية جميلة واســعة الحيلة اسمها يهوديت اتصلت بقــائد نبوخذ نصر ، وفتنته بجمــالها فأغرم بها واستسلم لها ، وفى إحدى الليالى انتهزت يهوديت فرصــة فقده وعيه بسبب كثرة مــا شرب من خمر فقطعت رأسه ، ونجت قومها منه .

وليس هــذا السفر تاريخياً ، وإنما هو أسطورة تصور آمــال بنى اسرائيل ، واتجــاه حيلهم .

الحكمــة :

ينسب هــذا السفر إلى سليمان ، وهو فى الحقيقة ليس له ، ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض والجبابرة بهــا بألا يغتروا بمكانتهم ، وأن

يراعوا العدالة مع من يحكمون ، فالحكمة لا تأوى إلى جسد المذنب ، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة فى الأحداث التاريخية منذ آدم حتى موسى .

يسوع بن سيراخ :

تنسب ليسوع أمثال كتلك التى تنسب لسليمان ، ويسوع هذا رجل يهودى من أورشليم كثير التجول والترحال ، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد ، ويقرر يسوع أن مصدر الحكمة هو الله ، وأن الله يمنحها لبعض أحبائه . وفى السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك ، وهو ينصح من يريد الكلام أن يستعد له ، ويرى من الحكمة ألا يستثير الإنسان حسوداً ، وألا يعطى الجسد ما يضره .

باروخ :

باروخ تلميذ إرميا ، وقد اختفى معه فى الصحراء هرباً من رجال الدين اليهود الذين كانوا يعبدون بعل ويقدمون له الذبائح ، وسفر باروخ أشتات من الأفكار ، وليست به وحدة متناسقة .

المكابيون الأول والثانى :

يحوى هذان السفران تاريخ المكابيين الذى سبق أن ذكرناه فى الباب الأول ، والسفران يشيدان ببطولة الأسرة المكابية ، وفى الكتابين حديث عن الإسكندر الأكبر وتراثه العقلى الذى عارضه اليهود ، وكانت هذه المعارضة من أسباب الخلاف بينهم وبين السلطة الحاكمة (١) .

دراسات عن العهد القديم

أوردنا فيما سبق تعريفاً بالأسفار ، ملاحظين واقع الأسفار التى بين أيدينا ، ولكن هذا الواقع يختلف مع الحق ، فأكثر الأسفار الفها

---

(١) دكتور فؤاد حسنين : « التوراة » فى امكنة متعددة .

غير من نُسبت إليهم أو قل نُسِبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين ، وتواريخ تأليفهـا بعيدة عن الدقة ، وبهـا كثير من المتناقضات ، وكتبت لأهداف محددة لا لتصف الواقع ، وغير ذلك من المآخذ ، ومن ثم لزم أن نورد بعض الدراسات حول هـذه الأسفار لنضعها فى مكانها الصحيح :

الإسلام والعهد القديم :

يعترف الإســلام بالتوراة التى أنزلهـا الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهـد القديم ، قال تعالى :

— الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتـاب بالحق مصدقاً لمـا بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس [١] .

— ومن قبله كتاب موسى [٢] .

وفيمـا عدا ما أنزله الله على موسى فإن الإسلام لا يعترف به فسفر يشوع وسفر القضـاة والملوك ... ليست من الكتب المقدسـة فى نظر الإسلام ، والأنبياء السبعة عشر الذين أوردنا ذكرهم وتكلمنا عن أسفارهم هم أنبياء فى نظر اليهود ولم يتعرض القرآن الكريم لهم ولا لكتبهم بأى ذكر ، وقد سبق أن اوردنا فى الباب السـابق هجوم بعض هؤلاء الأنبياء على بعض ، ورميهم بعضهم بعضاً بالشعوذة والهوس والتظاهر ، لا بتزاز الأموال بغير حق .

ونعود إلى التوراة التى أنزلها الله على موسى فنتسائل : أين هى ؟

ويجيبنا القرآن الكريم على هذا التساؤل بأن اليهود أهملوا بعضها فضـاع ، وحرّفوا بعضا على نحو ما أرادوا ، قال تعالى :

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ٢ — ٣ .
(٢) سورة هود الآية ١٧ .

— يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به [١] .

— قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل [٢] .

— مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله [٣] .

وفى الذكر الحكيم ما يوضح أن القرآن الكريم حوى الأصول الصحيحة التى جاءت بها الأديان السابقة . قال تعالى :

— شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى [٤] .

— وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه [٥] .

— هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً [٦] .

ويقول المفسرون فى تفسير الآية الأولى من هذه الآيات : **إن الله شرع للمسلمين دينا يحوى ما جاء به الأنبياء من نوح إلى عيسى** [٧] .

ويقولون فى تفسير الآية الثانية إن القرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد ، المتحد الأصل والوجهة ، المساير لحاجات البشر ، حتى إذا كشف للناس عن الحقائق الكبرى التى تقوم عليها أسس الحياة ،

---

(١) سورة المائدة الآية ١٣ .
(٢) سورة المائدة الآية ٦٨ .
(٣) سورة الجمعة الآية الخامسة .
(٤) سورة الشورى الآية ١٣ .
(٥) سورة المائدة الآية ٤٨ .
(٦) سورة الفتح الآية ٢٨ .
(٧) البيضاوى ص ٤٨٥ .

انقطع الوحى ليتصرف العقل البشرى فى حدود تلك الحقائق الكبرى . لا خوف من الزلل ما دام يرعى تلك الحدود ، ومن ثمَّ فكل الحُكْم يجب ن يرجع إلى **هذا الكتاب الأخير الذى يتضمن الباقى من شريعة الله كلها فى كل كتاب** ، ويضعها فى الصورة الأخيرة الباقية إلى يوم القيامة [١] .

ويقولون فى تفسير الآية الثالثة : إن الله أرسل محمداً بالإسلام دين التوحيد والحق الخالد ، ليعلو على الأديان والمعتقدات ، بأن يحوى أحسن ما فيها وأن يضيف إلى ذلك ما فيه خير الإنسان فى الدنيا والآخرة [٢] .

ويقرر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحين فى التابوت [٣] ، ومرت الأيام . وظهر فى بنى اسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفُتح التابوت بعد أن وُضع فى الهيكل ، فلم توجد به نسخة التوراة ، وإنما وجد اللوحان الحجريان فقط ، وقد جاء فى الكتاب المقدس عن ذلك « ... لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الربُّ بنى اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر [٤] » ، وحدثت بعد سليمان أحداث دينية عجيبة ذكرناها فيما سبق ، وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان ، وعبادة آلهة الأقوام المجاورين ، وتعرَّض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير عدة مرات ، وبنى مذبح للأصنام فى فناء بيت المقدس ، ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها ، وبعد سقوط مملكة اسرائيل ، بقيت مملكة يهوذا تعانى صوراً من الاضطراب والفوضى ، وكان اتجاهها غالباً إلى الزندقة والكفر ، وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك يوشيا (حوالى ٦٢٩ — ٥٩٨ ق م) ومال هذا إلى العودة للإيمان واتباع التوراة رجاء أن يكون فى هذا إنقاذ مملكته من الفوضى والدمار ، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقيا انتهز فرصة هذا الميل فى الملك فادعى — بعد سبعة عشر عاماً

(١) فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٦٦ — ٦٧ .
(٢) أنظر النسفى والقرطبى والكشاف .
(٣) خروج ٢٥ : ٢١ .
(٤) الموك الاول ٨ : ٩ .

من حكم يوشيا — أنه وجد نسخة التوراة فى بيت المقدس ، وأعطاها شافان الكاتب [١] .

ولا يقبل الباحثون ادّعاء حلقيا ، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة فى بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا ولا خلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه ، ويرى الباحثون أن حلقيا انتهز فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة فكتب خلال هذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة ، وليس ذلك فى الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس . بقى أن نذكر أن الباحث العلامة ول ديورانت يقرر أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر [٢] .

كتّاب العهد القديم :

تنسب أسفار العهد القديم إلى هذه الأسماء التى ذكرناها مع كل سفر ، ولكن الحقيقة أن هذه التسمية غير صحيحة ، وأن هؤلاء الذين نسبت لهم الأسفار أو أكثرهم لم يكتبوها ، أو لم يكتبوا حرفاً منها ، وقد سبق أن أشرنا إلى هذا عند حديثنا عن بعض الأسفار ، وأبنّا أن بعض من نسبت إليهم الأسفار ليس لهم وجود فى التاريخ ، وإنما وضعت قصصهم وضعاً لهدف معين ، وبعض الأسفار ليست فى الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقها الكتّاب ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود .

وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية ، لأنها كانت تختلف عما باشروا من طباع وخلق ، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة .

ما الدليل على أن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها ؟

فى الإجابة على هذا السؤال نورد بعض نماذج تؤيد هذه الحقيقة

---

(١) اقرأ « اظهار الحق » للعلامة رحمة الله الهندى ص ٣٢٣ — ٣٣٥

(٢) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٢٧١ .

دون شك . فعن الأسفار التى تنسب إلى موسى الآن ، نقرر أنه لا يوجد من قريب أو من بعيد مـا يفيد أن موسى هو الذى جاء بهـا ، أو أنزلت عليه . بل عـلى العكس من ذلك يوجد مـا يقرر خطأ نسبة هـذه الأسفار إلى موسى ، وفيمـا يلى اقتباسات من هذه الأسفار توضّح خطأ هذه النسبة :

— جاء فى سفر التثنية مـا يلى : « فمات موسى عبد الرب فى أرض مؤاب ، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم » [١] وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسـه .

— وجاء فى نفس السفر : « ولم يقم بَعْدُ نبىٌ فى بنى اسرائيل مثل موسى [٢] » ومن الواضح أن مثل هـذه العبارة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمن ليس بالقصير .

— وجاء فى سفر التكوين مـا يلى : « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملَكَ ملِكٌ لبنى اسرائيل » [٣] .

وهـذه الفقرة تدل على أنهـا كتبت فى عهـد ملوك بنى اسرائيل أو بعده ، وعهد ملوك بنى اسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين أو مئات السـنين .

ومن هـذا ندرك أن أسفار التوراة ليست من أسفار موسى ، وإنما نسبت له لكثرة ورود اسمه بهـا .

ويقول الباحث Adam? عن سفر الخروج : إن هـذا السفر الذى نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس ، لم يكتَب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه ، وربمـا كانت هذه الأحداث محفوظة جيـلا عن جيل ، إذ كان بعضها ، كمـا لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التى يرتلها رجال الدين فى المناسبات وبخاصة فى عيد الفصح [٤] .

---

(١) سفر التثنية ٣٤ : ٥ .
(٢) تثنية ٣٤ : ١٥ .
(٣) تكوين ٣٦ : ٣١ .
(٤) God and Man in Early Israel pp. 34-35.

فإذا تركنا أسفار موسى إلى سواها من الأسفار وجدنا نفس النتيجة ، فإن هـذه الأسفار نُسبت إلى غير مؤلفيهـا الحقيقيين ، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جداً عمن نسبت لهم هـذه الأسفار ، وقد قرر الكتـاب الغربيون هـذه الحقيقة ، ويرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه إرميـا ، وبين يوشع وإرميا أكثر من ثمانية قرون تقريبـاً ، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل ، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فنيحاس [1] .

وسفر القضـاة ينسبه بعض الكتاب الغربيين إلى حزقيال ، وينسبه آخرون إلى عزرا ، وينسبه فريق ثالث إلى فنيحاس ، وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسـعة قرون [2] ، وسفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب فى ذلك الزمن البعيد الذى عاش فيه دانيـال ، أى عندما سقطت بابل فى يد الملك الفارسى قورش سنة ٥٣٨ ق م ، بل لابد أن يكون هـذا السفر قد كتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة للأسباب التالية

١ — يتضمن هـذا السفر كلمات مقدونية ، مع أن اليهود فى زمن الأسر البابلى لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد ، ولاصكت أسماعَهم اللغـة اليونانية .

٢ — فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سـابق على عصر الإسكندر .

٣ — اقتبس طرفاً من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا مع أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلى [3] ، والأسفار المنسوبة إلى سليمان ليست إليه كمـا سبق أن ذكرنا عند التعريف بالأسفار ، ومثل هـذا يقال عن كل الأسفار أو أكثرها ، وقد تعرض لهـذا الموضوع العلامة ول ديورانت وكتب عنه موجزاً يمكن أن نقتبسه ، قال هذا الباحث :

---

(١) انظر هذه الآراء فى اظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندى ص ٦٦ .
(٢) أنظر المرجع السابق ص ٦٨
(٣) انظر محنة التوراة على ايدى اليهود لعصام الدين حفنى ناصف ص ٥٩ — ٦٠ .

كيف كتبت هذه الأسفار ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كُتبت ؟ .

ذلك سؤال كُتِبَ في الإجابة عنه آلاف المجلدات ، ولكن يجب أن نَفْرَغ منه هنا في فقرة واحدة ، فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في اسرائيل ، ثم تمَّ التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود ، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا ، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق.م ..[1].

الأسر البابلي وأثره على العهد القديم وعلى اليهود :

يقرر Wells أن أسفار العهد القديم جُمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد [2] ، ويربط رأيه ذاك بأهمية الأسر البابلي على اليهود ، فيقرر أن اليهود لم يكونوا قبل الأسْر شعباً متحضراً ولا متحداً ، وربما لم يكن فيهم إلا قِلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة ، ولم يظهر في تاريخيهم قط أن أسفاراً كانت تُقرأ قبل الأسْر ، ولكن الأسر البابلي مَدَّنهم ووحدهم وأبرز حاجة الشعب العبراني إلى جمع تاريخه ، ورَسْم تقاليده وتنميتها فبدءوا يدوّنون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم ، فلما عادوا من الأسر ، كانوا شعباً يختلف اختلافاً عظيما عن الشعب الذي خرج ، مما يصدّق عليه ما يقوله المؤرخون من أن التوراة هي التي صنعت اليهود وليس اليهود هم الذين صنعوا التوراة [3]

ويذكر Wel's في كتابه Outline of History ما يزيد هذا الموضوع إيضاحاً ، وهاك عبارته : والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٦٧ — ٣٦٨ .

(٢) A Short History of The World p. 89.

(٣) Ibid pp. 90, 94, 96.

الكتاب المقدس ، هى أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً ، وعادوا منها ممدنين ، خرجوا جمهوراً مختلطاً منقسما على نفسه ، لا يربطه وعى ذاتى وطنى ، وعادوا بروح قومية شديدة ، وجنوح إلى الاعتزال ، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة ، وليس هناك ما يدل على تعودهم تلاوة أى كتاب ، وعادوا إلى وطنهم ومعهم شطر كبير من مادة « العهد القديم » وواضح أن اليهود بعد أن تخلصوا من ملوكهم القتلة المتنازعين ، وبَعُدوا عن السياسة ، وعاشوا فى ذلك الجو الباعث على النشاط الذهنى فى العالم البابلى ، فإن العقل اليهودى ما لبث فى أثناء مدة الأسر أن خطا إلى الإمام خطوة عظيمة (١) .

ذلك موجز القول عن ظروف تدوين الأسفار ، أما كتّابها فكثيرون ، ويبرز من بين الكتّاب إسم الكاهن عزرا ، مرتبطاً بتدوين التوراة ، ويذكر Hosmer أن عزرا هو الذى — فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد — قاد جماعة من اليهود إلى فلسطين حيث استعاد بها الحياة اليهودية ، وهو الذى أبرز أجزاء كثيرة مما سمى فيما بعد بالعهد القديم ، وقد أكمل الكهنة الذين الذين جاءوا بعد عزرا ما بدأه هذا الكاهن ، وفى عهد المكابيين كانت أجزاء العهد القديم قد وجدت تقريباً ، ولكنها لم تكن وضعت فى نظامها المعروف الآن ، كما أنها لم تكن فى مستوى واحد من حيث الإجلال والتقدير (٢) .

ويروى العلامة رحمة الله الهندى أقوال بعض المؤرخين الغربيين التى تقرر أن توراة موسى ضاعت ، فأوجدها عزرا مرة أخرة بإلهام (٣) . ويبدو أنه بسبب دعوى الإلهام هذه ، وبسبب جهود عزرا فى إعادة بناء الهيكل ، سَمّى اليهود عزرا « ابن الله » .

---

(١) Outline of History p. 2˜0.

(٢) The Jews pp 75-76

(٣) انظر هذه الاقوال فى اظهار الحق ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .

على أنه ليس مستبعدا أن تصح نسبة بعض الاسفار المتأخرة إلى من نسبت إليهم ، فبعد العودة من الأسر وبعد عهد عزرا بدأ التدوين ، واتجهت العناية إلى كتابة الأسفار ، فلما جاء عهد تحقيق الأسفار رُجّ بكثير من هذه الكتابات فى العهد القديم . ولا تزال هناك أسفار يرفضها البروتستانت المسيحيون حتى العهد الحاضر ، وهناك أسفار أخرى يرفضها البروتستانت والكاثوليك ويعترف بها اليهود أو يعترفون ببعضها كما سبق القول .

مصادر العهد القديم :

إذا ثبت لنا أن الوحى ليس المصدر الحقيقى لأسفار العهد القديم التى بين أيدينا ، فما المصادر الحقيقة لهذه الأسفار ؟

يبدو من الدراسة الفاحصة أن هذه الأسفار من صنع أجيال متعددة . وأن فترة التدوين بدأت من عهد عزرا واستمرت بعده ، وأن الكهنة كانوا يعتمدون على ما سمعوه وما تلقاه الخلف عن السلف من أخبار وأساطير وأقوال ، وكثيراً ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش بصدورهم أو ما يأملونه على أنه حقيقة واقعة ، أو تاريخ سابق ، وليس ذلك فى الحقيقة إلا تصديقاً للخيال ، وإلا من الوهم الذى يتخذ فى نفس الواهم صورة الحقائق المقررة ، ومن ذلك جاء فى سفر صموئيل من أن داود ذهب ليسترد سلطته عند نهر الفرات (١) .

ومن الواضح أن داود لم يصل بسلطانه إلى الفرات ولم يقرب منه ، وأين نهر الفرات من فلسطين ؟ وليس ذلك إلا وليد الخيال (٢) .

ومن المصادر المهمة للأسفار قرارات المحافل اليهودية ، فعلى مر التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصير جزءاً من الأسفار

---

(١) الاصحاح الثامن الفقرة الثالثة .
(٢) محمد عزه دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم حـ ٢ ص ١٨٨ .

المقدسة (١) . وعندما اتخذت الأسفار المقدسة وضعها النهائى قبيل الميلاد ،
ثم يتوقف زعمـاء اليهود عن محاولاتهم تجاه تقديس قراراتهم ، فدفعوا
بهـا إلى التلمود . ثم بعد ذلك إلى بروتوكولات حكماء صهيون ، وليس هذا
وذلك بأقل عندهم من العهد القديم قداسة وجلالا .

ويقرر ول ديورانت أن أساطير الجزيرة العربية ، كانت معيناً غزيراً
لأسفار العهد القديم ، فمن هـذه الأساطير أخذت قصص الخلق والطوفان
التى يرجع عهدها فى البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد .
والراجح أن اليهود أخذوها من مصـادر سامية وسومرية قديمة ، كانت
منتشرة فى جميع بلاد الشرق الأدنى ، ويقول ول ديورانت كذلك إن القصص
الشعبية العالمية كانت مصـدراً من المصادر التى اقتبس منهـا كتاب
أسفار العهد القديم . فقد كان فى مصر والهند والتبت وبابل وبلاد الفرس
واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد ، قصص شعبية عن الجنـة وما فيها
من نعيم ، وما فيهـا كذلك من الأشجار المحرمة والأفاعى ، وقد سلبت
هـذه الأشياء الخلود من الناس ونزلت بهم إلى الأرض ، وأكبر الظن أن
الحية والتينة كانتا رمزين للشهوات الجنسية ، تلك الشهوات التى تقضى
على الطهر والسعادة وتسبب الشرور ، وقد برزت هـذه الفكرة فى سفر
الجامعة ، ويوضح ول ديورانت أن المرأة اتخذت فى معظم القصص العالمية
أداة للشيطان ، ويبرز اسم بوسى فى الأساطير الصينية ، ويقرر القصصى
الصينى « شيجنك » أن كل الأشياء كانت فى بادىء الأمر خاضعة للانسان ،
ولكن المرأة ألقت بنـا فى ذل الاستعباد ، فشقاؤنا لم يأتنا من السماء بل
جاءت به المرأة التى أضاعت الجنس البشرى ، ويضيف ول ديورانت أن
قصة الطوفان أيضاً كانت واسعة الانتشار فى الأدب الشعبى ، فلا يكاد
يوجد فى الأمم القديمة أمة لم تعرفها ، وقلما وجد جبل فى آسيا لم يرس

(١) عبد الرحمن سامى : الصهيونية والماسونية ص ٦١ .

عليه راكب السفينة الذى قدر له أن ينجو من الطوفان [١] .

ويُعد الفكر المصرى أيضاً مصدراً رئيسياً لأسفار العهد القديم . وقد وضح أدولف إرمان Adolf Erman هذا الموضوع فى بحثه القيم الذى تقدم به سنة ١٩٢٤ إلى المجمع العلمى البروسى ، وعنوانه « مصدر مصرى لأمثال سليمان » ، وتكلم فى هذا البحث عن مؤلَّف لحكيم مصرى اكتشف حديثاً على أوراق البردى ، وقد وضع هذا الحكيم نصائحه فى ثلاثين باباً وساقها فى صورة نصائح والد لولده . وهو نفس الطريق الذى سلكه حكماء الشرق منذ القدم ، وقد تكررت هذه الحكم بشكل واضح فى سفر الأمثال [٢] . ويلاحظ كثير من الكتاب أن المعانى التى ذكرها اخناتون فى قصيدتهعن الشمس تكررت كذلك فى أسفار العهد القديم [٣] .

ومن مصادر العهد القديم الرئيسية الفكر البابلى ، وقد عثر القائمون بالحفائر الحديثة على نصوص بابلية ، تروى كلا من قصتى الخليقة والطوفان ، وهى نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين ، ومن ثم فإن نقاد الكتاب المقدس يُحاجُّون بأن اليهود استولوا فى أثناء أسْرهم على تلك الفصول ، وهى قوام للإصحاحات العشر الأولى من سفر التكوين ، ومن المصادر البابلية التى عثر عليها نصوص تُعَدّ مرجعاً هاماً لقصة شمشون ودليلة وسواها من قصص العهد القديم [٤] كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست فى بعض هذه الأسفار [٥] .

ويقول الأستاذ العقاد عن المأثورات الفارسية فى الفكر اليهودى ما يلى :

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٦٨ : ٣٦٩ .
(٢) انظر . « التوراة » للدكتور فؤاد حسنين ص ٦٨ — ٦٩ .
(٣) محنة التوراة ص ٧٥ .
(٤) Wells : The Outline of History pp. 275. 291.
(٥) محنة التوراة ص ٥٧ .

قصة الخليقة فى العقائد الاسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقه فى الواح بابل . وعقيدة « المخلّص » المنتظر موجودة فى الديانة الفارسية وموجودة فى الديانة الإسرائيلية ••• وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان [illegible] سنة [illegible] ، ويطمح إلى خلود [illegible] ، فبحث عن [illegible] الفنــاء (١) .

على أن أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هــو تشريع « حمورابى » الذى يرجع تاريخه إلى نحو ١٩٠٠ ق . م وقد اكتشف فى سنة ١٩٠٢ م محفوراً على عمود من الصخر الأسود ، وتشريع حمورابى ؛ أقدم تشريع سامى معروف حتى الآن ، وهو يدل على عقلية بلغت شأوا عظيما من الرقى والنضج ، ثم إن هناك شبهاً شديداً بينه وبين القوانين اليهودية ، وهذا الشبه ليس سطحياً ولا عرضياً ، بل يتناول اللحمة والسدى واللب والجوهر ، وحتى اللفظ والتراكيب ، ولــذا ذهب كثير من العلمــاء وفى مقدمتهم Jeremias إلى أن القوانين الإسرائيلية فى معظمها مأخوذة مباشرة من تشريع « حمورابى » (٢) ، ومن أبرز مــا اتضح فى تشريع حمورابى وتحدَّر إلى الفكر الاسرائيلى « قانون المشابهة » الذى يُوجِد علاقة بين الجريمة والعقوبة ويلزم أن تكون العقوبة مضارعة للجريمة وأن تكون مثلها بقدر الإمكان ، فالعضو الذى يُحْدِث الضرر يلْقى العقــاب ، فكانت اليد التى تخطىء أو تسرق تعاقب بالقطع ، فإن زلَّت يد الجراح فسببت وفاة المريض أو فقأت عينه ، قطعت يد الطبيب ، وإذا جرى لسان بالغيبة أو النميمة فبتره هو العقــاب ، وإذا هجم رجل على آخر فأضر ببعض أعضائه ، كان العقاب فى مثل الموضع المصاب ، وكذلك كانت الحال فى البضائع والأمــوال ، فالسلعة بالسلعة ، والسفينة بالسفينة ، والثور بالثور ، والضأن بالضأن ، وما إلى ذلك •••

---

(١) عباس محمود العقاد : الله ص ١١٧ .

(٢) The Old Testament in the Light of the Ancient East, Passim.

هذه نماذج من تشريع حمورابى . ونجدها فى العهد القديم بنفسها أو مع اختلاف يسير ، مما يدل على أن تشريع حمورابى كان مصدراً مهماً من مصادر العهد القديم [١] .

تحريف العهد القديم :

من الدراسات السابقة اتضح لنا أن الفساد سرعان ما تطرق لبنى اسرائيل بعد موسى ، واتضح لنا كذلك أن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة ، أى فى عهد الفساد والاضطراب ، وأن كتابها ليسوا هم الذين أسندت لهم هذه الأسفار ، وليس الوحى مصدراً لهذه الأسفار . والنتيجة الواضحة لكل هذه المقدمات أن اليهود كتبوا التوراة انعكاساً لأخلاقهم ولآمالهم ، وبنوها هدفاً يحققون به مقاصدهم . ومن هنا ازدحمت الأخطاء فى العهد القديم وتوالت ، وقد عُنى كثير من الباحثين بإبراز أخطاء العهد القديم ، وإيضاح ما به من خلط وتضارب .

والنظرة السريعة للعهد القديم توحى أن الهدف الأسمى الذى أراده بنو اسرائيل من الكتاب المقدس ، كان تبرئة بنى اسرائيل من العيوب ، وتلويث سواهم من الشعوب ، فأحد ابنى آدم كان ضالا وكان الآخر مهتدياً ، ومن المهتدى ينحدر بنى اسرائيل ، وأبناء نوح الذين نجوا من الغرق كانوا ثلاثة ولكن بنى اسرائيل يكثرون الهجوم على حام بن نوح ويسخطون عليه لا لشىء إلا أنه أبو الجنس الذى انحدر إلى مصر وما

---

(١) هناك نصوص من « تشريع حمورابى » تقارن بما ورد فى سفر الخروج ٢١ : ٢٣ — ٣٦ وما ورد فى سفر التثنية ١٩ : ٢١ وسفر اللاويين ٢٤ : ١٧ — ٢٢ .
وانظر « النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السابقة » للدكتور محمد محمود جمعه ص ١٨٦ وما بعدها .

يليها من الجنوب ، وكراهية بنى اسرائيل لمصر قديمة وعريقة ، ويصب سفر التكوين السخط على كنعان بن حام بن نوح [١] لأن الكنعانيين حاربوا العبرانيين ، فلما دوّن هؤلاء العهد القديم ، خصوا الكنعانيين بسخط الله ، كأن الله يسخط على من سخطوا عليه ويرضى على من رضوا عنه .

وهكذا كُتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها برىء ، إنها فى الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم .

وبهذا السبب وبسبب كثرة الكُتّاب الذين اشتركوا فى تدوين العهد القديم ، كثرت الأخطاء فيه ، ويمكننا أن نعطى منها بعض نماذج :

— لم يكن للعدد مدلول دقيق فى أسفار العهد القديم ، فقد ورد فى سفر الخروج أن إقامة بنى اسرائيل فى مصر كانت ٤٣٠ سنة ، وهى فى الحقيقة ٢١٥ سنة وقد اعترف مفسرو العهد القديم بوقوع الخطأ فى هذا الرقم ، وعدد الرجال الذين بلغوا سن العشرين قبيل خروج موسى من مصر كما ورد فى سفر العدد لا يمكن عقلا أن يكون صحيحاً ، فقد كان عدد بنى اسرائيل عند دخولهم مصر سبعين ، ومحال أن يصيروا فى مدى قرنين آلافاً كثيرة أو ملايين . وهكذا .

— ورد فى أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع ، وهاك نص العبارة : « مُفْتَقَد" إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع » [٢] ، وفى سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه ، فقد جاء به « النفس التى تخطىء هى تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر

---

(١) تكوين ٩ : ٢٥ — ٢٦ .
(٢) خروج ٣٤ : ٢ وتثنية ٥ : ٩ وعدد ١٤ : ١٨ .

عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » [١] وهذا تناقص واضح •

ــ تختلف الأحكام اختلافاً واضحاً وصريحاً من سفر إلى آخر . ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد ، بالإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال •

ــ فى سفر أخبار الأيام الثانى وردت الفقرة التالية «••• لأن الرب ذلّل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل » [٢] . ولفظ اسرائيل غلط يقيناً لأن آحاز كان ملكاً ليهوذا لا لاسرائيل ، ومثل هذا الخطأ وقع فى الإصحاح الأخير (الاصحاح ٣٦) من هذا السفر فقد ورد به أن نبوخذ نصر عزل يهوياكين وملّك بدله صِدْقيّا أخاه [٣] ، والحقيقة أن صِدْقيّا كان عم يهوياكين لا أخاه ، ولذلك صحح مترجمو العهد القديم هاتين الكلمتين لتتفق الفكرتان مع الحق والتاريخ •

ــ تنص الفقرات السابقة على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بابل ، ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله فى أورشليم وأمر أن تلقى جثته خارج السور ، ومنع دفنها كما ذكر المؤلف اليهودى « يوسيفس » [٤]•

ــ وقع فى الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة فى النسخة العبرانية العبارة التالية « لم يعصوا كلامه » وفى النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا « وقد عصوا كلامه » وأحدهما خطأ يقيناً وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين •

هذه نماذج قليلة مما فى العهد القديم من خطأ واضطراب لم نقصد بها الحصر وإنما قصدنا مجرد التمثيل •

---

(١) حزقيال ١٨ : ٢ .
(٢) الاصحاح الثامن والعشرين الفقرة ١٩ .
(٣) الفقرات ٩ — ١١ .
(٤) انظر اظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندى ص ١٢٧ .

أهمية العهد القديم :

يسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة ولهذا يقرر باحثوهم أن أى شخص يفشل فى دراسته للتوراة أو فى التدرب على آدابها ، يجب أن يدفع عن هذا الفشل احتقاراً وازدراء ينصب عليه من كل بنى اسرائيل ، وعلى العكس من ذلك أولئك الذين برهنوا على مقدرتهم على استيعابها والانتفاع بآدابها ودراستها . فهؤلاء يكافئون بشرف التقدير والاحترام من المجتمع الإسرائيلى كله ، فإن الإحاطة بالتوراة هى الجوهرة التى لا تقدر بثمن ، وهى ثروة بنى اسرائيل ، وإذا فرض أن بنى اسرائيل سلبت أموالهم وأمتعتهم وكل مصادر ثرواتهم ، وبقيت لهم التوراة فإنهم الرابحون ، وإن الثراء الذى ذهب لا يقاس بشىء إن قيس بالتوراة ما بقيت لهم ، وفى سبيل المحافظة على التوراة ورعايتها يرخص كل غال ويهون كل صعب . وإله اسرائيل سيكون خير عون لشعبه ما حافظوا على كتابه المقدس ، وكل جهد يبذل من أجل التوراة ويكون نصيبه الفشل ، فإن باذله لابد أن يكون متأكدا من حسن الثواب من الله . ومع هذا فخدمة التوراة ينبغى ألا تقدم نظير جزاء ، بل ينبغى أن تكون متعة فى نفسها ، وأن يترك الجزاء يجىء من نفسه من يهوه ومن شعب يهوه . ذلك هو إحساس اليهود تجاه التوراة وذلك هو ما يدور بخلدهم عن كتابهم المقدس [1] .

ويقتبس Arthur Hertzberg اقتباسات من الربانيين عن قيمة التوراة نورد هنا بعضها ، لننظر إلى أى مدى كانت أهمية التوراة عند بنى اسرائيل ؛ يقول Arthur Hertzberg إن التوراة تضمن لدارسها والحيط بها أسمى مكانة فى المجتمع الإسرائيلى ، فإن التوراة عند بنى اسرائيل كانت وجودا ثانياً ، كانت دولة شامخة وروحانية رفيعة ، تضاف

---

(١) Guignebert , The Jewish World in the Time of Jesus p. 78 - 79.

أو تغنى عن دولتهم الدنيوية فقد أصبحت التوراة خلال مدة النفى مركزاً التف حوله بنو اسرائيل ، وتبعوا إرشاداته فى السر والعلانية . وإن المثل الذى يقول « اسرائيل والتوراة شىء واحد » ليس مجرد مثل سائر . ولا يستطيع غير بنى اسرائيل أن يدركوا كنهه . فمعنى التوراة فى أهميته الوطنية لا يفهم لغير بنى اسرائيل ، ومحتويات التوراة ليست فقط ديناً أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كل هـذه مجتمعة ، إنها شىء أكثر جداً من كل هـذا عند بنى اسرائيل ، إنها حياتهم ودنياهم فى الماضى والحاضر والمستقبل ، والتوراة — فى الفكر الإسرائيلى — الوسيلة والأداة التى خـُلِق بهـا العالم ، فبها ولأجلها خـَلـَق الإله الدنيا . ولذلك فهى أقدم من هـذا العالم ، إنهـا أسمى فكرة ، وإنهـا الروح الحية للدنيا كلهـا ، وبدونها ليس للدنيا بقـاء ، ودراسة التوراة أهم عند بنى اسرائيل من بناء معبد ، والإلمام بهـا يضع صاحبه فى مكانة أسمى من الكهنـة ومن الملوك ، ودارسها يضمن لنفسـه النجاح ، وبهـا يسمو الإنسان على كل البشر ، ولو اشتغل بهـا وثنى فإنه يصبح فى مكانة أسمى من مكانة الكاهن ، والفاسق الأثيم إذا حفظها يأخذ مكانة أسمى من رجل الدين الذى يجهلها [١] .

التلمــــود

بين أيدينا مرجع يُعَدّ مصدراً أساسياً عند الحديث عن التلمود ، ذلك هو « الكنز المرصــود فى قواعــد التلمود » ومؤلفــه هو الدكتور « رُوهلنج » الذى كان مدرساً بجامعة براغ ، وقد ترجمه من الفرنسية إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله ، ومرجع آخر وثيق الصـــلة به وهو « التلمود شريعة اسرائيل » وسنقتبس منهمـــا تعريفاً بالتلمود وموجزاً لأعم مبـــاحثه •

تعريف بالتلمود :

قلنا عند الحديث عن الفريسيّين إنهم يرون أن التوراة ليست هى كل الكتب المقدسة وإنمـــا هناك بجانبها روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ••• وتلك الروايات هى التى تعرف بالتلمود ، وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات المسمى « يوضاس » أن تلعب أيدى الضياع بهذه التعاليم الشفوية وتلك الروايات المتناقلة ، فجمعها فى كتاب سمّاه « المِشْنا » ومعنى كلمة « المشنا » الشريعة المكررة لأن المشنا تكرار لمـــا ورد فى توراة موسى ، وليس المشنا إيضاحاً وتفسيراً وتكميلا لهذه الشريعة •

وفى السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيراً من الزيادات على ما دونه « يوضاس » وأتم الرّبّى يهوذا سنة ٢١٦ م تدوين هـــذه الزيادات والروايات الشفوية ، وأصبحت كلمة المشنا تضم كل مـــا كتب من عهد يوضـاس إلى عهد الرّبّى يهوذا •

واستعصت المشنا على بعض القراء ، فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشى كثيرة وشروحا متشعّبة ، وسميت هـــذه الحواشى وتلك الشروح باسم « جِمارا » •

ومن المشنا والجمارا يتكوّن التلمود ، فالتلمود تعليم ديانة اليهود وآدابهم ، والمشنا الذى به زيادات لحاخامات فلسطين يسمى هو وشروحه « تلمود أورشليم » أما المشنا الذى به زيادات لحاخامات بابل فيسمى هو وشروحه « تلمود بابل » • وهو المتداول بين اليهود والمُراد عند الإطلاق [١] •

ويَعْتَبِر أكثر اليهود التلمود كتاباً منزّلا ويضعونه فى منزلة التوراة ، ويروْن أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة ، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها ، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود ، بل يضعون هذه الروايات الشفوية فى منزلة أسمى من التوراة ، ويرى بعضهم ألا خَلاَص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى ، ويعدّون التوراة خبزاً ويرون أن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط ، وأن الأدم هو التلمود ، ويُصرّحون بأن مَنْ يقرأ التوراة بغير المشنا والجمارا فليس له إله •

وتضطرب آراء اليهود أحياناً وهم يضعون التلمود فى تلك المكانة ، فلا يكتفون بما سبق أن أوردناه من أن التلمودمنزّل ، بل يعلنون أن التلمود وإن كان أقوال الحاخامات ، فهو أيضاً فى مكانة التوراة ، لأن أقوال الحاخامات هى قول الله الحىّ ، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة مُعضلة لا يمكن حلها فىالسماء [٢] ، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب لأن الذى يخالف شريعة موسى خطيئته قد تغفر ، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل [٣] •

---

(١) الكنز المرصود ص ٢٩ — ٣٠ بتصرف والتلمود شريعة اسرائيل ص ١٠ — ١١ •

(٢) الكنز المرصود ص ٣٢ — ٣٣ والتلمود شريعة اسرائيل ص ١١ — ١٢ ..

(٣) الكنز المرصود ص ٨٧ •

من نصوص التلمود

الله فى التلمود :

يروى التلمود أن الله نَدِم لما أنزله باليهود وبالهيكل ، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله : تبّا لى لأنى صرّحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى .

وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود ، لأنه غضب مرة على بنى اسرائيل فاستولى عليه الطيش ، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ، ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة .

ويقررالتلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير ، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة فلم يستطع بطبيعته الردئية أن يسير على نهجها ، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر فى نفسه ، وبين الشريعة المرسومة إليه ، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته لأن الله هو السبب فى كل ذلك [(١)] .

أرواح اليهود :

تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه . ويقول التلمود بالتناسخ ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند ، وأخذه حاخامات اليهود من المجتمع البابلى .

---

(١) التلمود شريعة اسرائيل ص ١٧ — ١٩ .

اليهود والسلطة :

ينص التلمود على أنه يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع تسلط باقى الأمم فى الأرض ، لتصير السلطة لليهود وحدهم ، فإذا لم تكن لهم السلطة عُدُّوا كأنهم فى حياة النفى والأسْر ، ويعيش اليهود فى حرب مع باقى الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع وحينئذ يدخل الناس أفواجاً فى دين اليهود ويُقْبَلون جميعاً ماعدا المسيحيين لأن هؤلاء من نسل الشيطان (١) .

اليهود وغير اليهود فى التلمود :

جاء فى التلمود أن الإسرائيلى مُعْتَبَر عند الله أكثر من الملائكة ، وأن اليهودى جزء من الله ، فإذا ضرب أمىٌّ اسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية ، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان ، هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ، ولليهودى فى الأعياد أن يُطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودى ، والشعب المختار هم اليهود فقط ، أما باقى الشعوب فهم حيوانات ، ويَرْوى التلمود أنه لما قدَّم بختنصر ابنته الى زعيم اليهود ليتزوجها ، قال له هذا الزعيم : إنى يهودى ولست من الحيوانات . ويَعْتبر اليهودُ غيرَ اليهود أعداء لهم ، ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم ، ويُلزم التلمود بنى اسرائيل أن يغشُّوا مَنْ سواهم فقد جاء فيه : يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين . ويمنع التلمود اليهود أن يُحَيُّوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم ، ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود (٢) .

---

(١) الكنز المرصود ص ٤٨ — ٤٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٥١ — ٥٥ والتلمود شريعة اسرائيل ص ٢٥ .

اليهـود والتملك :

ترى الأديان السماوية أن الدنيا والمـال والثراء ملك الله ، ولمـا كان التلمود يقرر أن اليهود أجزاء من الله ، فإن اليهود لذلك يعتبرون أنفسهم مالكين لكل مـا فى الأرض من ثراء بالنيابة عن الإله ، وقد جاء فى وصايا موسى : « لا تسرق مـال القريب » وفسَّر علمـاء التلمود هذه الوصية بجواز أن يسرق اليهودى مال الغريب أى غير اليهودى ، فسَلْبُ ماله ليس مخالفاً للوصايا ، وسار الفكر اليهودى فى التلمود على هـذا النحو فَعَدَّ سرقةَ اليهودىِّ مالَ غير اليهودى استرداداً لأموالٍ من سالبيها ، وأجاز علماء التلمود أن يبيع اليهودىُّ شيئاً يملكه غير يهودى ، وللمشترى أن يتخذ الوسائل لوضع يده على مـا اشتراه ، ويساعده كل اليهود ليحصل على حقه ، وجاء فى التلمود نص يشرح هـذه الفكرة شرحاً وافياً وهو : إن مَثَلَ بنى اسرائيل كمثل سيدة فى منزلها ، يحضر لهـا زوجها النقود فتأخذها وتنفقها دون أن تشترك معه فى الشغل والتعب ، فعلى الأمميين أن يعملوا ولليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل .

ومن الوسائل التى يصطنعها اليهود ليستولوا على ثروات العـالم الغش الذى أجاز التلمود استعماله مع غير اليهود فى حالة البيع أو الشراء ، وقال الحاخام « رشى » : مُصرحٌ لليهودى أن يغش غير اليهودى ويحلف له أيماناً كاذبة .

ومن الوسائل كذلك عدم رد الأشياء المفقودة ، فقد جاء فى التلمود أن الله لا يغفر ذنباً ليهودى يردُّ للأممى ماله المفقود .

ومن الوسائل كذلك الربا الذى أجاز التلمود استعماله مع غير اليهود ، فقد جاء فى التلمود : غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا (١) .

---

(١) الكنز المرصود ٥٦ و ٦٥ « موجز » والتلمود شريعة اسرائيل ص ٢٢ ومـا بعدها .

اليهود وأرواح غير اليهود :

ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود ، فقد جاء فى التلمود : محرم على اليهودى ان ينجى [illegible] حفرة يقع فيهـا . بل إذا رأى أحدَ الأمميين يقع فى حفرة لزمه أن يسدها بحجر ، وقال « ميمانود » الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى . فإذا رأيته واقعاً فى نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أيهـا اليهودى أن تنقذه ؛ لأن السكان الذين كانوا فى أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم يُقْتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقى أمم الأرض . ولذلك يلزم قتل غير اليهودى لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهـاربين .

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودى كل أممى لأنه بذلك يقرّب قرباناً إلى الله [1] .

المرأة فى التلمود :

قال موسى لا تشته امرأة قريبك ، فمن يزْنِ بامرأة قريبه يستحق الموت ، ولا يعتبر التلمود القريبَ إلا اليهودى فقط ، فإتيـان زوجات الأجانب جائز ، واستنتج من ذلك الحاخام (رشى) أن اليهودى لا يخطىء إذا تعدى على عرض الأجنبى لأن كل عقْدِ نكاح عند الأجانب فاسد ، لأن المرأة التى لم تكن من بنى إسرائيل هى كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع البهائم وما شاكلها ، وقد أجمع على هـذا الرأى الحاخامات (بشـاى وليفى وجرسـون) فلا يرتكب اليهودى محرّما إذ أتى امرأة مسيحية ، وقال (ميمانود) إن لليهود الحق فى اغتصاب النساء الغير مؤمنات أى الغير يهوديات [2] .

---

(١) الكنز المرصود ص ٦٦ — ٦٧ والتلمود شريعة اسرائيل ص ٤٠—٤١ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٣ والتلمود شريعة اسرائيل ص ٤٤ و ٦٥ .

القسم في التلمود :

ينص التلمود على أن اليمين التى يقسم بهـا اليهودى فى معاملاته مع باقى الشعوب لا تعتبر يميناً ، إذ كأنه أقسم لحيوان و القسم لحيوان لا يعد يميناً . فإذا اضطر اليهودى أن يحلف لمسيحى له أن يعتبر القسم كأنه لا شىء ، ويجوز لليهودى الحلف زوراً إذا حول اليمين لجهة أخرى وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية كأن تكون أمام المحـاكم أو أمام خصم قوى .

وإذا سرق يهودى أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودى أن يحلف اليمين حلف زوراً ، ويعيِّن التلمود يوماً كل فترة يسمى يوم الغفران العـام ، وغيه يُمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب ومن ضمنها الأيمان الزور [١] .

اليهود والمسيح :

يقول التلمود عن المسيح : إن يسوع الناصرى موجود فى لجـات الجحيم بين القار والنار وإن أمه مريم أتت به من العسكرى « باندارا » عن طريق الخطيئة ، وإن الكنـائس النصرانية هى مقـام القاذورات ، والواعظون فيهـا أشبه بالكلاب النابحة ، وإن قتل المسيحى من الأمور المأمور بهـا ، وإن العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى القيام به ، وإنه من الواجب أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى اسرائيل [٢] .

ويحدد التلمود أنواعاً من الطهر لا يصل لهـا اليهودى إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين . وقد وقعت أحداث تؤكد أن أيدى اليهود تلوثت بدماء المسيحيين لهـذا الغرض عدة مرات [٣] .

---

(١) الـكنز المرصـود ص ٧٤ — ٧٦ والتلمـود شريعـه اسرائيل ص ٤٥ — ٤٦ .

(٢) الـكنز المرصود ص ١٩ .

(٣) انظر نماذج من ذلك فى الكنز المرصود ص ٨٩ ومـا بعدها ونماذج أخرى فى « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » للقـائد عبد الله التـل ص ٨٢ — ١٠٥ » .

بروتوكولات حكماء صهيون

لا يزال واضعو هذه البروتوكولات ووقت وضعها من الأسرار التي لم تكتشف حتى الآن بوجه الدقة . وتدل الظواهر على وجود علاقة زمنية بين هذه البروتوكولات وبين نهاية القرن التاسع عشر ، وعلى وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات وبين مؤتمر « بال » الذى عقد سنة ١٨٩٧ (١) .

ومرجع هذا الفهم أن هذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة شريرة ضد البشرية . ويبدو أنها كانت رد فعل لما عاناه اليهود خلال القرن التاسع عشر من اضطهاد فى أوربا ، وما نزل بهم من جور وتعسف . فتدارسوا فى هذا المؤتمر — ضمن ما تدارسوه — وسائل الانتقام من البشرية جميعاً التى اعتقد اليهود أنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر فى إذلالهم والنيل منهم .

وبروتوكولات معناها محاضر جلسات . ويسميها بعض الباحثين « قرارات » وتلتقى التسميتان إذ لاحظنا نصوص البروتوكولات ، وأنها عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين ، وأن هذا التقرير عرض على المؤتمر فى « بال » بسويسرة ، وأن المؤتمرين أقروه . فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لواضعيها ، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين فى جلساتهم ، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها .

وكانت هذه البروتوكولات مودعة فى مخابىء سرية . ولا يعرف محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء بها بهدوء وحسب تخطيط منظم ، ثم حدث اجتماع بين سيدة فرنسية مسيحية

---

(١) يرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية لمؤتمر بال ، أما القرارات العلمية فهى التى أعلنت عن ضرورة قيام دولة لليهود فى فلسطين ، وقد ذكرنا ذلك مفصلا فى دراستنا السابقة .

وبين زعيم صهيوني كبير ، وتمَّ هذا الاجتماع فى وكر الماسونية بباريس ، ورأت هـذه السيدة بطريق الصدفة بعض هـذه القرارات ، فذُعِرت من محتوياتها . واستطاعت أن تختلس منهـا بعضها وتخرج بهـا من هذا الوكر . وكان ذلك سنة ١٩٠١ ويبدو أن السيدة الفرنسية خافت أن تُتَّهَم بسرقة هـذه الوثائق فعملت على أن تذاع هذه الوثائق من مكان قَصِيّ هو روسيا القيصرية . وقد وصلت هـذه الوثائق إلى رجل يهمه أمرهـا هو أليكس نيقولا نيفنتش كبير أعيـان روسيا القيصرية . فسلمها إلى صديقه الأستاذ سرجى نيلوس الذى نشرها فى العـام التالى (أى سنة ١٩٠٢) باللغة الروسية . وعقب اكتشاف سرقة هـذه الوثائق أعلن تيودور هرتزل الذى دعـا إلى مؤتمر بال أنه قد سُرِقَ من « قدس الأقداس » بعض الوثائق السرية التى قصد إخفاؤها عن غير أصحابها . وأن ذيوعها قبل الأوان يعرِّض اليهود فى العـالم للخطر . فلمـا ظهرت هذه الوثائق مطبوعة عقب ذلك هبَّ اليهود فى كل مكان يعلنون أنها مختَلَقة عليهم وينكرون صلتهم بهـا ، ولكن هذا الإنكار لم يكن ذا قيمة على الإطلاق لأن الأحداث العالمية التى وقعت آنذاك كانت مطابقة لما ورد فى البروتوكولات . ومتمشية مع مصلحة اليهود ، وكان واضحاً أن ذلك ليس مجرد مصادفة .

وننقل فيمـا يلى ما كتبه الأستاذ محمد خليفة التونسى فى مقدمتـه لترجمة هـذه البروتوكولات عن تطور طبع هـذه الوثائق ونشرها [١] :

أعاد نيلوس نشر هـذا الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ ، ونفدت هـذه الطبعة بسرعة غريبة بوسائل خفية ، وتبيَّن أن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها ، ثم طبعت سنة ١٩١١ فنفدت على هذا النحو ، ولمـا طبعت سنة ١٩١٧ صادرها الشيوعيون الذين كانوا يومئذ قد استطاعوا تدمير القيصرية وقبضوا على أزمة الحكم فى روسيا ،

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٠ — ١١ .

وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستوردين أو من صنائعهم . ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى الآن .

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى المتحف البريطاني فى لندن وختمت بخاتمه ، وسجل عليها تاريخ تسلمها (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦) وبقيت مهملة حتى سنة ١٩١٧ . وحينئذ وقعت هذه النسخة فى يد الأستاذ فيكتور مارسدن مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية ، فقرأ النسخة ، وقدَّر خطورتها ورأى نبوءة نشرها تبلوس بالانقلاب الروسى قبل وقوعه باثنى عشر عاماً . فعكف فى المتحف على ترجمتها ، ثم طبعها قبل أن يسافر إلى روسيا لموافاة جريدته بأخبار الانقلاب الشيوعى الذى تم حينذاك ، وأعيد بعد ذلك طبعها عدة مرات كانت آخرها وخامستها سنة ١٩٢١ ومنها النسخة التى ترجمها الأستاذ خليفة للعربية [١] . كما نشرت كذلك بالفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات ، وكانت تنفد نسخها فى كل طبعة بطرق غريبة مريبة . وأحجمت دور النشر بعد ذلك عن إعادة طبعها بسبب نفوذ اليهود وسلطانهم على هذه الدور .

* * *

وبين يدى الآن نسخة من هذه البروتوكولات . وأريد أن أحللها هنا تحليلا علمياً لا دعاية فيه ولا تعصب :

عدد البروتوكولات أربعة وعشرين ، ولكنها غير دقيقة التأليف . وبها كثير من التكرار ، وقد حاولت أن أقترح عنواناً محدداً لكل منها فلم يتيسر ذلك إذ لم يخصص موضوع لكل منها ، ولعل ذلك هو طبيعة النقاش الذى يستطرد أحياناً ، حتى ليخيل لى أن الوثائق التى بين أيدينا خلاصة محاضر جلسات ، وليست نص تقرير قدم لهذه الجلسات ، ولا نص

---

(١) نشرت بالقاهرة مرتين

محاضر الجلسات . وربمـا كان ما استطاعت السيدة الفرنسية الفرار به جزءا من هذه المحاضر ، أو حتى جزءاً غير متسلسل منها .

وهدف هـذه البروتوكولات إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية . ومن أجـل ذلك يمكن أن نقسم البروتوكولات قسمين كبيرين . يبحث القسم الأول فى موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم . ويبحث القسم الثـانى فى مواقف اليهود من العـالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه ، والبروتوكولات العشر الأولى تتبع القسم الأول تقريباً ، أمـا باقى البروتوكولات فتتبع القسـم الثانى ، وسنذكر فيمـا يلى أهم الملامح لكل من هذين القسمين ، ثم نورد نصوصـاً من البروتوكولات :

قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية :

من أهم مـا يعنى به اليهود قبل تكوين هـذه الحكومة إعداد الشعب اليهودى للسلطان . وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختـار ، فالناس عند اليهود قسمان : يهود وجوييم أو أمميون [1] أى كفرة وثنيون ، واليهود شعب الله المختـار ، وهم أبنـاء الله وأحباؤه لا يتقبل العبادة إلا منهم ، ونفوسهم مخلوقة من نفس الله وعنصرهم من عنصره ، فهم وحدهم أبناؤه الأطهـار ، وقد منحهم الله الصـورة البشرية تكريماً لهم ، أمـا الجوييم فخلقوا من طينة شيطانية ، والهدف من خلقهم خدمة اليهود ، ولم يمنحوا الصـورة البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعـامل بين الطائفتين إكراماً لليهود ، فاليهود أصـلاء فى الإنسانية ، والجوييم أتباع فيهـا ، وعلى هـذا فمن حق اليهود معاملة الأمميين كالبهائم ، والآداب التى يتمسك بها اليهود لا يمكن أن يعاملوا الأمميين بها ، فلهم أن يسرقوهم ويغشوهم ويكذبوا عليهم ويخدعوهم ويغتصبوا أموالهم ويقتلوهم ويهتكوا

---

(١) يسميهم القرآن : أميين كمـا سيأتى .

أغراضهم . ويرتكبوا معهم كل الموبقات ما أمنوا استتار جرائمهم [وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله على لسانهم « ليس علينا فى الأميين سبيل » [1]] .

وبناء على هذه العقيدة يرى اليهود أن العالم لم يُخلق إلا لهم ومن حقهم وحدهم استعباده وتسخيره ، وليس لغيرهم إلا السمع والطاعة والرضا والقناعة بما يجود به اليهود عليهم .

ويرى اليهود فى هذه المرحلة ضرورة تمزيق الأوطان . والقضاء على القوميات والأديان . وإفساد نظم الحكم فى كل الأقطار بإغراء الملوك وسائر الحكام باضطهاد الشعوب . وإغراء الشعوب بالتمرد على سلطة الحكام ونصوص القانون .

وترسم البروتوكولات لليهود أن يهتموا فى هذه المرحلة بنشر المذاهب المختلفة . وأن يختلف اتجاههم فى مكان عن اتجاههم فى مكان آخر وكذلك فيما يتعلق بالزمان . فهم يعملون على نشر الشيوعية أحياناً والرأسمالية أحياناً ، ويلبسون مسوح الاشتراكيين فى بعض الأحيان ، ويوقفون بذلك الكتل العالمية متصارعة ، وهم يقولون أحياناً بالحرية والمساواة فيثيرون المظلومين فى وجه الظالمين ، ولكنهم سرعان ما يحاربون الحرية والمساواة ، ويعلنون أن الطاعة العمياء والتفاوت بين الناس هما أساس القيم البشرية ، ويحاربون الحرية مؤكدين أنها تحول الغوغاء إلى حيوانات ضارية ، وأن من الضرورى أن تسحق هذه الكلمة ويزول مدلولها تماماً .

وهم فى هذه المرحلة ينشرون الإباحية والفوضوية . ويعملون على تقويض الأسر وصلات الود ، ويدفعون الناس للشهوات والانحلال ، والبعد عن كل القيم الإنسانية .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٧٥ .

وترسم البروتوكولات لليهود أن يستعملوا ما فى النفس الإنسانية من ضعف . فالمال والنهم والنساء وسائل يمكن استعمالها مع الجوييم ليكونوا أداة فى يد اليهود ينفذون بسببها ما يطلب منهم • **كما توصى البروتوكولات أن يضع اليهود فى المراكز الكبيرة شخصيات مرموقة لها أخطاء لا يعرفها إلا اليهود ، وفى ظل الخوف من إشاعة هذه الأخطاء ينفذ هؤلاء الأشخاص لليهود ما يشيرون به •**

وتهتم البروتوكولات بأن يسيطر اليهود فى هذه المرحلة على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام ، حتى لا يتسرب للرأى العام العالمى ألا ما يريده اليهود •

ويستعمل اليهود المال وسيلة من أكبر وسائلهم ، ليس للرشوة فحسب كما سبق القول ، بل لإثارة الثورات الداخلية عن طريقه ، فهم يغرون الحاكم بجمع المال لنفسه ، والظهور بمظهر البذخ والأبهة التى تناسب جلال الملوك وأمجادهم ، ثم يدفعون الفقير ليثور ضد الحاكم الذى استحوذ على ثروة البلاد وغلبته الأنانية القاسية •

ويدفع اليهود بالدول للاستعمار ، ويجر الاستعمار إلى التنافس بين هذه الدول ، والتنافس وسيلة هامة من وسائل الحروب بين الدول المستعمرة ، فإذا شبت الحروب بين الدول المستعمرة قدم اليهود لهؤلاء ولأولئك القروض والسلاح بشروط سهلة حيناً ومعقدة حيناً ، وربح اليهود فى هذه الصفقات مزدوج ؛ فهم أولا يستنزفون ثروات الدول ويجمعونها لأنفسهم ، وهم ثانيا يسخرون بعض الجوييم لقتل البعض الآخر •

وفى المؤسسات والمصانع يعمل اليهود على إفسادها بإشاعة الخلل فى إدارتها والتخريب فى أجهزتها كلما أمكنهم ذلك •

ويتشتت اليهود فى كل أقطار العالم خلال هذه المرحلة ليختفوا

عن المسرح العالمى حتى لا يتتبع الناس نشاطهم الهدام . هـذا من جهه ؛ ومن جهة أخرى يتصل اليهود بأقطار مختلفة ويعملون متعاونين بالمـال والعلم والنسـاء ليصلوا إلى القصور . وليكون لهم فى إدارة البلاد شـأن ونفوذ . فاليهود فى فرقتهم متحدون . وفى تشتتهم مجتمعون •

بعد تكوين الحكومة اليهودية العالمية :

إذا تحقق انتصـار اليهود فإن اليهود يقيمون مملكة اسـتبدادية تحكم العـالم كله ويكون مقرها أورشليم ، وحكمها للعـالم يكون بطريق مباشر لو تم سقوط كل حكومات العـالم . كمـا يكون بطريق غير مباشر أى من وراء الحكومات التى لم تسقط بعد . فإذا اكتمل النصر وسقطت كل الحكومات انتقلت العاصمة إلى روما حيث تسـتقر إلى الأبد ويتعاقب على العرش حكام من ذرية داود ، « فالسياسة صـناعة سرية سـامية لا يحسنها إلا نخبة من اليهود درّبوا عليهـا تدريباً تقليدياً . وكشفت لهم أسرارها التى استنبطها حكماء صهيون من تجـارب التاريخ وغيره خلال قرون طويلة ، وهم يتناقلونها فى الخفاء ، وعليها يربون ملوكهم ومن يحيط بهم من المستشارين [١] » •

ويسوس اليهود الناس بالرشوة حيناً وبالعنف والإرهاب حيناً . فمن خضع للمـال والنساء والمناصب وأسلس القيـاد بذلك ، قدّم له هذا الدواء أو الداء ، ومن لم يخضع لذلك استُعمل معه العنف ؛ فالجوييم كقطعان البهائم أو الوحوش يخضعهم الإرهاب والإذلال فيصبحون كقطع الشطرنج تتصرف فيها أصابع اليهود حسبما تشاء هـذه الأصابع •

وفيما يلى اقتباسات قصيرة من هذه البروتوكولات :

---

(١) انظر صبرى ابو المجد : نهاية اسرائيل ص ١٤ .

نماذج من البروتوكولات

[قبل قيام الحكومة اليهودية العالمية]

من البروتوكول الأول :

— يجب أن يلاحظ أن ذوى الطباع الفاسدة من الناس أكثر عددا من ذوى الطباع النبيلة ، وإذن فخير النتائج فى حكم العالم ما ينتزع بالحكم والإرهاب ، لا بالمناقشات الأكاديمية .

— إن الحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة . ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية ، فيتخذها طعماً لجذب العامة إلى صفه إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له ، وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بالأفكار التى تسمى تحررية فيتخلى عن بعض سلطته بسهولة .

— إن الجمهور غِرّ غبى ، ومن ارتفعوا من بينه ينغمسون فى خلافات تعوق كل إمكان للالتقاء ، وكل قرار للجمهور يصدر عن جهل بالأسرار السياسية ويقود للفوضى ، وإذا نال الرعاع الحرية مسخوها فوضى واضطراباً .

— إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع ، وهو غير راسخ على عرشه .

— إن الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا — ونحن نضع خططنا — ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقى وما هو خير ، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد .

— عندما تضطرب قوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أى قوة أخرى ، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التى تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معه أن تنسفها أية خطة ماكرة .

— إن مما يحقق السعادة أن تكون الحكومة فى قبضة شخص واحد مسئول . وبغير الاستبداد لا يمكن أن تكون حضارة .

— فى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة ، وإن دولتنا — فى سبيل الفتوح السامية — لها الحق أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام . والإعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء . فالعنف وحده هو العامل الرئيسى فى قوة الدولة .

— كنا قديماً أول من صاح فى الناس « الحرية — المساواة — الإخاء » وهى كلمات ما انفكت ترددها ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر ، وقد حرمت — بترديدها — العالم من نجاحه .

من البروتوكول الثانى :

— ان نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، وإن الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً . ولكن ينبغى أن ندرس ونعى ما يلائم منها أخلاق الأمم وميولها .

— الصحافة هى القوة العظيمة التى نستطيع بها توجيه الناس ؛ فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوى الشاكين ، وتولد الضجيج بين الغوغاء ، وقد سقطت الصحافة فى أيدينا ، ومن خلالها أحرزنا النفوذ وكدسنا الذهب دون أن نظهر للعيان .

من البروتوكول الثالث :

— إن موازين المجتمع وتقاليده القائمة ستنهار سريعاً ، لأننا على الدوام نُفْقِدها توازنها ، كى نبليها بسرعة ونمحق كفايتها .

— إن الناس مستعبدون للفقر أكثر ممـا كانوا مستعبدين لقوانين رق الأرض ، فمن الرق كانوا يستطيعون أن يحرروا أنفســهم بطريق أو بآخر ، ولكن لا شيء يحررهم من طغيان الفقر الذى فرضناه عليهم .

إننا نقصد أن نظهر كمـا لو كنا المحرِّرين للعمـال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين الشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طبقاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية

— إن فائدتنا نحن فى ذبول الأمميين وضعفهم ، وقوتنا تكمن فى أن يبقى العـامل فى فقر ومرض دائمين ، لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا إذ لن يجد قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا .

حينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية ، باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذى يمسخ الشعب حيوانات متعطشة للدماء .

من البروتوكول الخامس :

— كان الناس ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الآلهة . فكانوا يخضعون فى هدوء لاستبداد ملوكهم ، ثم أوحينا إلى العـامة بحقوقهم الذاتية وببشرية الملوك ، فانساق العـامة خلفنا وسقطت المسحة المقدسة عن رؤوس الملوك ، وانقلبت السلطة إلى رجل الشـارع ، فاختطفنا منه هـذه السلطة دون أن يعى .

— لقد بذرنا الخلاف بين الأفراد كمـا بذرناه بين الأمم ، ونشرنا التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً ، فلم يعد من الممكن أن يلتقى الأفراد . ولا أن تلتقى الأمم .

— إن علم الاقتصاد السياسي الذي محصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المـال أعظم من مكانة التاج ، ويجب أن نحصـل على احتكار مطلق للصناعة والتجارة وأن نحصل من التجار على أكبر ربح ليظلم التجار الجماهير ويثيروهم على الحكومات •

من البروتوكول السادس :

بعد القضـاء على أرستقراطية الأمميين كقـوة سياسية ينبغي أن نقضي عـلى الأرستقراطيين من ملاك الأرض ، فهؤلاء خطر علينـا لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم ، ومن وسائل القضـاء عليهم فرض الأجور والضرائب حتى تنهار مواردهم فيبدءون في بيـع أراضيهم لأنهم بمـا تعودوه من ترف لا يستطيعون القناعة بالقليل •

— كي نخرب صـناعة الأمميين سنزيد أجور العمـال • ولكننا في الوقت نفسه سنرفع أثمـان الضروريات الأولية فنسترد زيادة الأجور • ونعرض الصناعة للخراب ، والعمال للفوضى •

من البروتوكول الثامن :

— ملء المناصب الكبيرة باليهود في هـذه المرحلة غير مأمون ، ولذلك توصي البروتوكولات بأن يُعْهَد بهـذه المناصب الخطيرة إلى الناس الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم ، كي تقف مخازيهم فاصلا بين الأمة وبينهم ، كذلك يوضـع في هذه المناصب الناس الذين إذا عصـوا الأوامر توقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض من كل هذا أن هؤلاء سيدافعون بحماس عن المصالح اليهودية التي وضعتهم في هذه المناصب وعرفت زلاتهم •

من البروتوكول التاسع [١] :

— لقد أصبحنا المشرّعين من خلف الستار ، فنستطيع أن نقضى بإعدام من نشاء ، كما نستطيع العفو عمن نشاء .

— نحن نسخّر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب ، من رجال يرغبون فى إعادة إنشاء الملكيات ، واشتراكيين ، وشيوعيين ، وحالمين بالمملكة الفاضلة . لقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ، وكل منهم بطريقته الخاصة يحارب القوانين القائمة ، ويقوّض النظم الحكومية ببلده . وسنرث فى النهاية كل هذه الحكومات .

— لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين ، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علّمناه من مبادىء ونظريات ، معروف" لدينا زيفها التام .

البروتوكول العاشر :

— إذا أوحينا إلى عقل كل فرد أهميته الذاتية ، فسوف ندمر الحياة الأسْريّة بين الأمميين وأهميتها التربوية .

— إذا استطعنا أن نصل إلى إقامة عصر جمهورى فسيمكننا أن نضع بدل الملك المقدس ناطوراً فى شخص رئيس لهذه الجمهورية ، ونختاره من الدهماء من بين مخلوقاتنا وعبيدنا وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفة أخرى مشينة ، وإن رئيساً من هذا النوع سيكون منفّذاً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذى يتملك دائماً الرجل الذى وصل إلى السلطة والذى يتلهف على أن يستبقى امتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع .

---

(١) من تعليقات المترجم على هذا البروتوكول ان اليهود يدخلون فى الاديان الاخرى فى الظاهر . ويمضى جيلان وهم ينتقلون من مكان الى مكان : ويظهر احفادهم دون ان يعرف احد صلتهم باليهودية ، ويؤلفون الجمعيات او ينضمون اليها ، وفى ظروف كثيرة يخدمون اليهود دون ان يتهمهم احد (انظر ص ٩٦)

[بعد قيـام الحكومة اليهودية العالمية]

من البروتوكول الحادى عشر :

ــ من رحمة الله أن شعبه المختـار مشتت . هـذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العـالم ، قد ثبت أنه كل قوتنا التى وصلت بنـا إلى عتبة السلطة العالمية .

من البروتوكول الثانى عشر :

ــ كان دور الصحافة تهييج الغوغاء وإثارة المجادلات الحزبية التى كانت ضرورية لمقـاصدنا ، ولكن بعد انتصارنا يتغير كل شيء : فسنقود الصحف بلجم حازمة . ونسيطر على شركات النشر ، ونصـادر الصحف والكتب التى لا تتمشى مع أغراضنا ، ونفرض على النشر ضرائب باهظة ونعطل الصحف التى تكرر نقدها لنـا . وسندس بين النشرات المجرمية نشرات من عملنا نحن ، ولكنهـا لن تهاجم إلا النقط التى نعتزم تغييرها فى سياستنا ، وسنسيطر على وكالات الأنباء بحيث لا يصل للمجتمع خبر دون أن يمر على إدارتنا .

ــ سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب لملء الفراغ ، وسندعو الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة ومـا إليها .

وحينمـا نُمَكِّن لأنفسنا ونكون سـادة الأرض لن نسمح بقيـام أى دين غير ديننـا ، وسنكون قد حطمنا كل عقـائد الأديان الأخرى ، وسيفضح فلا سفتنا كل مساوىء الديانات الأممية .

من البروتوكول السابع عشر :

سنغير الجامعات ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة ، وسيكون مديروها وأساتذتها قد أُعِدّوا إعداداً خاصاً ، وسيلته برنامج سرى متقن ، سيهذّبون ويشكّلون بحسبه . ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب . وسيرشّحون بعناية بالغة ، وسيكونون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة . ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خضر الشباب ذوى أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة . أو ذوى اهتمام بالمسائل السياسية على الإطلاق ، كما سنمحو كل أنواع التعليم الخاص .

من البروتوكول الثامن عشر :

— سنحدّ نطاق عمل مهنة المحاماة ، وسنضع المحامين على قدم المساواة مع الموظفين المنفّذين ، والمحامون — كالقضاة — لن يكون لهم الحق فى أن يقابلوا عملاءهم وستعيّنهم المحكمة ، وسيكون أجرهم محدوداً سواء كان الدفاع ناجحاً أو غير ناجح .

— وسنحط من كرامة رجال الدين الأمميين لننجح فى الإضرار برسالتهم ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً . وستتبعها فى الانهيار باقى الأديان ، ويصير مَلِك اسرائيل (بابا) للعالم :

من البروتوكول التاسع عشر :

— إن أية ثورة ضدنا ينبغى أن تصير كنباح كلب على فيل ، فليس على الفيل إلا أن يقوم بِمَثَلٍ واحد متقن من التدمير حتى تكف الكلاب عن النباح ، وتشرع فى البصبصة بأذنابها عندما ترى الفيل ، ولكى ننزع

عن المجرم السياسى تاج شـجاعته سنضعه فى مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوى مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الأشرار المنبوذين المكروهين .

مباحث البروتوكولات الباقية :

تهتم البروتوكولات الباقية بشرح البرنامج المـالى للدولة اليهودية العـالمية ، ونظام الضرائب الذى ستتبعه ، والعملة والقروض والبورصة والسندات . ومعالجة البطالة والأسلوب الذى يربّى عليـه الملوك من أحفاد داود ليبقى ملكهم مـا بقى الزمن .

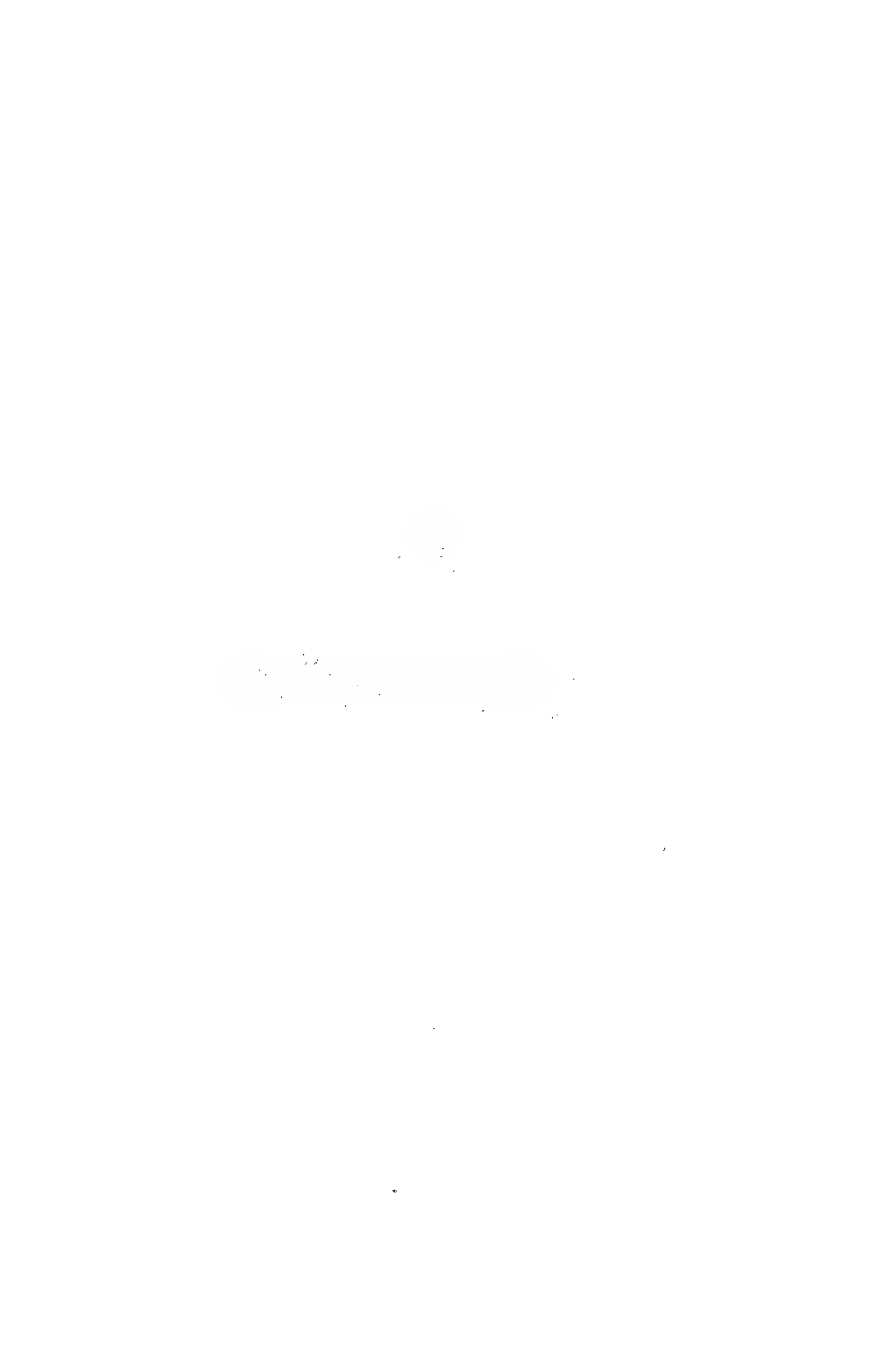
***

هـذه صورة سريعة لهـذه البروتوكولات . ومنهـا يبدو ما بـها من خطر على الأفراد وعلى الشعوب والمدنيات .

والذى يقرأ هذه البروتوكولات بدقة يدرك أن كثيرا من الحكومات الديكتاتورية بالشرق تتبنّى مبادئها ، وتنفّذ توجيهاتها .

الباب الخامس

من صور التشريع في اليهودية



موسى والتشريع :

ينسب إلى موسى عليه السلام أنه أول من رسم لليهود السلطة التشريعية . ويذكر Hosmer أن موسى وضع أسس التشريع فى التوراة . فأصبحت المرجع القانونى . كما أصبحت حجر الأساس لبناء الدولة اليهودية • ويذكر Weech ان موسى كان قائداً لبنى اسرائيل . وكان بجانب ذلك مرشداً ومشرعاً لهم . وقد سبق أن اقتبسنا ذلك . كما تحدثنا عن التوراة التى تنسب الى موسى وقررنا ان الاسفار الخمسة المسماة بالتوراة والموجودة الآن ليست مما أوحِيَ إلى موسى . وليست من كتابته أو إملائه . بل هى من تأليف كُتَّاب متأخرين . وأن الوصايا العشر أو بعضها هى ما تبقى لنا من توراة موسى . وما عدا هذه الوصايا من تشريعات فهو من صنع الكهنة والرهبان من اللاويين أبناء ليفى الذين كان لهم الحق فى وضع الأحكام للأمة العبرية [١] ، ولم يكن أحد غير هؤلاء يستطيع أن يقرِّب القرابين بالطريقة الصحيحة أو يفسر الطقوس أو الأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ [٢] • وهكذا وضع الكهنة والرهبان هذه التشريعات يقرِّرون بها حقوقاً لأنفسهم وتقاليد لقومهم ، وقد آن لنا أن نقتبس الوصايا العشر ثم نتبعها بحديث عن التشريع الذى وضعه الكهنة والرهبان :

الوصايا العشر :

من مطالعة أسفار موسى الخمسه يتضح لنا أن الوصايا العشر وردت فى صيغتين ، إحداهما أكثر اتصالا بالدين والعقيدة . وقد جاءت فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج ، والأخرى أكثر اتصالا بالعادات والتشريع ، وقد وردت فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج وفى الإصحاح الخامس من سفر التثنية ، وهناك فى الصيغتين توافق فى

(١) محمد صبرى : المقارنات والمقابلات ص ٢ ٣ .
(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٦ .

بعض الوصايا ثم اختلاف فى البعض الآخر • فتتجه الصيغة الأولى للعقيدة . والثانية للتقاليد والآداب كما مر •

ونص الصيغة الأولى كالآتى :

اصنع ما أنا موصيك اليوم :

— لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو ••••

— لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة •

— تَحْفَظ عيد الفطير ، سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك فى شهر أبيب . لأنك فى شهر أبيب خرجت من مصر •

— لى كل فاتح رحم (أى أن البكرى يقدم قرباناً) وكل بكر من بنيك تَفْدِيه ، وكذلك تَفْدِى بكر الحمار •

— أول أبكار الأرض تحضره إلى بيت الرب إلهك •

— ستة أيام تعمل ، أما اليوم السابع فتستريح فيه •

— اصنع لنفسك عيد الحصاد ، عند حصاد الحنطة وعند الجمع فى آخر السنة •

— لاتذبح على خمير دم ذبيحتى •

— لا تبتْ إلى الغد ذبيحة عيد الفصح •

— لا تطبخ جدياً بلبن أمه •

هذه هى كلمات العهد ، الكلمات العشر [1] •

---

(١) خروج ٣٤ : ١١ — ٢٨

ونص الصيغة الثانية كالآتى (١) :

— أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر . من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما فى الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور .

— أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبْغِضِىَّ ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من مُحِبِّىَّ وحافظى وصاياى .

— لا تَنْطق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يُبْرِئ مَنْ نطق باسمه باطلا .

— اذكرْ يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سَبْتٌ للرب إلهك . لا تصنع عملا ما ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى دخل أبوابك ، لأن فى ستة أيام صَنَعَ الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح فى اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه .

— أكرِم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك .

— لا تقتل .

— لا تزن .

— لا تسرق .

— لا تشهد على قريبك شهادة زور .

---

(١) الاصحاح العشرين من سفر الخروج ٢ — ١٧ والاصحاح الخامس من سفر التثنية ٦ — ٢٢ .

— لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .

تشريعات أخرى من التوراة :

وفى أسفار التوراة الموجودة بين أيدينا . تزدحم التشريعات فى سفر الخروج واللاويين والعدد والتثنية . وفيما يلى نماذج من تشريعات سفر الخروج :

— من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلا ، ولكن الذى لم يتعمد فليكن له مكان يهرب إليه . ومن سرق إنساناً وباعه . أو وُجِدَ فى يده . يقتل قتلا . ومن شتم أباه وأمه يقتل قتلا . وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده يُنْتَقَم منه . لكن إن بقى يوماً أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله ، وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة ، فمات . يرجم الثور ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً . ولكن إن كان ثوراً نطاحاً من قبل ، وقد أُشْهِدَ على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضاً يقتل (١) .

— إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوّض عن الثور بخمسة ثيران ، وعن الشاة بأربعة من الغنم ، إن وُجِد السارق وهو ينقب فضُرب ومات فليس له دم ، ولكن إن أشرقت عليه الشمس فَلَهُ دمٌ (٢) .

وفى سفر اللاويين أحكام تتصل بالقرابين والطقوس والأعياد والنذور والمحرّقات وكفارات الذنوب ، وفيه كذلك شروح ضافية لمكانة اللاويين وخيمة الاجتماع . والمحرمات فى الزواج ، والطعام الذى يحل والذى يحرم . ومن هذا السفر يمكن أن نقتبس بعض التشريعات :

---
(١) من الإصحاح الحادى والعشرين .
(٢) من الإصحاح الثانى والعشرين .

— إذا كان فى رجل أو امرأة جان" أو تابعة" فإنه يقتل ، بالحجارة يرجمونه ، دمه عليه [١] .

— متى ولد بقر" أو غنم يكون سبعة أيام تحت أمـه ثم من اليوم الثامن فصاعداً يُرضى به قُرباناً وقوداً للرب [٢] .

— الأرض لا تبـاع ألْبَتَّة ، لأن لىَ الأرض وأنتم غربـاء ونزلاء عنـدى [٣] .

وفى سفر العدد — بالإضافة إلى العدّ والإحصـاء — توجد تشريعات حول نقاط كثيرة ، منهـا ما سمى بشريعة الغَيْرة واللّعـان والاعتراف . وقد ورد ذلك مفصـلا فى الإصحاح الخامس ، وسنتحدث عن موضوع الاعتراف فيمـا بعد ، وهناك تشريعات أخرى بهـذا السفر نقتبس منها مـا يـلى :

— من مسّ ميتاً ، ميتةَ إنسان مـا ، يكون نجساً سبعة أيام ، يتطهر فى اليوم الثالث وفى اليوم السـابع يكون طاهراً ، وإن لم يتطهر فى اليوم الثالث ففى اليوم السـابع لا يكون طاهراً ، هـذه هى الشريعة ، إذا مات إنسان فى خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجساً سبعة أيام ، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس [٤] .

— وكلّم موسى رءوس أسباط بنى إسرائيل قائلا : هـذا ما أمر به الرب ، إذا نذر رجل نذراً للرب ، أو أقسم قَسماً أن يُلزم نفسـه بلازم فلا ينقض كلامه ، حسب كل مـا خرج من فمه يفعل ، وأمـا المرأة إذا نذرت نذراً للرب ، والتزمت بلازم فى بيت أبيها فى صباها وسمع أبوهـا

(١) الاصحاح العشرين .
(٢) من الاصحاح الثانى والعشرين .
(٣) من الاصحاح الخامس والعشرين
(٤) من الاصحاح التاسع عشر .

نذرها . فإن سكت ثبت نذرهـــا ، وإن نهاها أبوها يوم سمعه لا تثبت . وإن كانت متزوجة فالزوج كالأب [١] .

وفى سفر التثنية تكرار للتشريعات والتعاليم التى وردت فى الأسفار السابقة بالإضافة إلى تشريعات أخرى استُحْدِثت فيه . وفيمــا يلى نماذج من تشريعات هــذا السفر .

ــ احفظ شهر أبيب واعمل فِصْحاً للرب إلهك لأنه فى شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلا ، فتذبح الفصْح للرب إلهك غنمــا وبقرا فى المكان الذى يختاره الرب ، ليحل اسمه فيــه ، لا تأكل عليه خميرا سبعة أيـــام . تأكل عليــه فطيراً خبز المشــقة . لأنك بعجلة خرجت من أرض مصر [٢] .

ــ لا يقوم شاهد واحدا على الإنسان فى ذنب مــا أو خطية مــا من جميع الخطايا التى يخطىء بهــا . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر [٣] .

نماذج لموضوعات عالجهــا التشريع اليهودى :

هــذا لون من ألوان التشريعات التى وردت فى أسفار موسى . وهناك تشريعات اجتماعية بالغــة الخطورة وردت فى التلمود ، وتشريعات سياسية مهمة وردت فى بروتوكولات حكماء صهيون ، وقد أوردنا عن هــذا وذاك دراسة ضافية فى الباب الســـابق ، ونريد الآن أن نورد نمـــاذج لبعض التشريعات المتصلة بمسائل مهمة كموقف اليهودية من المرأة . ومن الرق . والاعتراف ، ورأيهـــا فى الميراث ، والربا ، والمحرمات فى الزواج ، وغيرها وقد اعتمدنا فى تحقيق هــذه المسائل على المراجع اليهودية الدقيقـــة .

---

(١) من الاصحاح الثلاثين .
(٢) من الاصحاح السادس عشر .
(٣) الاصحاح التاسع عشر .

وسيمكننا بعرض هـذه المسائل أن نبرز المقارنة بين التشريعات فى اليهودية والتشريعات فى الإسلام .

الاعتراف والتطهير :

فى الفكر اليهودي تكثر الخطايا ، ففى كل شهوة من الشـهوات تكمن الخطيئـة ، فالخطيئة تدنس المخطئ ، والحيض والولادة كالخطيئـة يدنسـان المرأة ، ويتطلبان تطهيرا ذا مراسم وتقاليد وتضحية وصلاة على يد الكهنة ، والهبات والقرابين هى الوسيلة للتكفير عن الخطايا ، على أن تقدم للكهنة بعد الاعتراف الكامل بمـا ارتكب الإنسـان من إثم ، وعلى هـذا كان المجتمع اليهودى مجتمع خطايا ، ومجتمع تكفير وغفران فى نفس الوقت ، حتى أن التاجر كان ولا يزال يطفف الكيل ويغش فى الميزان ، ثم يحـاول التكفير عن ذنبه بالتضحية والصلاة [١] . وقد أورد سفر العـدد صورة مفصلة للمرأة التى تريد أن يُغْفَرَ لهـا وضرورة أن تذهب للكاهن لتعترف عنده بخطيئتها ، وذكر السـفر أن الكاهن يوقفهـا أمام الرب ويأخذ مـاء مقدساً فى إناء خزف ، ويتلو عليه ترانيم وأدعية ، ويطلب الكاهن من المرأة الاعتراف ، فإن رفضت سقاها من هـذا الماء الذى يسمى مـاء اللعنة ، وهددها بأن هـذا الماء إذا دخل أحشاءها وهى مذنبة لم تعترف ، ورم بطنها وسقط فخذهـا ... [٢] وإذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهرها بالقرابين والهبـات والأدعية [٣] .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٣ ص ٣٥٤ .

(٢) الاصحاح الخامس : الفقرة ١١ وما بعدها .

(٣) روى لى أحد العلماء الافاضل حادثة وثيقة الصلة بموضوعنا ، فقد ذكر له أحد اليهود الذين أسلموا حديثا انه رأى امرأة يهودية يخلو بهـا الكاهن للاعتراف والتطهير وخرجت المرأة من الخلوة مغفورا لها !! وثارت نفس اليهودى على هـذا الوضع وبخاصة أن الشك لعب به لمـا لاحظه من اضطراب على المرأة حين خروجها ، وصادف أن ذهب اليهودى فى نفس اليوم للعزاء فى أحد المسلمين ، فسمع القارئ يتلو قوله تعـالى « ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ » وقد دفعت هـذه المقارنة هذا اليهودى الى أن يدخل فى دين الاسلام .

الـــرق :

أباحت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء أو سبياً فى الحرب . فجعلت للعبرى أن يستعبد العبرى إذا افتقر ، فيبيع الفقيرُ نَفْسَه للغنى . أو يقدم المدينُ نفسه للدائن حتى يوفِّى له الثمن ، ويبقى عبداً له ست سنين ثم يتحرر . ففى سفر الخروج : إذا اشتريت عبداً عبرياً فستَّ سنين يخدم وفى السابعة يخرج حراً مجاناً . وإذا سرق العبرى ماشية وذبحهـا . أو أى شىء استهلكه ، ولم يكن فى يده مـا يعوِّض به صاحبه يبـاع السارق بسرقته كمـا نصت التوراة على ذلك فى سفر الخروج . وأباحت التوراة للعبرى أن يبيع بنتـه فتكون أمة للعبرى الذى يشتريها [١] .

أمـا الاسترقاق سبيا فى الحرب فهو أيسر ما يُنزله اليهود بأعدائهم وقد نصَّ العهد القديم على مـا يلى :

« حين تقرُب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصـلح ، فإن أجابتك إلى الصـلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيهـا يكون لك التسخير ويُستَعْبَد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعهـا الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحـدِّ السيف . وأمـا النساء والأطفال والبهائم وكل مـا فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك [٢] » .

الختـــان :

قلنا ــ عند الحديث عن الكهنة والقرابين ــ إن الختـان ارتبط عند اليهود بالقربان ، فقد كان الإنسان نفسه يقدِّم قرباناً من قبل . ثم اكتفت الآلهـة بجزء من الإنسان ، وذلك الجزء هو مـا يقتطع فى عملية الختان .

---

(١) سفر الخروج ٢١ : ٢ وما بعدها .

(٢) سفر التثنية الاصحاح العشرون وانظر كتـاب الاسلام للمؤلف ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

وقد كان الختان سُنّة شائعة عند المصريين الأقدمين ، ووُجِدَ عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التى تتعرض لهـا الأعضاء التناسلية . وقد اقتبسه اليهود من المصريين وجعلوه مرتبطا بالقرابين والضحايا التى تقدم للغفران وإرضـاء الآلهة .

وبمرور الزمن أصبح الختـان لدى اليهودى فريضة يحتمها الولاء للجنس . فعلى اليهودى أن يقوم بعملية الختـان ليبرهن على انه يهودى . وقبيل عهـد المكابيين كان الختان يُجْرَى للذكر والأنثى بصـورة بسيطة تمكّن الشخص من الادعاء بأنه غير مختون ليتقى عدوان غير اليهود عليه . فلما جاء المكابيون امر بكهنة ان تزال الغُلْفة عن آخرها حتى لا يحاول اليهودى الاندماج فى غير اليهود من الشعوب (١) .

الميراث (*) :

أول من يرث الميتَ ولَدَه الذكر ، وإذا تعـدد الذكور من الأولاد فللبكرى حظ اثنين من إخوته ، ولا فرق بين المولود بنكاح صحيح أو غير صحيح من الأولاد فى المواريث ، فيعطى لـكل منهم نصيبه بقطع النظر عن النكاح الذى ولد منـه ، ولا يحرم البكرى من امتيـازه بسبب كونه من نكاح غير شرعى ، أما البنات فمن لم تبلغ منهن الثانية عشرة فلهـا النفقة

---

(١) انظر قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٥ و ٣٧١ وانظر الهامش بهـذه الصـفحة .

(*) من بين مراجعنا فى الابحاث التالية ثلاثة مراجع فى منتهى الاهمية فى الاحكام العبرية » الذى الفه العالم الفرنسى « دى بفلى » وترجمه الى العربية القاضى المصرى الاستاذ محمد صبرى وأضاف له مقارنات بالشريعة الاسلامية وجعل عنوانه « المقارنات والمقابلات » وقد اعتمد المؤلف على كبار العلمـاء والمشرعين اليهود . وذكر عقب كل اقتباس مرجعه ، ونقل المترجم ذلك بكل دقة فى الترجمة العربية . امـا المرجع الثانى فهو « شعار الخضر فى الاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين » ومؤلفه اسمه « الياهو بشياصى » وقد ترجمه الى العربية من العبرية الاستاذ مراد فرج . والمرجع الثالث مجموعة من الابحاث عن اليهودية نشرها بالانجليزية (Arther Hertezberg) بعنوان (Judaism)

والتربية حتى تبلغ هـذه السن تماماً ، وليس لهـا شيء بعد ذلك [١] .

وإذا لم يكن للميت ولد" ذكَر" فميراثه لابن ابنه . وإذا لم يكن له ابن انتقل الميراث إلى البنت فأولادها وهكذا [٢] . ويرى القرّاءون أن يكون للبنت نصيب مع الولد . سهمان للولد وسهم للبنت [٣] . وإذا لم تكن له ذرية فميراثه لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت أبوه . وله كل التركة فإن لم يكن له أب" فجده ، وإذا لم يكن له أصـول انتقل الميراث إلى درجات الأقارب الفرعية من الذكور [٤] . وإذا لم يكن للميت وارث من فروع أو أصول أو حواش كانت أمواله مبـاحة يملكها أسبق الناس إلى حيازتها . وتظل وديعـة فى يد حائزها مدة ثلاث سنوات . فإذا لم يظهر للميت وارث خلالها صارت ملكاً تاماً لحائزها [٥] .

وعند اختلاف الدين يرث اليهودى أقاربه من غير اليهود ، ولا يرث الأقاربُ غيرُ اليهودِ اليهوديَّ [٦] .

النكاح وتعدُّد الزوجات :

السن المفروضة لصحة التزوج هى الثالثة عشرة للرجل والثانية عشرة للمرأة ، ولكن يجوز نكاح من بدت عليه علامات بلوغ الحلم قبل هـذه السن ، ومن بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة ، وتعدد الزوجات جائزة شرعاً بدون حدٍّ ، ولم يَرِدْ بالتوراة ولا أحكـام الأنبياء قبل **الإسلام نهى عن تعدد الزوجات ولا عن تحديد عددهن ، وعلى العكس من ذلك فقد ورد فى التوراة ما يفيد تعدد الزوجات للأنبياء ولغير الأنبياء [٧] .**

---

(١) المقارنات والمقابلات ص ٢٣٤ .
(٢) المقارنات والمقابلات ص ٢٥٠ .
(٣) شعار الخضر ص ٢٥٤ .
(٤) المقارنات والمقابلات ص ٢٥١ .
(٥) المقارنات والمقابلات ص ٢٥٢ .
(٦) انظر المرجع السابق ص ٢٦١ .
(٧) المقارنات والمقابلات ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

وحدد الربانيون الزوجات بأربع وأطلقــه القراءون [١] ، ويقول غوستاف لوبون : وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعاً كثيراً لدى بنى اسرائيل علــى الدوام ، وما كان القانون المدنى أو الشرعى ليعارضه [٢] .

وغير اليهــود يُعتبرون وثنيين فى نظر اليهــود ، ومن أجل هــذا لا يُجيزون زواج اليهودى أو اليهودية من غير اليهود [٣] .

وعن المحرمات للزواج تَمْتَنِع الديانة اليهودية أن يتزوج الرجل من كانت زوجة لعمــه ، ومن كانت زوجة لأخيه إذا أنجبت منه [٤] . ولا تجعل اليهوديةُ الرضاعةَ سبباً للتحريم [٥] ، وفيمــا يتعلق بزوجة الأخ المتوفى فقد نصت التوراة على أنه إذا لم يكن للمتوفى ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى ، بل يدخل عليها أخو زوجها ويتخذها لنفســه زوجة . والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت ، لئلا يمحى اسمه من اسرائيل [٦] . ولا يزال الربانيون يعملون بهــذا التشريع ، أمــا القراءون فيرون أن هــذا التشريع قد نسخ من زمن ولا يزال منسوخاً [٧] .

وبعض القرائين يحرّمون امرأة زوج الأخت ، فإذا تزوج زوجُ الأخت زوجة أخرى ثم طلقهــا أو مات عنها فإنها تكون محرمة على إخوة ضرتها ، وبعضهم يجعل الزوج والزوجة كشخص واد ويُجْرُون التحريم على هــذا الأساس ، ومعنى هــذا أنه يحرم على الزوجة مــا يحرم على زوجها لو قدّر زوجها امرأة ، أى أنهــا يحرم عليها أخوه وعمــه وخاله وابنــه [٨] .

---

(١) شعار الخضر ص ٨٣ .
(٢) اليهود فى الحضارات الاولى ص ٥٠ .
(٣) المقارنات والمقابلات ص ٣٧٢ .
(٤) المقارنات والمقابلات ص ٣٧٤ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٧٦ .
(٦) التثنية ٢٥ : ٥ — ٦ .
(٧) شعار الخضر ص ١٨٠ .
(٨) شعار الخضر ص ٢٨ و ٣٢ .

المرأة :

يقول بابا بتره : مـا أسعد من رزقه الله ذكوراً . ومـا أسـوأ حظ من لم يُرزق بغير الإناث ، نعم لا يُنكر لزوم الإناث للتناسل إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء ، فالجلد والعطر كلاهمـا لازم للناس إلا أن النفس تميل إلى رائحـة العطر الزكية ، وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يقاس الجلد بالعطر [1] ؟

وقد ورد بالعهـد القديم عن المرأة مـا يلى :

« درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنهـا جنون ، فوجدت أمرُ من الموت المرأة التى هى شباك وقلبها أشراك ، ويداها قيود [2] .

والزواج فى اليهودية صفقة شراء تُعدُّ المرأة به مملوكة ، تشـترى من أبيهـا فيكون زوجها سيدها المطلق [3] ، ويتم الزواج إذا باركه أحد الكهنة « ربّى » [أى أستاذ] ، وقدّم الرجل للمرأة خاتماً أو هدية أخرى لهـا قيمة فى حضـور شاهدين على الأقل ، ويعتبر ذلك عقداً ، وإذا حضر العقد عشرة رجال فأكثر ، أُتبـع العقد بصلوات وأدعية يشترك فيهـا الجميع [4] ، ومن تقاليد الفكر اليهـودى أن الرجل إذا تزوج لا يلتحق بالجيش ، ولا يرتبط بأعمـال تبعده عن زوجتـه مدة عام ، فشهر العسل فى الفكر اليهودى عام كامل [5] .

والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبى والمجنون ، لا يجوز لهـا البيع

---

(١) المقارنات والمقابلات ص ٢٨٧ .
(٢) سفر الجامعة : الاصحاح السابع : الفقرتان ٢٥ — ٢٦ .
(٣) غوستاف لوبون : اليهود فى الحضارات الاولى ص ٥٢ .
(٤) Judaism p. 84.
(٥) Ibid p. 76.

ولا الشراء [١] وينص الفكر اليهودى على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها ، وليس لهـا سوى ما فُرِض لهـا من مؤخر الصـداق فى عقد الزواج تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق منـه ، وعلى هـذا فكل مادخلت به من مال ، وكل مـا تلتقطه وتكسبه من سعى وعمل ، وكل ما يُهْدَى إليها فى عرسها . ملك حلال لزوجهـا ، يتصرف فيه كيف شاء بدون معـارض ولا منـازع .

وبالنسبة لكثرة مـا شوهد من وقوع الشقاق والفرقة بين الأزواج ، فقد استقرَّ رأى السـادة (الأرباب) على وجوب الأخذ بمشروع « وقف الزوجية » ومعنى وقف الزوجية أن توقف أموال الزوجة ، ويصير الزوج قيماً عليهـا ، يستغلها ، دون أن يبيعها أو يرهنها ، فتصبح الزوجـة بذلك مالكة لرقبة الأموال ، والزوجُ مالكا للمنفعة ، فإذا حصلت الفرقة عادت الثروة للزوجة [٢] .

وعلى الزوجة مهما بلغت ثروتها ومكانتها أن تقوم بالأعمـال اللازمة لبيتهـا ، صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة [٣] ، ويحـدد Arthur Hertzberg دور المرأة فى أعمـال المنزل فيقول : إن على المرأة أن تطحن الحبوب ، وتخبز ، وتغسل الملابس ، وتطبخ ، وترضع ولدها ، وتنظف البيت وتنظمه ، وتغزل وتخيط الثياب ، ولكنهـا إن أحضرت معهـا خادما تابعاً لهـا من بيت أبيهـا فإنها تعفى من الطحن والخبز والغسيل ، وإن أحضرت خادمين معهـا أعفيت من المطبخ والرضاعة ، وإذا أحضرت ثلاثة فإنها تعفى من تنظيف البيت وتنظيمه ، واذا أحضرت أربعـة فإنها تعفى من كل الأعمال لكن ربى Eliezer يقول : إن الزوجة إذا أحضرت معهـا مائة خادم ، فإنها لا تعفى من الغزل ، ولزوجهـا أن يرغمهـا عليه ، لأن البطـالة تقود للفسـاد [٤] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٤ .
(٢) المقارنات ص ٤٠١ — ٤٠٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ .
(٤) Judaism p. 77

ولا ترث المرأة زوجها . وكل ما لها بعد موته هو مؤخر الصداق . أما باقى ثروتها فقد آل كما قلنا آنفا إلى زوجها ومنه إلى ورثته . وإذا أخذت مؤخر صداقها مضت إلى حال سبيلها . أما إذا لم تطالب به فلها أن تعيش مع الورثة من مال التركة [١] .

بعض الواجبات الدينية

يقرر Hosmer أن الواجبات الدينية عند اليهود كانت تشغل قدرا كبيرا من وقتهم ونشاطهم [٢] . وسنقتبس عنا بعض صورٍ من هذه الواجبات الدينية .

زيارة بيت المقدس :

كان يتحتم على كل يهودى ذكَرٍ رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين فى العام . وأن يبقى به أسبوعا كل مرة . ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة . وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون . ويقودها الكهنة واللاويون . وقد قُصد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود أيا كانت مناطقهم أن يتعارفوا ويتَّحدوا [٣] .

الأعياد :

تكثر الأعياد عند اليهود كثرة بالغة ، ومنها ما يتصل بالأحداث التاريخية . ومنها ما يتصل بمواسم الزراعة والحصاد ، ومنها ما يتصل بالهلال أو التوبة والتكفير عن الذنوب : وقد وردت أكثر هذه الأعياد فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين ، وسنذكر هنا بعضاً من أهم هذه الأعياد :

---

(١) شعار الخضر ص ١٦٣ .
(٢) The Jews p. 83.
(٣) Ibid pp. 83-84 and Judaism p. 112.

عيد الفصح Passover :

هـذا العيد هو يوم الذكرى لخروج اسرائيل من مصر ومن العبودية التى كانوا يخضعون لهـا ، ويقول علماء اليهود إن هـذه الذكرى لا يمكن أن تنسى فقد جاء الرب بنفسه — دون أن يكتفى بملائكته — وقاد شعبه وأخرجهم من إطار العبودية ؛ وكان خروجهم سريعاً فلم يعدّوا خبزهم كالعادة ، وإنما أعدّوه فطيراً دون أن يختمر ، وعلى هـذا ففى خلال عيد الفصح الذى يستغرق الأسبوع الثالث من شهر أبيب (نيسان = إبريل) من اليوم الرابع عشر مساء إلى اليوم الحـادى والعشرين مساء يكون طعام اليهود خبزاً غير مختمر ويبدأ اليوم الأول من هـذا الأسبوع بحفل مقدس ويختم الأسبوع بحفل مقدس أيضاً ، وفى هذين الحفلين تتلى أدعية وتقام صلاة وتحرق القرابين [١] .

الهـلال الجديد :

يلقى الاحتفال بالهلال الجديد عناية كبيرة فى الفكر اليهودى ، وكان يسمى عيد النفير لأن الأبواق كانت تستعمل فى الإعلام بظهوره ، وكان الناس يتبارون فى مراقبة الهلال ومحاولة السبق فى رؤياه ، وكان الذى يراه أولا يسـارع إلى بيت المقدس ليخبر بذلك الكهنة والرؤساء ، وأحياناً كان يقام سباق بين الذين شاهدوا الهلال وكل منهم يحـاول أن يكون له قصب السبق ، وينفخ فى الأبواق إعلاناً بالشهر الجديد وتشعل النيران على جبال الزيتون ، وعندما يراها سكان التلال البعيدة يشعلون هم أيضـاً النيران على تلالهم [٢] .

---

(١) Judaism pp. 113-114. وسفر الخروج ١٢ : ١٥ — ٢٠ ولاويون ٢٣ : ٤ — ٨ .

(٢) Hosmer : The Jews p. 8 ..

السـبت :

يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود . التى تجب مراعاة حرمتها مراعاةتامة ، فلا يجوز ليهودى الاشتغال فيه . ومن خالف حرمة هـذا اليوم ودنسه بالاشتغال فيه يكون قد ارتكب جرماً عظيما .

ولم يكن عند اليهود خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبت إلا عبادة الأوثان [١] . والسبت هو « شبات Shabbath » فى العبرانية بمعنى راحة . لأنه يوم الرب . فيه استراح . وأمر عباده بالاستراحة فيه وباركها . وقد أمرت الوصية الرابعـة بمراعاة حفظ يوم السبت وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك [٢] . ويضـع المفكرون اليهود هذا الموضوع فى صورة يرفضها الفكر الإسلامى . فيقول Arthur Hertzberg : إن الإنسـان نِدٌ له وشريك له فى خلق الكون، فالله عمل ثم استراح والإنسان يعمل دوره فى الخلق ثم عليـه أن يستريح . وقد أوصت أسـفار موسى بذلك ، وحتمت التفرغ تماماً عن العمل يوم السبت . وأبرز الأنبياء أهمية الراحة يوم السـبت وجعلوه مصدراً للروحانيات وللتشبه بالله الذى هو غاية مـا يتمنى [٣] ، ولعل تسمية هذا اليوم بل لعل المـادة نفسها قد جاءت من البابليين ، فقد كان هؤلاء يطلقون على أيام الصـوم وأيام الدعاء « شَبَتو » [٤] ومما ورد عن يوم السبت فى الكتاب المقدس النص التالى : تحفظون السبت لأنه مقدس لكم ، مَنْ دنسه يقتل قتلا ، إن كل من صـنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ، ستة أيام يُصنع عمل أمـا اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السـابع استراح وتنفس [٥] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٥٣٧ .
(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ١١٩ .
(٣) Judaism p. 101.
(٤) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٧٣ .
(٥) خروج ٣١ : ١٤ — ١٧ .

يوم التكفير :

هو يوم فى العـام يحاول فيه اليهودى أن يعبد الله ، لا كإنسان بل كملاك ، والملاك لا يأكل ولا يشرب ويمضى وقتـه كله فى العبادة وتعظيم الله ، فعلى اليهودى أن يعيش هـذا اليوم كمـا تعيش الملائكة فى صـوم جادّ وعبادة دائمة ، وهـذا اليوم يُسبَق بتسعة أيام تسمى أيام التوبة ، حيث يتطهّر اليهودى خلالها تطهيراً يكفل له النقـاء خلال العام القـادم ، وفى اليوم العاشر يوم الصـوم والعبادة تكمل طهـارة اليهود وتغفر لهم سيئاتهم عن الماضى ويُعدّون لاستقبال عام جديد ، وتقع هـذه الأيام فى الشهر السـابع من شهور السنة اليهودية [1] .

عيد المظلات :

فى شهر أكتوبر (تشرين الأول) يحتفل اليهود فى العالم بعيد المظلات أو عيد الخيام ، وفى هـذا العيد يذهبون إلى المعبد حاملين السعف وأغصان الأشجار ، وفى الطريق إلى المعبد يقيمون الخيام ، أو أكواخا من القش يمضون بهـا عدة أيام رمزاً للتاريخ الطويل الذى مر بهم وهم ضِياع ؛ ليس لهم بيوت ثابتة حيث كانت مساكنهم من الأغصان وسعف النخيل ، وهم يذهبون إلى المعبد لشكر الرب أن أنهى عنهم حياة المكابدة والتطواف ، ومنحهم الاستقرار ، ويمتد هـذا العيد مدة عشرة أيام ، ويكون اليومان الأخيران حافلين بالبهجة والرقص والشراب والبخور .

---

(1) Judaism pp. 131-132.



الباب السادس

اليهود في الظلام



لعب اليهود فى الخفاء دوراً ضخماً لتحقيق أهدافهم لا يقل عن الدور الذى لعبوه فى العلانية ، وقد اتسع نطـاق هذا الدور فشمل التـآمر والاغتيال ، وشمل التجسس وإشعال الثورات وغيرها من ضروب الغدر . وفى هـذا الباب سنذكر الخطوط العريضة لهـذه الأحداث الجسام :

الإثارة وبث الفتن :

يقرر الباحثون أن الدور الذى قـام به اليهود فى بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية وإثارة الحركات الهدامة عظيم جداً ومؤكد جداً ؛ فهم دعاة الثورة وقادة التقويض ، وعنهم يقول الكـاتب العظيم برنارد لازار : « اليهودى يضطرم بروح ثورى ، وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أو لم يشعر » ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود ؛ أنه تظهر دائما فى هـذه الحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية [١] .

ويعترف اليهود بذلك ، فقد ورد فى مجلة الجامعة الإسرائيلية نص خطير بهـذا الشأن ، اقتطفه Lenis Daste ووضـعه على غلاف كتاب عن « اليهود والجمعيات السرية » وفيمـا يلى هذا النص :

نصـادف فى كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريبـا عملا يهوديا ، سـواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سريا ، وعلى هـذا فإن التاريخ اليهودى يمتد بامتداد التاريخ العالمى بجميع مجالاته ، حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس [٢] .

وقد رأينـا من قبل أن كثيرين من اليهود لم يرحبوا بالفرصة التى أتاحها لهم قورش للعودة لفلسطين ، وآثروا البقـاء فى فارس وفى أرض

---

(١) محمد عبد الله عنـان : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص ١١٦ — ١١٧ بتقديم وتأخير .

(٢) الجامعة الاسرائيلية ٢٦ يوليو سنة ١٩٠٧ ص ٥٨٥ و « اليهـود والجمعيات السرية » تأليف Louis Daste (صفحة الغلاف الامامية) .

بابل لينعموا هناك بالغنى والجـاه ، وفى تلك المنطقة نفث اليهود سمومهم . ولما جاء الإسلام عـاداه اليهود . ووقف كذلك فى وجهـه قادة الفرس وأمراؤهم . فكان ذلك فرصة لهؤلاء وأولئك ليتعاونوا للوقوف فى وجـه الإسلام وإثارة الشغب والفتن فى الربوع الإسلامية . ومن هنـا كانت فارس مركزاً متسعاً لكثير من الحركات الهدامة التى عبت فى المـاضى فى وجـه الإسلام . كالقرامطة والبـابية والبهائية والشيعة الغلاة أو الذين أسميناهم « مدعى التشيع » ....

وفى حالات كثيرة هاجر اليهود من فلسطين إلى أوربا . وحملوا معهم بذور الدهاء للعمل فى الخفاء ، ويقرر علمـاء الغرب أن حركات الهـدم التى اجتاحت أوربا واشتعلت بها مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر للجهود السرية التى يقـال إن اليهود يبذلونها منـذ ظهور النصرانية والإسلام فى سبيل عدمها انتقاماً لدينهم [1] ؛ ويرى بعض المفكرين المسلمين هـذا الرأى فيمـا يتعلق بدعوات الهدم ضد الإسلام ، ولا سيما دعوة عبد الله ابن ميمون التى أسفرت عن انفجار أعظم حركات هادمة عرفها الإسلام ، فيقولون إن اليهود هم الذين نظموا مقاومة الإسلام منـذ ظهوره وحشدوا الدعاة لإفسـاد تعاليمه ، وإن ميمون بن ديصان وولده عبد الله كانا يعملان على بث مبادئهـا السرية فى الإلحـاد والهدم بتحريض وتعضيد من الدعـاة اليهود [2] .

وممـا يذكره التاريخ من محاولات الإثارة والهـدم ما قام به اليهود فى المدينة إذ عمدوا إلى محاولة إحياء الأحقاد والضغائن الكـامنة فى نفوس الأوس والخزرج وقد ظهرت لهم بوادر النجاح لولا أن تداركت عين الله مجتمع المسلمين ، فتدخل الرسول وأعاد للقوم رشدهم ونزل قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنو إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » [3] .

---

(١) المرجع السابق ص ٧١ .
(٢) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير ج ٢ ص ٩ .
(٣) سورة آل عمران اية ١٠٠ .

وعمد اليهود كذلك إلى التشكيك وإثارة الشبهات ليضعفوا الإيمان فى نفوس المسلمين وليزعزعوا ثقتهم فى الإسلام ، وقد نزل فيهم قوله تعالى : « ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم » (١) وقوله : « ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ، يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ؟ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٢) .

ويسير يهود اليوم على نهج أسلافهم فى التشكيك ، ومن أبشع ما عمدوا إليه فى ذلك تحريف المصحف ومحاولة نشره محرفاً ، وكذلك تحريف السنة المحمدية ، ولولا أن فطن المسلمون لذلك لأمكن أن يكون لهذا الفعل نتائج بالغة الغاية فى السوء .

ويربط بعض الباحثين معظم الثورات الكبرى فى العالم باليهود ، فأنى عاش اليهود وجدت الإثارة فالثورة ، حصل ذلك فى الشرق والغرب على السواء ، ورأيناه أحياناً يتم باسم الرأسمالية لتضرب الحركات الشيوعية ، وباسم الشيوعية لتضرب الاتجاهات الرأسمالية ، فهدف اليهود الثورة والتدمير على كل حال ، تدمير هذا الاتجاه وذاك الاتجاه .

تلك لمحة سريعة عن دَوْر اليهود فى الإثارة وبث الفتن وتسميم الأفكار ، ونضيف إلى ذلك أن اليهود لم يكتفوا بالأفكار يسمّمونها ، بل عمدوا إلى تسميم الأجسام ما وسعتهم الحيلة ، وقد عرف تاريخهم تسميم الآبار ، ولا يستبعد المفكرون أن يضع اليهود مقادير ضئيلة من المواد التى تضر بالصحة فى الأدوية والمشروبات الروحية ، بل فى الدقيق ومنتجاته وغيرها من المواد التى يصدّرونها بطريق مباشر أو غير مباشر للشعوب غير الصديقة إن لم يكن للشعوب جميعاً .

---

(١) سورة البقرة ١٠٩ .
(٢) سورة آل عمران الايات ٦٩ — ٧١ .

خلف وسائل الإعلام :

قلنا عند الحديث عن « بروتوكولات حكماء صهيون » إن اليهود يهتمون بالسيطرة على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام ، حتى لا يتسرب إلى الرأى العام العالمى إلا ما يريده اليهود ، وقد استطاع اليهود أن يحققوا هذا الهدف إلى حد كبير ، فقد ثبت فى الإحصاء الذى أجرى سنة ١٩٥٦ الخاص بالصحافة ، أن اليهود يصدرون ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات وفى مختلف الأقطار . وهو عدد يمثل الأغلبية العظمى من صحف العالم ومجلاته • ولليهود مثل هذا التفوق فى وسائل الإعلام الأخرى كدور النشر . ووكالات الأنباء . بل فى السينما والإذاعة والتليفزيون فى معظم بلاد العالم ، ويسيطر اليهود على الصحافة والنشر بطريق آخر هو طريق احتكار تجارة الورق ، فهم يقبضون أيديهم ويبسطونها حسب استجابة الصحافة لأغراضهم ، ويتسرب بعض الكتاب من أتباعهم إلى الصحف التى لا تخضع لهم تمام الخضوع ، وإذا حدث أن صحفياً عُرف بمعارضة اتجاهاتهم وضعوا العراقيل أمامه حتى يفقد وظيفته أو يخضع لا تجاهاتهم •

فاحتكار اليهود متكامل الحلقات ، فهم يسعون إلى احتكار ما يسيطر على معدة الإنسان ، ويسعون كذلك إلى احتكار ما يسيطر على عقله وعواطفه ، لذلك كان احتكار الصحافة وشركات الأنباء ودور النشر من الخطوات الأساسية فى هذا السبيل ، فمن طريق هذه الرسائل ينشر اليهود ما يناسب صالحهم ويمنعون من النشر كل ما يعارض ذلك الصالح [1] •

وقد حدث أمامى حادث وثيق الصلة بهذا الموضوع ، فمنذ بضع سنوات تقابلت مع أحد الأساتذة فى إحدى دور النشر ، وكان الأستاذ ينشر كتاباً بالإنجليزية عن المسيح ، وسألنى الأستاذ رأيى فى نقاط الكتاب ، فأبديت

---

(١) دكتور محمد عبد المعز نصر : الصهيونية فى المجال الدولى ص ٨٤ .

رأيى . فارتضاه الأستاذ وطلب منى أن أكتبه ، ففعلت ، ودفع الأستاذ برأيى إلى المطبعة ، وبعد فترة تقابلت مع المؤلف فاعتذر لى بأنه لا يستطيع نشر رأيى ، وعلل ذلك بأن هـذا الرأى ضد اليهود ، وهم الذين سيتولون نشر الكتاب حيث القراء الإنجليز ، ومثل هـذا الرأى يجعلهم يَقْضون على الكتاب بالكساد . وهكذا يحقق اليهود أكبر نصر فى هـذا الميدان ، **وهم يقولون بصلف وكبرياء .**

ـ إن الصحافة قد انتهت إلى الوقوع تحت سيطرتنا عـدا شواذ قليلة منهـا يمكن تجاهلها بارتياح .

ـ اكتسبنا عن طريق الصحافة قوى ذات نفـوذ فى الوقت الذى احتجبنا فيه وراء الظلال .

ـ لقد سيطرنا على وكالات الأنباء المهمة فى العالم ، فلن يصل إعلان واحد للجمهور دون رقابتنا وسننشر مـا نريد نشره لصالحنا ، ولن ننشر ما يتعارض مع اتجاهنا وآمالنا [1] .

ومن الوسـائل التى يختفى خلفهـا اليهود نجوم السينما والمسرح والفنانون بوجه عام ، ويستطيع اليهود عن طريقهم ، أن يقدموا للعـالم أفلاماً وروايات بهـا بذور صهيونية وحقائق مسمومة يتلقاها المشاهدون وهم فى غمرة البهجة ، فتصـل إلى عقول الكثيرين منهم دون مقاومة تذكر .

التجسس :

كان التجسس ولا يزال وسيلة مهمة لليهود . يحصـلون عن طريقه على أسرار الدول والجماعات ليستغلوا هـذه الأسرار فى خدمة مصالحهم ، وفى إيقـاف تطور أعدائهم أو تدمير هـذا التطور . فقد عرَفت المسيحية منذ عهدها المبكر ، تجسس اليهود على قادتها وعلى أفكارها ، وكان من بين

(١) جون سكوت : الحكومة السرية فى بريطانيا ص ٨٠ .

الحواريين من عمل جاسوساً لحساب اليهود . فقد ذكرت الأناجيل الأربعة أن يهوذا الإسخريوطى عمل جاسوساً لليهود وساومهم على تسليم عيسى نظير ثلاثين من الفضة ، ولما قبضها قاد جماعة من اليهود للقبض على عيسى حيث كان مختفياً . وقد جاء فى إنجيل متى عن ذلك ما يلى : حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال : ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم ، فجعلوا له ثلاثين من الفضة : ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه [1] .... وبعد مدة اصطحب جمعاً معهم سيوف وعصى من قبل رؤساء الكهنة . وسار إلى حيث كان يختبىء عيسى واتفق مع هؤلاء على علامة يعرفون بها عيسى قائلا الذى أقبله هو هو أمسكوه ، وتقدم يهوذا نحو يسوع وقال السلام يا سيد وقبّله . حينئذ تقدم اليهود وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه [2] .

وفى مطلع الإسلام اتخذ اليهود التجسس وسيلتهم لينالوا من الإسلام ، فقد ادعى بعض اليهود دخول الإسلام ولكنهم كانوا فى حقيقة الأمر منافقين ، ومن هؤلاء داعس وسعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ورافع بن حريملة وغيرهم ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن رافع يوم مات « اليوم مات منافق عظيم » وكان هؤلاء يتخذون المسجد وحلقات العلم مجلساً لهم ليتسقطوا أخبار المسلمين وليطلعوا على تنظيماتهم . لينقلوا ذلك إلى اليهود وإلى حلفائهم المشركين ، ولكن المسلمين شكّوا فى تهجدهم وفى افتعالهم التقوى ، فراقبوهم حتى ظهر منهم ما ينقل هذا الشك إلى اليقين ، فانقضّ المسلمون عليهم وأخرجوهم من المساجد معلنين للملأ نفاقهم [3] .

---

(١) الاصحاح ٢٦ : ١٤ — ١٦ .
(٢) نفس الاصحاح : ٤٨ — ٢٠ .
(٣) ابن هشام جـ ٢ ص ١٦ وما بعدها ، وانظر تاريخ العرب قبل الاسلام ، للدكتور جواد على جـ ٦ ص ١٣٤ — ١٣٥ .

وظل التجسس دأبهم فى كل قطر أقاموا به ، كانوا جواسيس الحلفاء فى ألمانيا . وكانوا جواسيس الغرب فى روسيا . وهم لا يزالون حتى الآن يزاولون حرفة التجسس فى كل مكان نزلوا فيه . ففى كندا اكتشفت حلقة تجسس خطيرة سنة ١٩٤٥ كان اليهود يتزعمونها ، وكان من بين الجواسيس عضو فى البرلمان الكندى وأستاذ فى جامعة ماك دل [١] .

أما تجسس اليهود فى البلاد العربية ، فلا تنقطع خيوطه ، وهو يسير على أشده وتتوالى حلقاته ، ويشترك فيها الرجال ، والنساء الحسان ، ويدرب الجواسيس تدريباً كاملا على استعمال الأجهزة والآلات الخاصة بالاستقبال والإرسال ، وكذلك على فنون التصوير والكتابة غير المرئية ، وإعادة الكتابة إلى الرؤية ، واستعمال المتفجرات وإرسالها داخل مظاريف ، وغير ذلك من الفنون . والجواسيس على صلة وثيقة بمراكز التجسس بإيطاليا وغيرها من دول أوربا ، وقد استطاع الجواسيس أحياناً أن يضللوا بعض مرضى النفوس من الشعب العربى ليعاونوهم وليمدوهم بما تحت أيديهم من أسرار ليبعث بها الجواسيس إلى اسرائيل ، وهذه الكلمات تكتب بضحية المعادى ودماء الأبرياء تسيل بهذه الضاحية نتيجة لظروف انفجر فى وجه عامل فى مكتب البريد ، فشوه وجهه وأفقده البصر إلى الأبد . وقد انكشف أمر الجاسوس الألمانى اليهودى الذى ارتكب هذه الفعلة النكراء . وقد اعترف الجاسوس الأثيم كما اعترف سواه قبله بما ارتكبوا من آثام .

التستر خلف أديان أخرى :

قلنا فى السطور السابقة إن بعض اليهود تظاهروا بالدخول فى بعض الأديان ليتمكنوا من التقاط أخبار أتباعها ، والتعرف على خططهم لينقلوها إلى اليهود ، ونحن الآن نتكلم عن طريق آخر من طرق استغلال اليهود للأديان ذلك هو التظاهر بالدخول فى دين — لا لينقلوا الأخبار — بل ليعملوا وهم فى ظل الدين الجديد ما يخدم أغراض دينهم الأصيل وهو اليهودية

---

(1) Franit Briton : Behind Communism pp. 145-146.

وتبعاً لهـذا المبدأ دخل اليهود أكثر الديانات المعروفة . دخلوا البوذية والمسيحية والإسلام ، وهى الأديان الثلاثة الغالبة فى العـالم من حيث العدد ومن حيث المكانة ، وأخذوا يعملون لصالح اليهود . ففى نطاق البوذية أبرزت لى تجاربى الخاصة أن عدداً ممن يعتنقونها من رجال الشرق الأقصى يعملون لصـالح « اسرائيل » بنفس الإخلاص والحماسة التى يعمل بها أى يهودى . وقد راعني فى مبـدأ حياتى بالشرق الأقصى أن وجدت بعض سفارات هـذه البلاد بإندونيسيا تخدم قضية اسرائيل بنشاط بالغ الحد ، حتى لقد كنا نقول إنه ليس لهـذه البلاد فى هذا المبنى سوى اللوحة المثبتة على الباب . أمـا أكثر النشـاط المنبعث من داخل المبنى فيخدم قضـية اسرائيل . وقد خف عجبنا عندما عرفنا أنه من كبـار موظفى هذه السفارة ، بل من كبار حكومة هذه البلاد بوذيون من أصل يهودى . أو بوذيون اتخذوا زوجات يهوديات أو زوجات بوذيات تجرى فى عروقهن الدماء اليهودية .

وقد استطاع كثير من هؤلاء البوذيين ذوى الدم اليهودى أن يصلوا إلى أرقى المناصب الدينية والدنية . حتى ارتكبت الكهانة أن تكون وقفـاً عليهـم .

وإذا ذهبنـا إلى المسيحية وقفنا أمـا شاءول « بولس » اليهودى الفريسى الذى دخل المسيحية وأحدث بهـا أحداثا خطيرة . فنقلها من ديانة خاصة ببنى اسرائيل الى ديـانة عالمية . ونقلها من التوحيـد إلى التثليث ، وقال بألوهية المسيح ، وألوهية روح القدس . واخترع قصـة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر ... بولس الذى طمس الديانة ، لـماذا ؟ ليثأر لدينه ، فهو قد تظـاهر بالدخول فى المسيحية ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير ، متعاوناً فى ذلك مع أبناء دينه اليهود فى القضـاء عليها [١] **والعجيب أن اليهود فيما بعد استطاعوا أن يخدعوا المسيحيين حتى ثبتوا لهم أن افكار بولس تمثل المسيحية ، وهى فى الحق بعيدة كل البعد عن المسيحية الحقة وعن الأناجيل .**

---

(١) انظر كتاب المسيحية للمؤلف ص ٨٨ — ٨٩ .

أمّا فى الإسلام فيصادفنا عدد من اليهود دخلوه ليدمّروه . وفى مقدمة من هؤلاء عبد الله بن سبأ وهو الشخص الذى نقل الثورة ضد عثمان من الكلام إلى العمل [١] . وقد قلت عنه فى مكان آخر إنه لم يكن مخلصاً فى حركته ، وكان يهوديا ادعى أنه دخل الإسلام ، ولم يكن يضمر للإسلام ولا للمسلمين خيراً ، فانتهز فرصة صورٍ من النقد وُجّهت لسياسة عثمان ، وأشعل الفتنة وأنزل بالعالم الإسلامى ناراً ظلت متأججة عشرات السنين ، أو مئات السنين . وبالإضافة إلى موقفه ضد عثمان ، ذلك الموقف الذى انتهى بقتل الخليفة ، تجده يدفع بنظريات فارسية يحشرها حشراً فى الفكر الإسلامى ، فهو الذى نشر مذهب الوصاية ووضع الأحاديث ليدعم بها رأيه ، كما أشاع نظرية الحق الإلهى . وغير ذلك مما يجعله بحق زعيم الفتن السياسية والدينية فى الإسلام [٢] .

ولا تزال هذه حال اليهود حتى العهد الحاضر . يدفعون ببعض أسرهم أو ببعض أفرادهم ليدخلوا هذا الدين أو ذاك . ويغيّر هؤلاء أسماءهم وينتقلون من بلد إلى بلد ويتعمقون فى دراسة الدين الجديد ، ويأتى وقت عليهم لا يعرف الناس حولهم عن ماضيهم شيئا ، وحينئذ يحاول هؤلاء أن يخدموا اليهودية دون أن يكونوا موضع اتهام [٣] ، ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من الكرادلة فى الفاتيكان ينحدر من أصل يهودى ، وقد دفعتهم الأغراض اليهودية لاتخاذ بعض قراراتهم : كقرار تبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن أبرز اليهود الذين اعتنقوا المسيحية فى العصر الحديث دزرائيلى الذى ولد فى مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٤ — ١٨٨١) ، من أب يهودى وأم يهودية ، وقد بدت عليه علامات النجابة والنبوغ منذ صباه ، فلما

---

(١) Browne : A Literary History of Persia p. 220

(٢) انظر ما كتبناه عنه فى الجزء الاول من موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ص ٣٢٦ وما بعدها من الطبعة السادسة .

(٣) انظر البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون أنظر هامش المترجم ، ص ١٦١ و ١٦٦ .

مات أبوه سنة ١٨١٦ رئى أن يدخل الصبى المسيحية فعمّد فى كنيسة فى إنجلترا سنة ١٨١٧ ، وأتاح له هــذا أن يتغلغل فى المجتمع الإنجليزى ويصبح نجما لامعاً فى الصالونات الاجتماعية ، ثم دخل ميدان السياسة فبرز فيه ، وفى سنة ١٨٣٧ دخل البرلمان الانجليزى ، وفى سنة ١٨٤٧ أصبح زعيما لحزب المحافظين ، وفى سنة ١٨٧٤ أصبح رئيسا لمجلس الوزراء البريطانى ؛ وبهــذا وصل قمة السياسة العالمية ، واستمر فى هــذا المنصب ست سنوات ، وينسب له أنه أقْدَمُ مَنْ عمل لإقامة اسرائيل فى العصر الحديث ، فقد اشترى لانجلترا نصيب مصر من أسهم قناة السويس ، فثبّت بذلك أقدام بلاده لتحرس الوطن الذى كان قد فكّر فى إقامته لبنى دينه ، ثم خطا خطوة أخرى لخدمة اليهود ، فساعد بعض المسيحيين أو اليهود الذين دخلوا المسيحية على شراء بعض الضياع فى فلسطين ، فخط بذلك الخط الأول لإقامة وطن قومى لليهود بهــذه البقعة المقدسة .

التآمر والاغتيال :

التآمر والاغتيال طبيعة فى اليهود لم تتخلف فى كل عصورهم . وقد شهدناها ضــد يوسف من إخوته ، وتحدث القرآن الكريم عن هذه الطبيعة فى اليهود فذكر أنهم « كلمــا جاءهم رسول بمــا لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون [1] » .

وعندما جاءت المسيحية اتجه التآمر والاغتيال تجاه الجماعة الجديدة ، وكان المسيح نفسه — فى رأيهم — ضحيةً من ضحايا اليهود ، وقد نزل بكثيرين من أتباعه فى عهده وبعده مثل مــا نزل به ؛ فقد جاء فى كتــاب « سدر حادوروث » مــا يلى :

الحاخام الربانى يهوذا كان محبوباً لدى الإمبراطور الرومــانى ، فذكر له عن الناصريين أنهم سبب وجــود الأمراض المعدية ، وبنــاء على

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٠ .

ذلك تحصل على الأمر بقتل كل هؤلاء الناصريين ، الذين كانوا يسكنون روما في فترة تعادل تقريبا سنة ١٥٥م ، وجاء في الكتاب نفسه بعد هذه العبارة أن الإمبراطور « مارك أوريل » قتل جميع الناصريين بناء على إيعاز اليهود . وفي كتاب سفر يوكاسين أنه في زمن البابا « أكليمان » قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر ، وكان اليهود محبوبين عند الامبراطور نيرون [١] ، ويبدو أنه بإيعازهم ألقى نيرون المسيحيين للوحوش الضارية ، تنهش أجسامهم . وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار . وأشعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التي كان يقيمها في حدائق قصره [٢] .

وجاء الإسلام فبدأ تآمر اليهود مبكراً ضد هذا الدين ، فلقد حاولوا اغتيال محمد بعدة طرق . كان منها أن وضعت امرأة يهودية له السم في طعام دعته إليه ، وذهب مرة إلى مساكن بنى النضير يطلب منهم — بناء على المعاهدة التي كانت بينه وبينهم — أن يسهموا مع المسلمين في دفع دية التزموا بها فتظاهر اليهود بحسن استقباله ، وقالوا له : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، وطلبوا منه الجلوس ريثما يحضرون المال الذى طلبه ، وذهب اليهود لا ليجمعوا المال من بينهم بل ليدبروا حيلة للقضاء على محمد ، ولكن الله أوحى له بأن اليهود يأتمرون به ليقتلوه ، فانسحب في صمت ، وكان عقاب بنى النضير أن أخرجوا من المدينة .

ولم يكف اليهود عن تدبير المؤامرات ، فراحوا يدبرون مؤامرة أوسع وأقسى ، يريدون بها القضاء على الإسلام والمسلمين وكان ذلك في غزوة الأحزاب : عندما تجمعت قوى الشر وحاصرت المدينة ، فاتصل يهود بنى النضير الذين هاجموا المدينة مع المهاجرين ، بيهود بنى قريظة الذين كانوا

---

(١) نقلا عن الكنز المرصود ص ٧٠ .
(٢) انظر : زكى شنودة : تاريخ الاقباط ص ١٠١ .

لم يزالوا بالمدينة . ودُبرت مؤامرة من أعنف المؤامرات ، ليضرب بنو قريظة المسلمين من الخلف ليوقعوهم بين شقى الرحى ، واستجاب يهود المدينة لهـذا الغدر الذى أوقع المسلمين فى حالة من الذعر والقلق يصورها القرآن الكريم أدق تصـوير حين يقول : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصـار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً [١] »ولكن الله نجى المسلمين من هـذا الطغيان ورد الذين كفروا على أعقابهم [٢] .

واشـترك اليهود فى قتل عمر وعثمان ، وفى كل حركات الاغتيال التى حدثت فى العـالم الإسلامى أو أكثرها [٣] .

وظلت هـذه خطة اليهود فى جميع مراحل التاريخ ، حتى فى أزهى عصـور المدنية التى حرَّمت دم الإنسان وَحمت رأيه واتجاهه ، ولكن الغدر والاغتيال كانا دستور اليهود فلم يحيدوا عنـه ، قاموا به فى روسيا ، ونفذوه ضـد الانجليز فى فلسطين ، وقاموا به فى ألمانيا وأمريكا ، وكان نصيب العرب منـه نصيباً واسعاً .

ففى روسيا ظهر فى بداية القرن العشرين منظمة من أبرز منظمات الإرهاب التى سجلها التاريخ أطلقت على نفسـها « الحزب الاشتراكى الثورى » وكان اليهود يسيطرون على هـذه المنظمة ، وكان بالمنظمة قسم للإرهاب يرأسه يهودى اسمه « غرشونى » وهـذا القسم هو الذى اغتال ستة من كبار الزعماء بروسيا ، وقد حوكم أعضـاء هذا القسم وثبت عليهم الاغتيال فأعدم بعضهم ، وحكِمَ على آخرين بالسجن المؤبد [٤] .

ونال الألمـان نصيباً وافياً من اغتيال المنظمات الإرهابية اليهودية ،

---

(١) سورة الاحزاب الايتان ١٠ — ١١ .

(٢) انظر ما كتبناه عن « اليهود والمسلمون » فى موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية جا ص ١٦١ — ١٧٦ من الطبعة السادسة .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٦ — ٢٧٩ .

(٤) Franit Briton : Behind Communism p. 44.

فاليهــود تارة يهاجمونهم فى الطرقـــات فيقتلونهم أو يخطفونهم ، وتارة يرسلون لهم المواد المتفجرة ، وبخاصة لأولئك الذين عملوا و تعاقدوا على العمل مع البلدان العربية .

وقد قامت « جماعة ستيرن » باغتيال اللورد موين «Moyne» ، الذى كان وزيراً بريطانياً مقيمــا بالقاهرة ، لاعتقـــادهم أنه — إبان كان وزيراً للمستعمرات — قام بتضييق أبواب الهجرة إلى فلسطين فى وجه اليهود [١] .

وفى سنة ١٩٤٨ أطلق اليهود على الكونت برنادوت وسيط هيئـــة الأمم اثنتى عشرة رصاصة فى أثناء وجوده بالســيارة التى كان يستقلها بالقدس فمــات على الفور مع أحد مساعديه الفرنسيين ، وكان كل ذلك لأنه أعرب عن رأيه بأن العدالة تقضى بإعادة النقب للعرب [٢] .

وليس الرئيس الأمريكى الراحل كيندى إلا ضحية من ضحاياهم ، ومن العجيب أن التحقيق كان يســير فى هذا الاتجاه وذاك ، حتى إذا أوشك أن يلتفً حول اليهود عــاد أدراجه فانفضً عنهم ، لا لشىء إلا لأن الاغتيال كان جزاء محدداً لكل من يُثْبِتُ هــذه الجريمة على اليهود . ولم يكن ذنب كيندى لدى اليهود إلا أنه أيّد العدالة فى قضـــية اليهود والعرب ، وقضية التفرقة العنصرية فى أمريكا .

ومن الاغتيالات التى حدثت بمصر ، ذلك الطرد المملوء بالمتفجرات الذى أرسله اليهــود فى مارس سنة ١٩٦٣ فقضى على ستة من العلمــاء المصريين فى أحد مراكز البحوث العربية .

وفى العراق ضبط البوليس سنة ١٩٥١ كميات كبيرة من الأسلحة والمواد المتفجرة ، مخبأة فى كنيس يهودى يدعى كنيس عزرا ، وكانت هــذا الكميات

(١) Kirk. A Short History of the Middle East p. 323.

(٢) John Scott : The Secret Government in Britain p. 56.

كافية لنسف بغداد كلها ، كما أن البوليس اكتشف فى منزل أحد الأثرياء اليهود مخبأ متسعا يضيق بما فيه من مدافع رشاشة [١] .

هذه صورة سريعة لمظهر التآمر والاغتيال عند اليهود لم نقصد بها إلا الإشارة الخفيفة ، فإن إحصاء هذه الأحداث يفوق العد .

جمعيات سرية

الجمعيات السرية الخطرة كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التى اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم والوصول إلى عدفهم . وقد ينشئ اليهود جمعيات لهذا الغرض . أو يُوعِزُون بإنشائها ، وقد يجد اليهود جمعيات قامت لغرض أو لآخر فيندسون فيها ، وينفثون فيها سمومهم ، ويوجّهون أتباعها وُجْهتهم التى يريدونها . ولا تكاد توجد جمعية ذات أسرار وأخطار إلا كان اليهود يعيشون فيها خلف الستار . والمراجع العديدة التى اعتمدنا عليها فى هذا الباب توحى بأن اليهود كانوا خلف الحركات التى هبت فى وجه المسيحية والإسلام . فقد كانوا خلف جمعية فرسان المعبد ، وجمعية الصليب الوردى وغيرهما من الجمعيات التى وجهت نشاطها للنيل من المسيحية ، وكانوا خلف القرامطة ، وغلاء الشيعة . وغيرهما من الجمعيات التى ناصبت المسلمين العداء رغبة النيّل من الإسلام ، وفى مكان آخر لم أقبل تعبير « غلاة الشيعة » وقلت إن هؤلاء ليسوا شيعة وليسوا مسلمين ، وإنما هم جماعة من أعداء الإسلام تظاهروا بالدخول فيه وتظاهروا بالتشيع ، فجعلوا من اسم الشيعة ستاراً لهم ، ونسجوا خلفه ألواناً من الترهات والأباطيل بقصد الكيد للإسلام والمسلمين [٢] .

---

(١) جون بتى : الستار الصهيونى حول أمريكا ص ١٤٦ (الترجمة العربية) .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف جـ ٢ ص ١٥١ من الطبعة السابعة .

وينبغي لي أن أوضح شيئاً خطيراً يصطنعه أعـداء الإسلام للنيل منـه ، ذلك أنهم على اختلاف مشاربهم أدركوا أن من العسـير جداً أن يرتد المسـلم عن الإسلام إلى سواه من الأديان ، وأن محاولة ذلك تكلفهم جهداً كبيراً ومالا ضخماً دون أمل ، ومن هنـا اكتفى هؤلاء من المسـلم بتضليله ، ودفعـه إلى الانحراف والبعد عن الإسلام الصحيح وإن لم يعتنق ديناً سواه ، ومن وسائلهم لذلك أن يكلموه عن الإنسانية والعمـل لخيرها ، مع الإيمـان بالله وتوحيده ، ويجعل هؤلاء شعارهم « الله » أو « الإنسانية » ومن وسائلهم أن يصوّروا له أن الأديان « أفيون » الرعاع فينحدروا به إلى اللادينية ، ومنهـا أن يزجّوا به إلى مذهب منحرف من المذاهب التي تربط نفسها بالإسلام كالأحمدية والإسماعيلية ، واليهـود خلف هـذه الطرق جميعاً بطريق مباشر . كأن يؤسسوا هـذه الجمعيات أو ينضموا إليهـا ، وبطريق غير مباشر كأن يدفعوا الاستعمار إلى تأييد مثل هذه الجمعيات . والهدف واحد هنا وهناك .

وإذا تركنـا الماضي وعنينا بالحاضر وجدنا اليهود خلف كثير من الجمعيات السرية الخطرة التي تبذل غاية الجهد للنيل من الأديان والأوطان

> إننـا ندعو الناس مهما كانت أديانهم أو أوطـانهم أن يقرءوا مـا سندوّنه هنا عن :
>
> **الماسونية — والروتاري — والليونز — واليوجا .**
>
> فهي أعاصير سامّة تدفعها الصهيونية ليستنشقها المخدوعون .

هذه الجمعيات أو الأندية :

الجمعيات السرية التي تحارب الأديان والأوطان بدوافع صهيونية ، جمعيات كثيرة ، وهي مختلفة الأسماء ، ولكنهـا متحدة الأغراض ، وقـد

قضت السياسة الصهيونية أن تحمل هــذه الجمعيات أسماء مختلفة بحيث لو كشفت أسرار جمعية منهــا وقُدِّر عليهــا أن تُغلق أبوابهــا ، فإن الجمعيات الاخرى تستمر فى مزاولة نفس النشــاط وأداء نفس المهمة ، وأشهر هــذه الجمعيات هى :

الماسونية — الروتارى — الليونز — البوجا

وجميعها توهم بالنشاط الاجتماعى ، وتقوم ببعضه فعلا بشرط أن يكون هــذا النشــاط تافها قليل الجدوى أو عديم الجدوى ، كالالتفاف حول مائدة لتناول طعام ، او الاستماع لخطــاب يلقيه واحد منهم ، أو تقديم هدايا ضئيلة فى بعض المناسبات ، أما العمل الحقيقى لهــذه الجمعيات فهو السم الذى ينشر بهدوء ، هو التجسس ، والإغراء ، ومحاربة الوطنية ، ومصارعة الارتباط بالدين •

وهــذه الجمعيات — كمــا سنرى — تضم مجموعة من الأبرياء الذين خدعهم التظاهر فى هــذه المؤسسات ، أو كان عنــدهم فراغ من الوقت يسعون لشغله ، وهؤلاء يعيشون فى هــذه الجمعيات كواجهــة لينجذب لهــا آخرون ممن تلعب بهم أغراض الصهاينة •

إننــا نهيب بكل مسلم ، وكل مسيحى [1] أن يبتعد عن هذه المزالق وأن يتعرّف على حقيقة هــذه المؤسسات ممــا سنقتبسه من أدق المصادر حتى يحمى نفسه ودينه ووطنه من هــذا الفساد •

وننبه إلى ان الأندية المصرية والعربية كثيرة ، والجمعيات الاجتماعية متعددة ، وكلها تتيح الفرصــة لمزاولة النشــاط البرىء وشغل أوقات الفراغ ، بعيدا عن مؤسسات تتخذ مركزها الرئيسى فى شيكاغو او نيويورك وتقوم ايدى الصهاينة بتحريك خيوط نشاطها • وقد بلغت فاللهم اشهد •

وسنعطى بعض التفاصيل عن هــذه الجمعيات فيما يلى :

---

(١) سنرى انه صــدر مرسوم بابوى يحذر المسيحيين من الاشتراك فى هذه الجمعيات .

الماســـونية

لمحـــة تاريخية :

نشأة الماسونية ليســت محددة التاريخ ، ويربطهـا بعض الباحثين بالكهانة فى عهـد الفراعنة ، ويقرر آخرون أنهـا أنشئت فى هيكل سليمان ، ومنهم من ربطها بالحروب الصليبية ، أو بجمعية الصليب الوردى « سنة ١٦١٦ » ، ويراهـا آخرون أحدث نشأة ، فيحددون لقيامهـا القرن الثامن عشر ، واعتقادى أن هناك ارتباطاً بين هـذه الآراء جميعاً ، فالماسونية كما سنرى منظمة يهودية ، تظهر لخدمة اليهود من حين إلى حين ، وليس بعيداً أن يكون اليهود قد اقتبسوا بعض أنظمتها وأسرارها من الفكر المصرى ، ثم تجددت مع هيكل سليمان ومع الحروب الصليبية وغيرها من الأحـداث الكبرى •

ويكاد الباحثون يجمعون على أنهـا هى جمعية البنائين الأحرار ، التى وُجدت منـذ أقدم العصـور فى مصر واليونان وفلسطين ، ومصدر إجماعهم هو التشـابه العظيم بين الجماعتين فى النظم والتقاليد ، واعتقادى أن الماسونية منظمة سرية يهودية ، وأن هنـاك رباطاً يربط بينهـا وبين البنائين الأحرار ؛ ذلك أنه كان من بين البنائين من ارتقت مكانته ، فأصبح ذا صـلة بأسرار الأهرام والهياكل والمقابر ، فإذا كان البناءون العاديون يبنون الأهرام ، فإن الخاصة منهم يوكل لهم بنـاء ما بداخل الأهرام من أسرار ، كالمكان الذى ستودع فيه جثـة الملك وما معها من حلى وثراء ، وكالطريق الموصل لهـذا المكان وكان هؤلاء الخاصة من البنائين على صلة بالكهنة وبالأسرار الكهنوتية ، فلمـا أنشئت الماسونية بتعاليمها السرية ، كان من ضمن الأسرار أن تتخذ لهـا اسماً فيه خفـاء من جهة ، وفيه دلالة على احتضانها للأسرار من جهة أخرى ، فاتخذت لهـا اسم « البنائين » وهذا هو الذى ربطهـا بالبنائين الأحرار •

الظاهر والباطن فى أهداف الماسونية :

وأهداف الماسونية فى الظاهر تختلف اختلافاً كبيراً عن أهدافهـا فى الباطن . فهى فى الباطن وفى حقيقة الأمر ـ كمـا يقول الحاخام الدكتور إسحق وايز ـ مؤسسة يهـودية وليس تاريخهـا ودرجاتها وتعاليمهـا وكلمات السر فيهـا وشروحها إلا أفكاراً يهودية من البداية إلى النهاية [١] ،

أما فى الظاهر فهى تظهر للسذج كأنها ـ كما يقول مكاريوس شاهين ـ جمعية أدبية تخدم الإنسانية ، وتنور الأذهـان وتنشر الإخاء . وتوطد الحب بين الأعضاء . تحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين [٢] . وهى فى الحق بعيدة كل البعد عن هـذه الصفات .

وشعار الماسونية الظاهرى : الحرية والإخاء والمساواة ، وقد حاول اليهود الانتفاع بهـذا الشعار وبخاصة فى أوربا خلال العهود التى عـانى اليهود فيهـا مرارة الاضطهاد ، فكانوا يقصـدون حث الناس على أن يمنحوهم الحرية ، وأن يعاملوهم بود وبدون تفرقة .

ولا تفتح الماسونية أبوابها لكل الناس ، إنمـا تختار صفوتهم فتشترط لمن يريد الدخول فيهـا ، أن يكون رشيداً ، له مهنة شريفة ، وثقافة لا بأس بهـا ، حر النسب مستقيم الخلق ، لم يعرف بالطيش أو الخلاعة .

وتضـع الماسونية لها دستوراً علنياً يبدو جذاباً خداعاً ؛ توصى فيه بالعمل الصالح ، وبحب الناس ، وتطهير النفس ، والتعـاون مع الزملاء من الأعضاء تعاوناً كامـلا ، وإكرام الغريب ، واحترام المرأة ، وتجنب المشـاجرات .

وعند ما يُقرَّر قبول عضـو جديد ، يتقدم ليقسم قَسم الجمعية الذى يصبح بمقتضاه عضواً كاملا يؤدى واجبه ويتحمل مسئولياته . ونص القسم كالآتى :

---

(١) The Israelite of America, August 3rd 1866.

(٢) عبد الحليم الخورى : الماسونية : ذلك العالم المجهول ص ٢٢ ـ ٢٣ .

أقسم بمهندس الكون الأعظم أننى لا أفشى أسرار الماسونية ولا علاماتها وأقوالها ، ولا تعاليمها وعاداتها ، وأن أصونها مكتومة فى صدرى إلى الأبد .

أقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها ، لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحروف ، وألا أكتب شيئاً منها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير ، وأرضى — إن حنثت فى قسمى — أن تحرق شفتاى بحديد ملتهب ، وأن تقطع يداى ويحز عنقى ، وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ليراها طالب آخر ليتعظ بها ، ثم تحرق جثتى ويذر رمادها فى الهواء ، لئلا يبقى أثر من جنايتى (١) .

وهذا القسم يمدنا بمعلومات خطيرة عن الماسونية نوضحها فيما يلى :

أولا — هو قسم منقطع عن دستورها العلنى الذى ذكرناه آنفا فليس به حث على العمل الصالح ، وحب الناس ، وتطهير النفس أو غيرها من الأهداف الظاهرة التى تكلمنا عنها .

ثانياً — هو قسم واضح الدلالة على أنه إقدام على شىء حافل بالأسرار ، فأول شىء ينصب عليه القسم ، عدم إفشاء هذه الأسرار بأية صورة من الصور .

ثالثاً — هو وعيد صارم للطالب بالقتل والتمثيل بجثته ان افشى هذه الاسرار ، ويرى بعض الدراسين أن هذا الوعيد نفذ احيانا بان قتل من افشى السر بصورة تجعله يبدو كانه مات منتحراً أو مات موتا طبيعيا .

---

(١) محمد على الزغبى : الماسونية منشئة ملك اسرائيل .

ومراتب الماسونية ثلاثة هى :

١ — الماسونية الرمزية : ويدخل بهـا أتبـاع الديانات المختلفة ، ويباشر هؤلاء طقوساً وحركات لا يفقهون مغزاها ؛ ويظل فيهـا الشخص قانعاً بألفـاظ الحرية والإخاء والمساواة ، سعيداً بمـا يناله من عون من الأعضـاء الآخرين ، ذلك العون الذى كثيراً مـا يدفع العضـو إلى مكان الصدارة فى عمله ، أو يكسب له وظيفة ممتازة أو ثراء عريضـاً ؛ مما يجعله يزيد ارتباطاً بالماسونية وحباً لأنظمتها ، وفى داخل هـذا القِسْم توجد ثلاث وثلاثون درجة ، يترقى فيها العضو درجة بعد درجة بمقدار إخلاصه وكفاءته وإقباله على الماسونية وتعاليمها ؛ وينـال العضو أسمى الدرجات إذا تم انحرافه عن دينـه وعن وطنه ، وأصبحت الماسونية كل عقيدته واحتوت كل تقديره .

٢ — الماسونية الملوكية أو العَقْد الملوكى : وأكثر أعضائها من اليهود ويطلق عليهم الرفقـاء ؛ ولا يسمح لغير اليهود بالدخول فيهـا إلا لمن وصل لأرقى درجات الماسونية الرمزية أى لم يعد يكترث بدين ولا وطن ، فليس له مثل أعلى سوى الماسونية .

٣ — الماسونية الكونية : وهى أرقاها ، وأعضاؤها من اليهود الخلص ؛ ويطلق عليهم الحكماء ، ورئيس هـذا الفريق يلقب بالحكيم الأعظم ، وهو مصدر السلطات لجميع المحافل الماسونية ، ولا يعرف أحد أعضـاء هذه المرتبة ، ولا مركز نشاطهـا .

وللماسونية ألوان وصـور تتبـع الدرجات والمراتب ، وهى سر من الأسرار لا يعرفه غير أعضاء كل درجة .

وقـد أدرك زعمـاء المسيحيين خطر الماسونية بوجـه خاص وخطر الجمعيات السرية بوجه عام على الدين المسيحى ، فصدر مرسوم بابوى رقم

٨٦٤ يحذّر الكاثوليك من الاشتراك فى الهيئات السرية والمشتبه فيها على الإطلاق .

الماسونية فى مصر والبلاد العربية :

لم تتفتح العيون بمصر على خطر الماسونية إلا متأخرة ، فقد اتضح لولاة الأمر ما تقوم به الماسونية من اخطار فى مطلع سنة ١٩٦٤ فصدر قرار فى ابريل من ذلك العام بإلغاء المحافل الماسونية بمصر ، فأُغْلِقَ هذا الوباء أبوابه .

وانتهت الماسونية بمصر ولكن مهامها ألقيت على الروتارى والليونز واليوجا كما سنرى بعد قليل .

وانتهت الماسونية بمصر بعد التأكد من أضرارها ، ولكن للأسف لا تزال المحافل الماسونية تباشر نشاطها فى كثير من البلدان العربية والإسلامية جنبا إلى جنب مع الجمعيات الصهيونية الأخرى .

صورة جديدة من أخطار الماسونية :

نشرت صحيفة الأخبار القاهرية صفحة فى العدد الصادر يوم ١٩٨١/٦/٢ عن فضيحة كبرى من فضائح الماسونية ، ونقتبس من هذه الصفحة بضعة سطور لنرى صورة من أعمال الماسونية :

والعنوان الرئيسى (المانشيت) لهذه الصفحة هو :

الشبح الذى يحكم إيطاليا

المحفل الماسونى بإيطاليا دولة داخل الدولة

وفى داخل إطار أعلى الصفحة جاءت العبارات الآتية :

محفل ماسونى هو الذى اطاح هذه المرة بالحكومة فى ايطاليا . والفضيحة الجديدة ، التى يمكن أن يطلق عليها « مؤامرة الماسونيين » جعلت جميع الفضائح التى شهدتها إيطاليا طوال الثلاثين سنة الماضية

تبدو مجرد فقاعات صغيرة ، وقد تمّ العثور على قائمة تضـــم ٩٦٢ اسماً من الشخصيات الكبيرة التى تشـــغل أخطر المراكز فى إيطاليـــا تنتمى إلى المحفل الماسونى وعن طريق هـــذه الشخصيات تمّ إخضـــاع كل الأجهزة والمؤسسات فى إيطاليـــا لسلطة خفيّة سرية •

ونقتبس من هـــذه الصفحة بعد ذلك بضعة سطور :

ـ كانت الصهيونية العالمية تنتظر من الصفوة الماسونية بإيطاليـــا أن يقدّموا معلومات عن عملهم وعن خصومهم •

ـ هنـــاك وثائق ضبطت كانت معدّة ليستخدمها الماسونيين ضـــد الأعضـــاء فى عمليات ابتزاز وتهديد اذا دعت الحـــاجة . أى اذا كشف أىّ منهم أسرار الماسونية ، فحينئذ يعرض نفسه لإذاعة هـــذه الوثائق التى تدينـــه فى عمليات خطيرة اعترف فى الوثائق بالقيـــام بها ، ومنهـــا جرائم قتل ، وتهريب رءوس أموال ، وتجارة غير مشروعة ، واختلاسات ، وإرهـــاب أســـود •

ـ امتد خطر الماسونية بإيطاليـــا إلى الجيش والبوليس ، فقد شملت القـــائمة بعض جنرالات الجيش والبوليس وحرس الحدود وهـــذا هدّد الأمن الداخلى والأمن الخارجى للدولة •

ـ استعملت الماسونية الابتزاز والرشاوى والوعود لتحقيق الأغراض الصـــهيونية •

ذلك موجز سريع لهـــذه الصفحة السوداء التى تحكى أخطار الماسونية . لعل الدول العربية والاسلامية توقف هـــذا الخطر قبل أن يستفحل •

الروتــارى

لم يكتف اليهود بالماسونية السرية رغم أنهــا تتشــكل فى البلدان بأشكال مختلفة تبعــاً لطبائع كل بلد ونظمه . بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصـــلة عنها ، تؤدى بعض مهامها تحت ستار الإخاء الإنسانى أيضــاً ، وسموها « أندية الروتارى » وتوجد هــذه الأندية فى العواصم والمــدن الكبرى . والغرض الظــاهرى منهــا هو النظر فى الشــئون الاجتماعية والاقتصادية بإلقــاء المحاضرات والخطب ، والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة . أمــا الغرض الحقيقى فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الإخاء والود ، ثم يحــاول اليهود عن هذا الطريق أن يصلوا إلى جمع المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق أغراضهم ، اقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية .

ولقد فطن الفاتيكان أيضاً إلى خطر هــذه الأندية كمــا فطن من قبل إلى خطر الماسونية ، فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس فى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ قرر فيه الكرادلة ما يلى :

« دفاعاً عن العقيدة وعن الفضــيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتســاب إلى الهيئة المســماة بنادى الروتارى وعــدم الاشتراك فى اجتماعها ، وإن غير رجال الدين يطالبون بمراعاة المرسوم رقم ٨٦٤ الخاص بالجمعيات السرية والمشتبه فيهــا » .

وتتفق الماسونية وأندية الروتارى فى أن أبوابها ليست مفتوحة لكل الناس ، وإنمــا يُختار لهمــا أحد نوعين ، يتحتم أن نتحدث عن كل منهما على حــدة .

النوع الأول : جماعة المشاهير الذين لا تحوم حولهم شبهات ، والذين لهم مراكز عظمى فى المجتمع ، ويوضع هؤلاء فى الدرجة الأولى أى الدرجة التى لا ترى إلا الحفلات والرحلات ومظاهر الإخاء الإنسانى ، ومهمــة

هؤلاء أن يضمنوا السلامة وإبعاد الشبهات عن الجمعية من جانب . وأن يُخدَع بهم آخرون فيتقدموا للانضمام لهذه المؤسسات من جانب آخر .
ويقال إن السيد جمال الدين الأفغاني كان عضوا في الماسونية . وكان الإمام محمد عبده كثير الجلوس في بيروت مع عباس افندي الذي آلت له رياسة البهائية التي سنتكلم عنها فيما بعد ، وكان عباس شديد الولاء للانجليز . ويسير ركبه بحماسة في خدمة الحلفاء في خلال الحرب العالمية الأولى . وكان شديد الانحراف عن الدين . ولكنه كان يخفي هذا الاتجاه في جلساته مع الأستاذ الإمام ، حتى كان الإمام يبدي إعجابه به ، وقد دهش السيد رشيد رضا من هذا الموقف للأستاذ الإمام ، ولكننا نلتمس العذر له ، فأمثاله في التاريخ كثيرون ممن انجذبوا لهذه المؤسسات وأخفيت عنهم تماما الاتجاهات المنحرفة لها .

شاهد عيان يتحدث عن الروتاري :

وممن انضم لأندية الروتاري من المفكرين المصريين المعاصرين **الأستاذ أنيس منصور** . وقد ظل عشر سنوات يدور في هذه الدائرة الضيقة : حفلات وطعام دون جدوى ، ثم صرخ بعد هذه السنوات صرخة مدوية . صرخة شاهد عيان تساءل فيها عن جدوى هذه الأندية ونشر صرخته في « مواقف » بالأخبار يوم ١٩٧٣/٥/٢٠ وفيها يقول :

> « اشتركتُ على سبيل العلم بالشيء ، في إحدى جماعات الروتاري منذ أكثر من عشر سنوات ، وكان اشتراكي نتيجة لضغط شديد من الأصدقاء قالوا لي : تعال ، تفرَّج ، لكي تزداد معلوماتك ومعارفك .. بدلا من أن تدفن رأسك وحياتك كلها في الكتب .. يا أخي أنت درت حول الأرض شرقاً وغرباً وسوف يأتي العالم كله إليك .. تعال ، اشترك .

وذهبت واشتركت ، وفى اليوم الأول كان حفل غداء ، والنداء أهم حدث أسبوعى فى كل جمعيات الروتارى ..

« وفى أثناء الغداء أو بعده كان يقال لنا : جاءنا اليوم مستر كوكو ما كوكو من اليابان وهو عضو الروتارى المركزى فى طوكيو ، ويحمل إليكم تحيات السيد أكوماكو الرئيس الفخرى .

« ويتعالى التصفيق ، ثم يتبادل الزائر اليابانى ورئيس الروتارى المصرى الأعلام .. ومع التصفيق يجلس الزائر لنسمع عن زائر آخر جاء من الهند ويحمل تحيات الهنود .. وزائر ثالث من أمريكا ... وهكذا .. غداء وتصفيق وأعلام ولا شىء بعد هذا!

« ولذلك يمكن القول إنه لا معنى لعضوية الروتارى إلا إذا كان الإنسان خاليا لا عمل له ولا دور له فى أى مجال ، وإن كنت أعترف بأن كل إنسان حر فى تبديد وقته وطاقته وماله .

« ومن الأخبار المضحكة التى تنشرها الصحف والمجلات ظهور عدد كبير من الجمعيات الروتارية النسائية ، تجتمع وتنفض . لماذا ؟ لا أحد يعرف الإجابة : وأهم نواحى نشاطها هو الغداء أو العشاء ، وأن تتخذ قرارها فى كل اجتماع ، بأن يكون الغداء القادم فى المكان الفلانى ، وَوَلَدَتْ الجمعيات النسائية الروتارية جمعياتٍ صغيرة لأطفال الروتارى ، وهم أيضاً يجتمعون ويصدرون قرارات أخرى مماثلة وتُنشَرُ لها الصور فى الصحف مجاملة وتشجيعاً ، لأن بعض أعضائها من أقارب الزملاء الصحفيين أو أصدقائهم .

« والناس يتساءلون : مَنْ هؤلاء الروتاريون ؟ ما دورهم ؟ مـا رسالتهم ؟ ما سرّ حرصهم على إضاعة الوقت وإيهام الناس بانهم يستثمرون الوقت لصالح الآخرين ؟ .

« أنا حقيقة لا أدرى لهـا فائدة ، ولم أسمع من أحد أن لهـا فائدة » .

وما أن نشر الأستاذ أنيس منصور هـذه الكلمة حتى ثارت ثائرة الذين يهمهم أن تبقى حياة هـذه المؤسسات سراً مكتوماً ، وهاجم أحدهم الأستاذ أنيس هجوماً وصفه سيادته فى كلمته فى ٧٣/٥/٣٠ بأنه تفوه بشتائم لا تصـدر إلا من رجل مصاب بتشنج أو جنون ، وأنهـا نوبة روتارية .

النوع الثانى ممن يختارون للماسونية والروتارى : جماعات تجىء منجذبة بالأسماء اللامعـة السابقة ، وتختار هذه الجماعات بدقة هائلة بحيث يكون هناك أمل فى أن تعمل لتحقق الأغراض الرئيسية لهذه المؤسسات بكشف بعض الأسرار أو ترويج الاشاعات الضـارة .

والبحث التاريخى يثبت علاقة بين القرامطة الذين حاربوا العـالم الإسلامى وكانوا من أسباب ضعفه وبين هذه المؤسسات ، من ناحيتين :

أولا : صفات من يقبل للالتحاق بهـذه وتلك ، فلم يكن يقبل أحـد للانضـمام للقرامطة إلا بعد اختبارات طويلة ومراسم خاصة [1] ، وكذلك لا يسمح للانضمام للروتارى إلا لجماعات خاصة تدخل تحت النوع الأول أو النوع الثانى . ؟

ثانيـا : الاتجاهات السرية فى القرامطة وفى هـذه المؤسسات ؟ فكلمة « قرمط » معناها « المعلم السرى » كمـا يقول الدكتور فيليب حتى [2] .

---

(١) انظر الجزء السابع من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف عند الحديث عن القرامطة .

(٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج ٢ ص ١٨٩ .

ويقابل ذلك القسم الذى ينضم به العضو الجديد لهذه المؤسسات محفل حافل بالأسرار والغموض ، وقد سبق أن أوردنا نص القسم الذى يقسم به العضو الذى يدخل الماسونية ، ولا يستعمل هذا القسم مع النوع الأول ممن يختارون للماسونية والروتارى حتى لا يثير هذا القسم شكوك هذا النوع من الأعضاء .

وجماعات النوع الثانى التى تدخل هذه المؤسسات منجذبة بالأسماء اللامعة السابقة توضع عقب دخولها تحت الاختبار ، وتندرج فى الدرجة الأولى من الدرجات المتعددة لهذه المؤسسات ، وفى هذه الدرجة تباشر هذه الجماعات ألواناً من الحفلات التى تحدث عنها الأستاذ أنيس منصور ، وقد تمارس بعض الرحلات ، أو ترى ما يمكن أن يسمى التعاون والمساعدة ؛ وفى خلال هذه المرحلة هناك عين يهودية تفحص وتختبر لتلتقط من بين هذه الجماعات من تتوافر فيه الصفات الثلاثة التالية :

١ — التسامح الدينى أو قل عدم الحماسة للدين ولشعائره ولطقوسه ، أياً كان هذا الدين .

٢ — عدم الحماسة الوطنية ، وضعف الارتباط بالوطن .

٣ — النفوذ الذى يستمتع به ذلك العضو ، وقد يكون هذا النفوذ عن طريق أسرار تحت يده أو عن طريق كلمة مكتوبة أو مقولة يمكن أن يؤثر بها على الآخرين . أو عن طريق المقدرة على نشر الشائعات .

والذى تتوافر فيه هذه الشروط تلتقطه العين اليهودية الفاحصة لتضعه فى مرحلة أعلى ، وتقدم له مزيداً من العون ، ويشجع على عدم الحماسة للدين أو للوطن ، وذلك باستعمال تعبيرات خداعة مثل : الإنسانية — والدين لله ، وهكذا ..

وإذا استجاب هذا العضو لهذه الاتجاهات نقل إلى درجة أعلى . وهو فى كل خطوة ينال مزيداً من العون فى النواحى التى ترضى رغباته

مادية كانت أو معنوية ، ويصل أخيراً إلى المرحلة التى يُصبح فيهـا أداة طيّعة فى أيدى قادة هـذه المؤسسات وباعثى النشاط فيهـا ، وهى أيدٍ يهودية صرفة تعمل لصـالح القضية اليهودية من جوانبها المختلفة .

وهكذا يتضح لنـا أن هناك أفراداً ينتسبون إلى هـذه المؤسسات ولا يعرفون أسرارها ، بل يدافعون عنها ، لأن هذه المؤسسات لا تستغلهم . ولا تكشف أسرارها لهم ، ولكنها تنتفع بهم من حيث لا يشعرون ، فيم قمم فكرية أو شخصيات معروفة غير متهمة ، وعن طريقهـا يدخل الأغرار من الناس هـذه المؤسسات ويُساء استعمالهم ، وقد ألغت مصر المحافل الماسونية فى أبريل سنة ١٩٦٤ بعد تحريم البابا لها بأكثر من عشر سنوات ، ولكن لا تزال هذه المحافل تباشر نشاطها فى بعض البلدان العربية كما قلنا ، ولا تزال الروتارى والليونز يزاولان نشاطهما فى مصر ، وليسا فى الحقيقة إلا صورة دقيقة للماسونية ولكنهـا تحمل أسماء أخرى .

وقد حـدث أن تعرّفت بعض هـذه المؤسسات على كتابى هـذا « اليهودية » فأزعجهم مـا جاء به عنهم ، وراحوا يتصلون بى بين وعـد ووعيد لتخفيف اتجـاهى نحوهم أو إيقافه ، ولكنهم بطبيعة الحـال لم ينالوا شيئاً من أمانيهم ، وكان هـذا بالإضافة لمـا كتبه الأستاذ أنيس منصور ضربة قاسية عليهم تكشف اتجاهاتهم ، فراحوا يدافعون عن هـذه الاتجاهات بأن أوعزوا إلى كاتب لعله من صفوف النوع الأول أن يكتب عنهم فيضاً من المدح والثناء ، وفتحت مجلة الإذاعة أبوابها لذلك فى عددها الصـادر فى ١٨/٨/٧٣ ، بل استطاعوا أن يصـلوا إلى التليفزيون العربى وأن يعرضوا به مـا أسموه نشاطاً اجتماعياً لهم ، ولكن ذلك لم يُخْفِ الحقائق عنهم ، ولذلك نقتبس ممـا جاء فى مقال مجلة الإذاعـة بعض العبارات التى تشير بطريق غير مقصود إلى حال أندية الروتارى ، فقد كانت العناوين التى اختارها كاتب المقال تَنِمُّ عن الأسرار والانحراف .

وهذه العنـاوين هى :

* هؤلاء الروتاريون وعالمهم العجيب !

* فى مصر ١٠٠٠ روتارى وثلاثون نادياً !!

* عضو واحد من مهنة واحدة فى النادى الواحد !!

والعنوان الأول لا يحتاج إلى تعليق ، والعنوان الثانى يفضح التكاليف الباهظة ، ويتساءل الإنسان كيف يكون هناك ثلاثون نادياً لألف فقط من المشتركين ؟ وكيف يستطيع حوالى ثلاثين أن يتحملوا تكاليف النادى ؟
والعنوان الثالث يوضع تحته عدد من الشرط وتوضع أمامه علامات استفهام كثيرة لنسأل : لماذا لا يُقْبَل أكثر من واحد من مهنة واحدة فى النادى ؟ والإجابة تقول إن ذلك ضرورى حتى تظل الأسرار مكتومة ، وحتى لا يحدث التنافس بين الاثنين كشفاً لهذه الأسرار .

وفى هذا المقال حديث عجيب عن طعام الصباح الحافل الذى قُدِّم لرواد مؤتمر الروتاريين فى لوزان بسويسرا سنة ١٩٧٣ وأطباق القشدة الشهية التى تتوج بها أعمال الأيام الحافلة بالمناقشات ، والاستعراضات الترويحية التى تقدَّم بسخاء وذوق رفيع للضيوف الروتاريين .

وفى هذا المقال يذكر الكاتب ما يلى بالحرف الواحد مما يوضح الصلة بين الروتارى وبين هيئة القرامطة التى أشرنا إليها من قبل ، يقول الكاتب :

« والحصول على عضوية نادى الروتارى أشد صعوبة من دخول كلية الطب ، ومن الوصول من خلال الكمبيوتر إلى سيارة نصر ١٢٥ ، أو شقة من شقق الأوقاف ، فهذه هى العضوية الوحيدة التى لا يُسْمح للإنسان بأن يتقدم إليها ، بل الشرط الأساسى فيها أن يفاجأ العضو بأنه مرشح لها ، وفى هذه النقطة بالذات تقضى طقوس الروتارى بأن يتم وضع العين على العضو المرشح ، دون أن يشعر ، وتبدأ التحريات عنه دون

إخطار ، حتى إذا تمت الموافقة عليه من الجهــاز الإدارى بدأ التحدث معــه بشأن العضوية . فإذا علمت أنه لا يقبل فى أى ناد من نوادى الروتارى أكثر من عضــو واحد من مهنة واحدة ، أدركت ضيق فرصة العضوية فى هذا النادى .

« وإذا فقــد عضو عضويته فى نادى الروتارى كان ذلك أشد خطراً من فقدان إنسان لشهادته الدراســية أو رخصة سيارته : فهذه أو تلك يمكن التغلب عليها باستخراج بدل فاقد ، أمــا عضوية الروتارى المفقودة فالطريق إلى استعادتها : أصعب من استعادة الزوج لزوجته بعد طلاق ثالث » يا لله !!

ويورد الكاتب صورا من الخدمات التى يقدمها الروتارى فى بلاد العالم المختلفة ؛ وهى صــور تدعو فى الحقيقة للسخرية البالغة ، وهى أمامى وأنا أكتب هــذه السطور ، وليت كل قارىء يراجعها ليسخر منها كما سخرت . وأنا أكتفى بنموذجين منهــا : أحدهما يرتبط بضاحية المعادى التى أعيش بهــا ، والآخر يرتبط بقطر إسلامى عدت منه حديثاً هو « ماليزيا » .

وعن المعــادى يقول هذا الكاتب : إذا كانت ضاحية مثل المعــادى تشكو من معاناة ألفين وخمسمائة من شبابها يومياً فى ذهابهم إلى الجامعة ، فإن الروتارى يفكر فى حلّ هــذه المشكلة بطريقة مهمة هى كيف يتعــاون سكان المعادى من أصحاب السيارات كل صباح على نقل عدد من الطلبة فى سياراتهم وهم فى طريقهم للعمل . وهو حل كمــا ترى يدعو للسخرية . ولا وجود له ، فلا تكاد ترى طالباً يعتمد على هــذا الحل ، ولا صاحب سيارة يقف إلا لمعــارفه أو رفاقه . ممــا يجعل الحل خيــالا فى ذهن الكاتب فقط أو فى ذهن أتباع الروتارى على العموم ؛ وأنا أقول هــذا وأنا من سكان المعــادى ، ومعى سيارة لا أذكر أن أحدا استوقفنى إلا قليلا

جدا . فالطلاب يحافظون على أوقاتهم وكرامتهم . ويتجهون من بيوتهم الى المواصلات العامة والكثيرون منهم يملكون سيارات خاصة .

وعن ماليزيا يذكر الكاتب أن نادى الروتارى تدم مجموعة من الأجهزة لبعض الأطفال من الصم فى إحدى القرى لتعينهم على السمع . ومن الواضح أن هذا الكاتب لم ير ماليزيا ، ولو رأى ما تنعم به من ثراء فياض لتردد كثيراً قبل أن يكتب هذا الخبر الذى يظنه مفخرة للروتارى ، وهو عن المفاخر بعيد وبعيد .

ليت مفكرينا يتدارسون هذه الأنشطة التى ليس لها هم إلا أن توقع الأضرار بمقدساتنا وقيمنا الرفيعة .

معلومات جديدة عن أندية الروتارى

١ — وزير داخلية مصرى يفضح الروتارى :

فى ضاحية المعادى يوجد فرع من فروع أندية الروتارى ، وفى هذا الفرع مجموعة من الأعضاء أعرف بعضهم ولا أعرف الآخرين ، وقد ذكرت نشرة أنباء المعادى الصادرة فى ١٩٧٥/٥/٢٢ أن حديثاً دار فى أروقة ناديهم عن موقفى من الروتارى ... ، والذى لاحظته من هذا المقال وسواه مما دار فى الاجتماع ووصلتنى أخباره ، أن الروتاريين يضيقون بالنقد ، وهى صفة أشار لها الأستاذ أنيس منصور فى كلمته بالأخبار بتاريخ ١٩٧٣/٥/٣٠ حيث تحدث عن النوبة الروتارية التى تصيب بعض الروتاريين عندما يعرض لهم أحد بنقد أو تأريخ ، **كأنما يريدون أن تبقى حياة تلك المؤسسات سراً مكتوما .**

وفى أحد لقاءات جماعة الروتاريين بالمعادى كان الاجتماع لتناول العشاء وكان ضمن الحاضرين الأستاذ ضياء الدين بيبرس ، وعلى فكرة أقرر أن أعضاء الروتارى لا يهتمون بالألقاب التى يتعامل بها الناس ،

فالصحفى والأستاذ والدكتور لا أهمية لهـا عندهم . وإنمـا اللقب الحبيب إليهم هو « الزميل الروترى » (أنظر فى ذلك نشرة « أنباء المعادى » بتاريخ ٢٢/٥/١٩٧٥) .

وفى لقـاء العشاء ذاك دعا الأستاذ ضياء الدين بيبرس المذيعـة اللامعة الأستاذة كريمان حمزة أو الحاجة كريمان حمزة كمـا تحب أن تنادى . وكانت الحاجة كريمان قد استضافتنى مرة للبرنامج الذى تقدمه بالتليفزيون العربى ، حيث تكلمت كلمة عن أندية الروتارى ، ومن أجل هذا دعاها الأستاذ ضياء الدين لاجتماع نادى الروتارى بالمعادى ، وفى أروقة النادى قدمهـا الأستاذ ضياء الدين إلى الأستاذ عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق ، قائلا :

— السيدة كريمان حمزة التى هوجمت أندية الروتارى فى برنامجهـا « هدى الله » فقال الأستاذ عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق :

معها حق ، لقد كان اليهود أول جماعة أنشأت ناديا للروتارى بمصر ، وكانت تحوم حوله الشبهات ، ولهـذا أقفلت أندية الروتارى بمصر مرتين وأنا وزير الداخلية .

قال الأستاذ ضـياء الدين :

ولكنك عضـو فيه .

فأجاب الأستاذ عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق قائلا :

أنا الآن بالمعـاش ، وأضيع الوقت فى بعض النشاط ، ثم إننى أقصد أن أعرف « بتعملوا إيه » .

ولو كنت مكان الأستاذ ضياء الدين لتخليت عن الروتارى بعد ذلك الحديث ، ولأذعت ما قاله وزير الداخلية بين الأعضاء ليكونوا على علم بشىء من تاريخ هـذه المؤسسة التى ينتسبون إليهـا .

(ب) نشاط نادى الروتارى بالمعادى :

فى نشرة « أنباء المعادى » التى يصدرها الأستاذ حسن صبحى الذى يوجِّه أكثر جهود قلمه وصحيفته لخدمة الروتارى ، كتب الأستاذ حسن صبحى مقالا طويلا فى ١٩٧٥/٥/٢٢ عنوانه « إلى الدكتور أحمد شلبى » وفى هـذا المقال أو الخطاب المفتوح دراسة مفصلة عن جهود نادى الروتارى بالمعادى ؛ وهى تقديم عون مالى لإحدى الجمعيات الخيرية ، وإصلاح ملجأ متهدم للكفيفات ، ومساعدة منكوبى كوارث السيول ، ومواساة جرحى الحرب ، ورفع مستوى بعض الحرفيين بتدريبهم فى مصانع المنطقة ، ومساعدة بعض التلاميذ بشراء الكتب التى يحتاجونها ولا يملكون ثمنها .

وقد كتبتُ رداً على هذا الخطاب المفتوح لينشر فى نفس المكان الذى نشر به الخطاب المفتوح ، ولم أُعْنَ بنشره ، ولم أناقش فى الرد مدى هـذه الجهود وجدواها ، **بل كان أبرز ما ذكرته فى الرد هو إظهار الدهشة أن نكوِّن بالمعادى فرعا للروتارى من أجل هـذه الأهداف التى يمكن أن تقوم بها أية جمعية وطنية أو اجتماعية بالمعادى دون حاجة لأن يقوم بذلك فرع للروتارى يرتبط بمركز الروتارى العام بالولايات المتحدة .**

وذكرت فى الرد أن « مسجد الفتح » بالمعادى يقوم بأضعاف أضعاف هـذا النشاط ، وهو يُعدُّ فى الحق منارة عالية لخدمة البيئة ، وأن به قاعة محاضرات لكل نواحى المعرفة ، ودروساً لتقوية التلاميذ ، وأضواؤه ساطعة تستقبل التلاميذ والطلاب أكثر الليل وطول النهار فى فترات الاستذكار ، وبه عيادات طبية ومستشفى لمختلف الأمراض .

وختمت خطابى بالأمل أن نربط نشاطنا الاجتماعى بمؤسسات وطنية اجتماعية بعيدة عن الشبهات .

(جـ) رأى المؤتمر الإسلامى العالمى فى الماسونية والروتارى .

عُقد فى مكة المكرمة وتحت رعاية المغفور له الملك فيصل مؤتمر عالمى

للمنظمات الإسلامية فى المدة من ١٤ إلى ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ (مارس ١٩٧٤) وقد اشترك فى هـذا المؤتمر ١٤٠ وفداً تمثل جميع الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية بالدول غير الإسلامية ، وكان لمصر وفد كبير بين هذه الوفود . وقد تدارس المؤتمر مجموعة من القضايا الإسلامية والعالمية ، واتخذ فيهـا قرارات صارمة . وكان قراره الحادى عشر خاصاً بالماسونية وأندية الروتارى وأندية الليـونز وحركات التسـلح الخلقى وإخـوان الحرية ، ونصـه :

« الماسونية جمعية سرية هدامة لهـا صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التى تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها ، وتتستر تحت شعارات خداعة ، كالحرية والإخاء والمساواة ، وما إلى ذلك ممـا أوقع فى شباكها كثيراً من المسلمين ، وقادة البلاد وأهل الفكر ، وعلى الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هـذه الجمعيات السرية على النحو التالى :

١ — على كل مسلم أن يخرج منها فوراً .

٢ — تحريم انتخاب أى مسلم ينتسب لهـا لأى عمل إسلامى .

٣ — على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها وأن تغلق محافلها وأوكارها .

٤ — عدم توظيف أى شخص ينتسب لهـا ومقاطعته مقاطعة كلية .

٥ — فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة .

وتعامل كل من النوادى التالية معاملة الماسونية : نادى الروتارى — نادى الليونز — حركات التسلح الخلقى — إخوان الحرية » .

وبعد هـذا الإيضـاح من الدراسات العلمية ، ومن وزير الداخلية بمصر ، ومن المؤتمر العالمى الإسلامى لم تبق حجة أمام أى مسلم وأى مصرى للانضمام لهـذه الجمعيات المشبوهة .

***

(د) الغفلة التى ضاعفت أعداد الروتاريين

لابدَّ أن نبدى دهشتنا ممـا يحصل حولنا ، فنحن الكتاب نؤدى واجبنا فى شرح المشكلات للناس ، ونتخذ الوسائل المتعددة لتوضيح هذه الأمور وإزالة هـذا الظلام ، ولكن يبدو أن القراء قليلون ، وأن الكثيرين لا يزالون يعيشون فى الظلام وينتسبون لهـذه المؤسسات الموبوءة وكلما زاد عدد أعضاء هـذه المؤسسات كلما تضاعف الخطر ، على الدين والوطن ، وفى العدد الصـادر فى ١٩ يونيو سنة ١٩٨٠ من « أنباء المعادى » إحصائية توضح الزيادة الخطيرة للمنتسبين لهـذه الأندية ، وتوضـح كذلك أن الرأسمالية الصهيونية تحتضن أفكار هذا المؤسسات وتنفق عليهـا بسخاء ليظل السذج منجذبين إليها وسنقتبس فيما يلى سطورا من هذه الإحصائية :

١٨٫٧٤٠ روتريا من جميع أنحاء العالم يجتمعون بشيكاغو لتبادل المعلومات

حفلت مدينـة شيكاغو الكبيرة بالولايات المتحدة منـذ يوم ٣٠ مايو الماضى وحتى العاشر من يونية الحالى بعدد كبير من الروتريين وأعضـاء اسرعم بلغ عددهم من واقع سجلات مؤتمر الروترى الدولى ١٨٫٧٤٠ قدموا من ١١٢ دولة فى القارات الست • فملأوا رحاب فنادق المدينة رغم كثرتها ورغم ضـخامة بعضها الذى يتسـع لثلاثة آلاف ضيف • وازدحمت بهم المتاجر والشوارع والمطاعم والمسـارح على كثرتها • كما ازدانت شوارعها بالاتوبيسات الخاصة التى تحمل على مقدمتهـا شارة الروترى ورقما خاصا بـكل أتوبيس • • • •

وقد أصبح عدد أندية الروتارى ١٨٫٦١٩ ناديا تضم ٨٦٠٫٤١٢ عضوا فى ١٥٣ دولة ، وأصبحت حضارة كل بلد تقاس بعدد أندية الروتارى فيها •

يا لله ، كبرت كلمة أن تقاس حضارة البلاد بعدد أندية الروتارى ،

والذى نراه أن غفلة الناس وسذاجتهم هى التى تقاس بعدد هذه الأندية •

ومرة أخرى نسأل : من الذى أنفق على هــذه التجمعات الهائلة . د ءًا من تذاكر السفر إلى الاقامة أكثر من عشرة أيام ؟

إن المــال اليهودى وحده هو الذى يستطيع أن يتحمل هذه النفقات ويحجز الأماكن لهؤلاء الآلاف بأضخم الفنادق ، وهو الذى يعد الأوتوبيسات ويحجز للروتاريين بالمسارح ، وينظم لهم الرحلات والحفلات .

لقد باع هؤلاء بلادهم ومبادئهم وأديانهم بثمن رخيص هو متعــة رخيصة مدة عشرة أيام .

إننا نرجو لهم التوبة والعودة السريعة لخدمة الدين والوطن .

الليونز — إخوان الحرية ...

ان القرار الذى أصدره المؤتمر الاسلامى والذى نقلناه من قبل يوضح أن هناك هيئات أخرى أقامتها الصهيونية لتباشر نفس النشاط الذى تقوم به الماسونية والروتارى ؛ وقد ذكرت من قبل أن الصهاينة حرصوا على الإكثار من هذه الهيئات حتى إذا أُغلِق واحدمنها بقيت الأندية الأخرى تؤدّى نفس العمل .

ومن الهيئات المنتشرة الآن فى كثير من دول العالم مؤسسات الليونز وإخوان الحرية ، ومما يذكر عن الليونز فى القاهرة أن أعضاءه يتناولون الغداء مرتين فى الأسبوع إحداهما فى فندق شيراتون القاهرة ، والأخرى فى « جولى فيل » بمنطقة الهرم ، وقد دعيت حديثا لإلقاء محاضرة لأعضاء الليونز عقب تناولهم طعام الغداء ، وكان ذلك بمناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستجبت ، ولكن صاحب السلطة هناك اقترح علىّ أن أتكلم فيما قدّمته الأديان للبشرية من أفضال ، وأحسست أنه يريد أن يصرفنى عن الحديث الطبيعى وهو لمحات من صفات الرسول محمد صلوات الله عليه .

وبدأت أتكلم حيث تناولت بعض التشريعات الاجتماعية التى وردت فى التوراة وذكرتُ أن الانجيل لم يضف إلا الشىء القليل لهذه التشريعات ثم ذهبت الى الإسلام لأتحدث عن حضارته المتشعبة التى أنقذت البشرية من الظلام ونقلت الناس إلى النور ، كما ذكرت أن القرآن الكريم ينص على أن الإسلام شمل أهم ما فى الأديان السماوية من تشريعات وأضاف اليها ما تحتاجه البشرية الى يوم الدين .... فالذى يدخل الإسلام يحيط بكل الأديان ، ويحترم كل الأنبياء .

وقد أعجبَ كثير من الحاضرين بحديثى وطالبوا أن أحضر مرات أخرى لتقديم مزيد من هذه الدراسة ، ولكن أصحاب السلطات الذين يعرفون أسرار هذه الأندية لم يكرروا الدعوة لى حتى لا يتيحوا الفرصة لتقديم مثل هذه الدراسات .

اليــوجــا

ومن الجمعيات ذات الصلـــة بالصهيونية منظمة اليوجا وهى منظمة تدعى أنهـا تباشر ألواناً من الرياضــة البدنية ، والتدريبات الجسمانية . وكذلك بعض التدريبات الروحية أو ما يسمى « باليوجا الروحية » ولهـذه المنظمة فروع فى أكثر بلاد العالم ، وهى تبدأ باسم اليوجا ثم تتجه لنشر سمومها بين الأعضاء الذين يخدعون بها وأهم ما تعنى به محاربة الأديان . وتوجيه الشـباب للتحلل من التزاماتها ، والعمل على مـا يسمونه بالرباط الإنسانى . ويصلون بذلك إلى الدفاع عن اليهود باسم الإنسانية ، وباسم مـا عانى هؤلاء من اضطهاد فى التـاريخ ، كأنهم وحدهم الذين عـانوا الاضطهاد بين البشر .

وقد افتتحت منظمة اليوجا فرعاً لهـا فى القاهرة سنة ١٩٧٥ وكان يقوم بالتدريب به شاب من الفلبين وفتاة أمريكية ، وقد استطاع الاثنان أن يجذبا إلى مقر هـذه المنظمة عدداً من شباب الجامعات للتدريب على اليوجا ، والاعداد للقيـام بنشاط اجتماعى لتوعية أهالى القرى والمدن .

وذكرت صحيفة الأخبار المصرية الصـادرة فى ١٩٧٥/٧/١٦ أن رجال الأمن لاحظوا أن الفتى والفتـاة يتستران وراء هـذه العملية ، ويقومان بنشـاط سياسى ودينى ، ويهتمان بالدعوة لتمييع الأديان ، والانتقاص من القيم الروحية التى تتضمنها .

وبعد التحقيق فى هـذه المسالة اتضح ان هذه المنظمة تموّل من جهات صهيونية ، وأنها فرع لمنظمة تتخذ مركزها فى إسرائيل ، ومن أجل هـذا صدرت الأوامر بإيقاف هـذا النشاط ، وترحيل الفتى والفتـاة إلى خارج البـلاد .

تنبيـــه وتحذير

أيهـا القارىء الكريم ..

هل اقتنعت بخطر هـذه المؤسسات والأندية على الدين والوطن إننى أعيد وضع الحقائق الآتية أمامك بإيجـاز لأساعدك على الوصول إلى اليقين :

١ — أدركت الحكومة المصرية سنة ١٩٦٤ خطر الماسونية على الدين والوطن ، وأنهـا تعمل لحسـاب الصهيونية ، فصدر قرار فى أبريل سنة ١٩٦٤ بالغـاء المحافل الماسونية .

٢ — قرر السيد عبد العظيم فهمى وزير الداخلية الأسبق بمصر أنه ثبت له أن اليهود كانوا أول من أنشأ ناديا للروتارى بمصر ، وكانت تحوم حوله الشبهات ، ولذلك أصدر قراراته بإقفال أندية الرتارى . ولست أدرى كيف يسمح لها بالنشاط بعد ذلك .

٣ — ثبت لرجال الأمن بمصر أن القائمين بنشاط « اليوجا » يقومون بنشاط سياسى ودينى ؛ ويهتمون بالدعوة لتمييع الأديان والانتقاص من القيم الروحية التى تتضمنها ، وثبت اهم كذلك أن هذه المنظمة تموّل من جهات صهيونية ، وأنهـا فرع لمنظمة تتخذ مركزها فى اسرائيل ، ولهـذا صدر قرار بإيقاف نشاطها وإغلاق أبوابها .

٤ — قرر الأستاذ أنيس منصور أنه التحق بالبروتارى عشر سنوات فلم يجد لهـذه الاندية أية فائدة .

٥ — درس المؤتمر الاسلامى العالمى أحوال هـذه المؤسسات فتبين له أنهـا هدّامة ، وأنها وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية .

٦ — لا تنس أيهـا القارىء « مؤامرة الماسونيين » بإيطاليا حيث اتخذت هـذه المؤسسة كبار القادة وسائل لهـا للسيطرة على الدولة

واستعملت الابتزاز وجرائم القتل ، والتهريب ، والاختلاسات ... للوصول إلى أهدافهـا .

وأخيرا ، فإذا لم يكن قد استقر يقينك — أيهـا القارىء الكريم — بخطر هـذه المؤسسات ، فيكفى أن الشبهات القوية قائمة لتبتعد عن هذه الأندية ، ولتواصل نشاطك فى الأندية المصرية والدينية لخيرك وخير الدين والوطن .

واللهم قد بلغت ، فاشهد .

البـــابية والبهائية

إذا كانت مؤسسات الماسونية والروتارى وغيرها تبـــاشر نشاطها المسموم فى خفاء ، واذا كانت هـــذه الأندية تدعى أنهـــا تقوم بنشـــاط اجتماعى ... فإن البابية والبهائية أعلنتا ـــ بعد فترة من الغموض ـــ أنهما ينتميان للفكر الصهيونى ويصدران عن هواه ، ويدافعان عن شعاراته ... فلندرس هذين المذهبين لنتبيَّن هذه المسيرة .

فى بلاد فارس قام المذهبان أو الدينان الخطيران : البابية والبهائية ، والبهائية امتداد للبابية كمـــا سنرى ، وكلاهما تعبير عن الفكر الذى تكلمنا عنه من قبل ، والذى نشـــأ منذ عهد بعيد بسبب التعـــاون الذى قام بين اليهود الذين بقـــوا بفارس بعد أذن قورش لأسرى بابل بالعـــودة إلى فلسطين ، وبين الجماعات الفارسية الساخطة على الإسلام لأنه وضـــع حداً لمـــا كان لهـــا من أمجاد زائفة .

وقد سبق أن قلنا إن بلاد فارس ـــ لهـــذا ـــ ظلت فى فترات كثيرة مصدراً خطراً تنبع منـــه الحركات المعادية للإسلام ، والجاهدة لتقويض أركانه بطريق أو بآخر .

فالبابية والبهائية لهمـــا جذور يهـــودية ، ولكن اليهـــود المعاصرين للحركتين لم يكتفوا بالجذور اليهودية القديمة ، بل راحوا يَمُدُّون الحركتين بعناصر يهودية أخرى توارت حيناً ، وبرزت حيناً ، ثم أعلنت عن نفسها تماماً فى العهـــد الحاضر ، إذ أصبح زعيم البهـــائية أحد حاخامات اليهود كمـــا سنرى .

ولنعد إلى القصـــة من أولهـــا :

فى بلاد فارس ولد الميرزا على الشيرازى حوالى سنة ١٨٢٤ من أسرة مسلمة . وشبَّ الميرزا ونال ألواناً من الدراسات الإسلامية ، وكان يمتـــاز

بالجمـال والذكاء والطموح والفصاحة ، وحج الميرزا وزار أضرحة العراق التى يقدسها الشـيعة ، ولما عاد لوحظ عليه أنه أصبح يغـالى فى تدينه وتعصبه ، ورآه رجلان أغلب الظن أنهمـا من دم يهودى أو يعملان لحساب الفكر اليهودى ، فأوهماه أنه سيكون له شأن ، وأدخلا فى روعه أنه سيصبح منقذ الإنسانية من الضلال وقائد ركب المتدينين ، فاستهوت هـذه العبارات الميرزا ، فَسُرَّ الرجلان بهـذه الخطوة من النجاح ، وراحا يقدمان له بطريق مباشر أو غير مباشر أفكاراً جديدة سرعان مـا اعتنقها وراح يدعو لها ، وأبرزُ مـا فى هذه الأفكار كان القول بوحدة الوجود ، فأصـبح الميرزا يعتقد « أن الله واحد أى ليس له شريك فى القوة والقدرة ، وقـد خلق الكون ، ولكن هـذا الكون ليس شيئاً آخر غير الله ، بل هو مظهر ذاته . والأنبياء فى الكون مظهرٌ أكمل لله ، دائم الاتصال بالأصل الذى نشأ منه » ويروى البابية عن الله قوله « الحق يا مخلوقاتى أنك أنا » فإذا قامت القيـامة رجع الخلق إلى الله وفنوا فى وحـدته التى صَدَرُوا عنهـا ، فيتلاشى إذ ذاك كل شىء إلا الطبيعة الإلهية ، وتبعاً لذلك أنكر الميرزا البعث والجنة والنـار مما يؤكد ارتباط أفكاره بالفكر اليهودى ، وحشدَ أفكاره هـذه فى كتاب أسماه « البيان » وادعى أنه المقصود بقوله تعالى « خلق الإنسان علمه البيان » (١) .

ولم يكن هـذا الاتجاه من الميرزا غريباً على الفرس ، فقد قال الهنود جيرانُ الفرس بوحدة الوجود ، وقال به كثير من اليهود ، وأنكرت بعض الفرق اليهودية اليوم الآخر ... ثم إن للفرس هوًى فى الثورات التى تهبُّ معارَضةً للإسلام ، فانضم للميرزا منهم عدد كبير واعتنقوا مبادئه ؛ ولمـا حصل الميرزا على هذا التأييد خطا خطوة جديدة فى إبراز قيمة نفسه فسمى نفسه « الباب » أى أنه الطريق الوحيد الذى يتصل الإنسان بواسطة بالخالق عز وجلَّ ، وسميت هـذه الفرقة بالبابية تبعاً لذلك ، ثم لم يكتف

---

(١) سورة الرحمن الآيتان ٣ — ٤ .

الميرزا بأن يكون « باباً » بل نقل نفسه إلى غاية جديدة . فأعلن أنه « النقطة » أى مُنْبَثَقُ الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله ، وجعل « الباب » إليه أحدَ مريديه المخلصين له واسمه « حسين بسرويه » من أهل الخراسان .

وفى مؤتمر برشت سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧م) أعلن البابيون انسلاخهم عن الإسلام ، واشتد بهم الحرص على محاربته من كل ناحية ، ومحاربة اللغـة العربية ، وكانوا يقصدون بمحاربة اللغـة العربية قطع أتباعهم عن قراءة القرآن وعن أحاديث الرسـول ، وعن التعرف عـلى التراث الإسلامى ، وهكذا بَعُدَت البابية بعداً تاماً عن الإسلام .

وتحركت حكومة فارس لمجاهدة هـذا الباطل ، وقاد حسين بسرويه جحافل المدافعين عن البابية يؤازره مجموعة من القـادة هم الميرزا يحيى محمد على بلفروسى وامرأة اسمها رزين تاج لُقِّبت « قرة العين » ، وهذا يؤكد لنـا أن التمرد على الإسلام فى فارس كان يقوم به جماعات متمردة كذلك على الحكم هناك .

ودارت معارك صاخبة قاسية بين الفريقين ، وطالمـا حقق البابيون الانتصـار على جيوش الحكومة ، فعمدت الحكومة إلى الثـأر لقـادتها وجيوشها ، وفى النهاية سقط قادة البـابية فى الميدان ، أو قتلوا بأحكام إعدام أصدرتها الحكومة ، وكان الميرزا على « النقطة » من هـذا النوع الأخير ، فقد أعدم فى تبريز سنة ١٨٥٠ م وخَفَتَ صوت البابية بعد نضال مرير وتضحيات من الجانبين كثيرة ، ولجأت البابية إلى طريق جديد ، هو العمل كحركة سرية بعد أن أعيتهـا العلانية ، وفتحت البابية بذلك الباب لليهود على مصراعيه ، فالحركات السرية يهواها اليهود ويتخذون منهـا وسيلتهم لدس أفكارهم وتنفيذ أغراضهم ، ومن أجل هـذا يَعُدُّ الباحثون هذه المرحلة مرحلة خطيرة أعِدَّت فيهـا البابية لتصبح أقرب إلى الاتجاهات اليهودية أو معبّرة عنهـا .

وبعد فترة الستر خرجت البابية من عكا سنة ١٨٦٨ م بفلسطين باسم البهائية نسبة إلى زعيمها الجديد ميرزا حسين على المازندرانى (١٢٣٣ — ١٣٠٩ هـ) الذى كان يلقب « بهاء الله » والذى كان أتباعه ينادونه « ربنا الأسمى » وكان هذا الزعيم قد هرب إلى عكا من قبل .
وأصبح من قواعد البهائية توحيد الأديان السماوية فى دين واحد ، والقول بأن سلسلة الأديان السماوية لم تتم إلا بظهور البهاء فهو يوحّد الأديان ويتممُها ، وهو الذى يفسر منها ما استغلق ، فهو وحده الذى يعلن ما كتمه عيسى حين قال : « إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوها الآن ، وأما متى جاء روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية [1] » . وهو وحده الذى يعلم ما احتجزه الله لنفسه فى مطلع الإسلام حين قال « وما يعلم تأويله إلا الله » [2] .

ويورد البهائيون أدلة من القرآن والحديث يستدلون بها على أن خروج النبى الجديد يكون من سهول سوريا ، من عكا ، ومن ذلك قوله تعالى « واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج [3] » فسهول سوريا أقرب الأراضى إلى الجزيرة العربية ، ويروون أن الرسول قد حدّد ذلك المكان بحديث رووه هو : طوبى لمن رأى عكا وحديث آخر هو : طوبى لمنْ يشهد الملحمة العظمى ، مأدبةَ الله بمرج عكا .

ومن الواضح أن حياة البهائية فى عكا بين جماعات اليهود أثرت فيها تأثيراً واسعاً ، وقطعت ما كان باقياً بينها وبين الإسلام من صلات طفيفة إن وجدت ، فأصبحت البهائية وجهاً آخر لليهودية وللصهيونية ، فقد أعلن البهاء أن لجميع البشر ديناً واحداً ووطناً واحداً ، وهو يدعو

---

(١) انجيل يوحنا ١٦ : ١٢ — ٢٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية السابعة .
(٣) سورة ق الآيتان ٤١ — ٤٢ .

لدين واحد يجمع كل الأديان وكل الأجناس ، ويحارب ما سواه من أديان ، وهو يرى العالم وطناً واحداً لكل الناس . ويحارب نزعات القومية والإقليمية .

ومات البهاء فى عكا فأصبح مدفنه مزاراً ضخماً لأتباعه ، وخلفه ابنه ، « عباس أفندى » الذى كان فى خدمة الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى فأنعمت عليه بريطانيا برتبة فارس مع لقب سير ، وتوفى سنة ١٩٣١ فخلفه ابن بنته شوقى ربانى ، الذى مات بعد ذلك دون أن ينجب ولداً .

وفى ظل الفكر الجديد للبهائية دفعها اليهود إلى أقطار الأرض ورعوها بالمال ومنحوها الرعاية التامة ، فأصبحت البهائية « صهيونية أمريكية » كما يسميها الكتاب المحدثون ، وأسفرت البهائية عن وجهها الصهيونى ، إذ — بعد وفاة ميرزا شوقى ربانى — اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية فى اسرائيل وانتخب صهيونياً أمريكياً اسمه « ميسون » ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية فى العالم .

وهكذا اختفت البابية وقامت البهائية على أثرها ، ومع البهائية اتضحت معالم هذه العقيدة الزائفة وظهرت لها مراجع منحرفة ، وفيما يلى مزيد من التفاصيل عن البهائية .

عقيدة البهائيين :

تتلخص عقيدة البهائيين كما قررها البهاء فى كتبه وألواحه ، وكما فسرها دعاته فى كتبهم ونشراتهم فيما يلى :

١ — الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هى رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً

وحديثاً ، وهم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه فى زعمهم وآخرهم وأكملهم هو ميزا حسين المازندرانى الذى لقب نفسه (بهاء الله) .

٢ — بناء على ذلك يعدّ (بهاء الله) مظهر الله فهو عند نفسه وعند أتباعه مظهر الله الأكمل ، وهو الموعود ، ومجيئه الساعة الكبرى ، وقيامه القيامة ، ورسالته البعث ، والانتماء إليه الجنة ، ومخالفته هى النار ، وعندهم أن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير به ، وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهى ، ومن أجل هذا كان أتباعه كلهم يدعونه « ربنا » وهم بذلك يعترفون بالرسالات السابقة فى حدود التبشير برسالة البهاء .

وفى ذلك يقول أبو الفضل الجرفادقانى [١] : نحن معشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ، ومطالع شموس آياته وبيناته ، لا تظهر صفة من صفات الله تعالى فى الرتبة الأزلية إلا منهم ، ولا يمكن إثبات نعت الجلالة والجمالية إلا إليهم لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب فى ذاتها ، متعالٍ عن الأوصاف بحقيقتها ، منزهٌ عن النعوت بكينونتها ، لا تدركها العقول ، ولا تبلغ إليها الأفهام ، ولا تحويها الضمائر ، ولا تحيط بها المدارك ، فلا توصف ، ولا تسمى باسم ، ولا تشارك بإشارة ، ولا تتعين بإرجاع ضمير ، لكن منزع كل هذه هى المدارك الحسية ، وهى فوق الإدراك ، لأن كل مدرك محاط ، وكل محاط محدود ذو وضع ، وهذا من صفات الجسم والجسمانيات ، تعالت عنه المجردات ، فكيف الذات الإلهية والحقيقية النورانية . فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند — إلى الله — من العزة ، والعظمة ، والقدرة ، والقوة ، والعلم والحكمة ، والإرادة ، والمشيئة وغيرها من الأوصاف والنعوت ، يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره [٢] ،

---

(١) الدرر البهائية ص ٥٤ — ٥٦ (مطبعة الموسوعات ١٩٠٠) .

(٢) مظاهر أمر الله عند البهائيين هم برهما وبوذا وكونفوشيوس وابراهيم وموسى والمسيح ومحمد والباب ، فكانت مهمتهم فى رسالاتهم التبشير بحسين على المازندرانى الذى هو عندهم مظهر صفات الله كلها .

ومطالع نوره . ومهابط وحيه ، ومواقع ظهوره ، وقد رقمت هـذه المسألة من القلم الأعلى ، مبيّنةً مفصلة فى ألواح ربنـا الأبهى . فأظهر الله تعالى جواهر أسرارها فى الصحف المطهرة ببيانه الأحلى (يقصـد الكتب التى تنسب للبهـاء وسنشير إليها فيمـا بعد) .

٣ — يَعتبرُ البهائية أن عقيدتهم أسمى من جميع العقائد والمراجع والأديان التى سبقتها لأن ظهور مظاهر الله فى البهـاء ، أسمى وأعظم من ظهور هـذه المظاهر فيمن سبقه من الأنبياء ، وفيمـا يلى كلمات داعيتهم أو داعيتهم [١] .

« اعلموا أضـاء الله وجوهكم البهية بنوره الوضاح ، وأيد كلمتكم العالية بآيات اليسر والنجاح ، أن هـذه الأدلة والبراهين تثبِتُ حقيقة مظهر أمر الله فى زماننا هـذا فى شكل أوضح ، وأجلى ممـا كانت عليه حقيقة مظاهر أمر الله (أى الأنبياء) فى الأزمنة السابقة .

« إن هـذه البراهين قائمة ومتوفرة فى هـذا الظهور الأعظم الأسنى ، والطلوع الأفخم الأبهى ، ونعنى به ظهور سيدنا (البهـاء) جل اسـمه وعز ذكره ، أكثر ممـا توفر فى ظهور من سبقه من الأنبياء ، بحيث لو أنكر أحد هـذا الظهور الأعظم ، وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجليلة فإنه لا يستطيع إثبـات حقيقة دين من الأديان الماضية .

٤ — ينكر البهائية إعجاز القرآن الكريم ، وفى ذلك يقول أبو الفضل الجرفادقانى [٢] عَدّ أكثر علمـاء الإسلام فصاحة القرآن حجة بالغة ، وبلاغة كلامه معجزة دامغة ، ولكننا فندنا هـذا الرأى فى كتب عديدة ، بما لم يبق شك فيه لأرباب البصـائر والنظر .

---

(١) أبو الفضائل الجرفادقانى : الحجج البهية ص (مطبعة السـعادة ١٩٢٥) .

(٢) الحجج البهية . ص ١٨٨ وما بعدها .

٥ — من أعظم أدلتهم على إعجاز البهاء أنه مع ما صادفه منذ أول ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة ، والدواهى العظيمة مما ليس هنا محل لذكره ، ومع أنه لم يكن من أهل العلم ، ولم يدخل المدارس العلمية • فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية ، مما لا نبالغ إذا قلنا أنها تزيد على ما عند مِلل الأرض جميعاً من كتبهم السماوية وصحفهم الإلهية •

كتب البهائية :

نسبت للبهاء عدة كتب يمكن أن نقول عنها إنها فى الحق ليست من عمل البهاء ، وإنما وضعها أتباعه ونسبوها إليه ، وهناك مراجع أخرى مقدسة عندهم وضعها الأتباع شرحاً لما نسب للبهاء وتعليقاً عليه • وأهم كتب البهائية هى :

١ — « الإيقان » وقد طبع فى القاهرة سنة ١٩٣٠ وعدد صفحاته ٢٠٠ صفحة ويَعُدّه البهائيون وحياً من ربهم البهاء ، وقد قال عنه أبو الفضل سالف الذكر : إن إرادة حضرة المحبوب — لا زالت أقطار الأرض منورة بأنوار وجهه ، ورياض العالم مزينة بأزهار أمره — قد تعلقت باتحاد كلمة أوليائه ، وأمره المبرم قد نفذ باتفاق قلوب أحبائه ، فعليك بالاعتراف من معين (الإيقان) الذى جرى من قلم الرحمن هذه الأزمان ، فإنه — مع وجازته — تبيان الزبور والألواح ، ومترجم كتب الله فالق الأصباح ، به فك ختم النبيين وحل عُقَد إشارات السابقين ، فابذل غاية الجهد والتدبر فى هذا الكتاب المستطاب ، ليلهمك الصواب فى كل باب ، واحفظ قلوب الأحباب عن نطاق الشك والارتياب إن (ربنا) لبالمرصاد ، وهو ولينا فى المبدأ والمعاد [1] » •

---

(١) ابو الفضل الجرغادفانى : مجموعة الرسائل ، الرسالة الثانية ص ٣٦ •

والعجيب إن هـذا الكتاب يتنازعه البهـاء وأخوه المخالف له يحيى المازندرانى . وكل منهما يدعيه لنفسه ، ويعلن أنه من وحيه .

مجموعة الألواح :

ومما يسميه البهائيون وحياً من ربهم البهـاء ، كتاب يسمونه (مجموعة الألواح المباركة) وهو مطبوع بأمر عبد البهـاء فى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) وقد جاء فى صفحة ١٦١ منـه فى لوح من ألواحه عنوانه (الناظر من أفقه الأعلى) مخاطباً شخصاً اسمه عبد الوهاب :

« ياوهاب إذا اجتذبك ندائى الأحلى ، وصرير قلمى الأعلى ، قل : إلهى ، لك الحمد بمـا فتحت على وجوه أوليائك أبواب الحكمة والعرفان .. أى رب . أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفدا شوقاً للقائك ، ومـا منعتهم سطوة الأمراء عن التوجه إليك بمـا أنزلته فى كتابك ، ثم بالذين أقبلوا إلى أفقك بإذنك ، وقاموا لدى باب عظمتك ، وسمعوا نداءك ، وشاهدوا أفق ظهورك ، وطافوا حول إرادتك ، أن تقدّر لأوليائك مـا يؤيدهم على ذكرك وثنائك وتبليغ أمرك . إنك أنت المقتدر على مـا تشاء ، لا إله إلا أنت الغفور الرحيم . يا قلمى الأعلى ، بدّل اللغـة الفصحى باللغة النوراء » .

وهـذا الخطاب — وكثير غيره من أمثاله — مبنى على أن البهـاء حسين على المازندرانى هو الله ، وأنه لا إله إلا هو الغفور الرحيم المقتدر على مـا يشاء ، وأن أساس عقيدتهم أن الله ليس له وجود الآن إلا بظهوره فى البهـاء ، وكان يظهر قبلا بمظـاهر غامضة فى الديانات السالفة ، ولكنه بظهوره فى البهـاء الأبهى ، بلغ الكمال الأعلى . ليس لله — عندهم كمـا ذكرنا من قبل — أسماء ولا صفات ولا أفعـال ، إلا مـا يتّصف به من صفات مظهره وهو البهـاء ، وما يصـدر عن البهـاء من أفعال إلهية .

٣ — كتاب « الشيخ » وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٩٢٠ من نسخة

بخط عظيم من عظمائهم يسمونه « الزين » ولعله البهـاء نفسه . فيكون « الزين » هو حرف الزاى مقتطعاً من كلمة « مازندرانى » .

٤ — وللبهاء أيضاً (الإشراقات) ، و (البشارات) ، و (الطرازات) وقد نشرت نماذج منهـا فى كتاب (نبـذة من تعاليم حضرت البهـاء) المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥) .

٥ — كتب الداعية الذكى الذى يعد البهائية وواضع عقائدها ومفاسدها وكاتب كتبها ومراجعها وهو أبو الفضـل (أو أبو الفضـائل) الجرفادقانى وهى كتب عديدة ، كلها ضلالات وترهات ، ومن أهمها :

الدرر البهية ، والحجج البهية ، والفرائد ، وفصل الخطاب [1] .

***

ومن العجيب أن كثيرين من المشاهير فى العالم العربى يعطفون على البهائية كمـا كانوا يعطفون على الماسونية والروتارى ، وهم مخـدعون بكلمات الإخاء والمساواة التى تخفى العـداء للأديان والأوطان ، ولعل هـذا الحديث يصـل إلى أيديهم ليعود إلى الرشاد .

---

(١) اعتمدنا فى التعريف بالبابية والبهائية على اكثر المراجع الرئيسية التى وردت فى البحث واستعنا بالمراجع التالية التى كتبت عن البابية والبهائية .

ا — دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى مادة بابية ومادة بهائية .

ب — ابحاث الأستاذ محب الدين الخطيب التى نشرها فى مجلة الأزهر .

جـ — قصة العقائد للاستاذ سليمان مظهر .

كلمة ختـــام

لعل أحسن مـا نختم به هـذه الدراسة اقتباسات ننتقيها من كتاب « المسألة اليهودية » الذى وضعه كارل ماركس ، استمع إليـه يقول :

— نحن نقر بأن ثمة فى اليهودية عنصراً عاماً مناهضاً للمجتمع ، وهو عنصر دُفع بالتطور التاريخى إلى نقطة الأوج فى الزمن الحاضر ، ولابد أن يأتى بعده الانحلال •

— يسعى اليهود إلى مـا يسمونه تحرير اليهود ، وما أحرى البشرية أن تتحرر من اليهود •

— لقد تحرر اليهود فعلاً ولكن على الطريقة اليهودية ، فاليهودى مثلا الذى لا يحسب له حساب فى فينا هو الذى يقرر بقوته المالية ، مصير الدولة كلها ، واليهودى الذى قد يكون فى أصغر المقاطعات الألمانية محروماً من الحقوق هو الذى يقرر مصير أوروبا •

— لقد تحرر اليهودى على الطريقة اليهودية ، وليس فقط بأن أصبح سيد السوق المالية ، وإنمـا لأن المال أصبح بواسطته قوة عالمية ، والروح العملية اليهودية أصبحت الروح العملية للشعوب الأخرى [1] •

— المـال هو إله اسرائيل المطـاع ، وأمامه لا ينبغى لأى إله أن يعيش ، إن المـال يهزم جميع آلهة البشر ، ويحولها إلى سـلعة ، إن المال هو الجوهر الذى يسيطر على الإنسان ويستعبده • لقـد أصبح إله اليهود أيضاً إلهـاً للناس جميعاً ، وهذا انتصار لليهود [2] •

— لقد انبثقت المسيحية من اليهودية ، وقد انتهى بهـا الأمر إلى العودة إلى اليهودية •

---

(١) المسألة اليهودية لكارل ماركس ص ٥٦ — ٥٧ من الترجمة العربية .
(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .

— مرة أخرى ليس اليهودى هو الذى يسعى إلى التحرر من غير اليهود . وإنمـا المجتمع الإنسانى هو الذى ينبغى عليه أن يسعى ليتحرر من اليهود [١] .

***

وبعد ، لقد فرض اليهود أنفسهم أو فرضهم الاستعمار على أرضنا العربية ، وكان الدين وسيلتهم عند تنفيذ هذه المأساة ، وحولنـا — فى إفريقية وفى آسيا — يدور صراع طويل بين أديان الدعوة (وهى البوذية والمسيحية والإسلام)ولكنَ ذعر الاستعمار من الإسلام وخوفه منـه جعله يحشد الجهود ضـده ، وقد استطاع الاستعمار أن يغطى نفسه بقناع مزيف أسماه المسيحية ، وهو فى الحقيقة بعيد عن مسيحية عيسى كل البعد ، وتلاقى الاستعمار المسيحى مع اللادينية والإلحـاد فى هذا المضمار ، ثم لحقت اليهودية بهـذا الجمع لتنال مـا اعتاده الفكر اليهودى من كسب رخيص على حساب العرب والمسلمين ، وعن طريق اليهودية اندفع لأرض المسلمين صـور من الباطل والضـلال باسم البابية والبهائية والروتارى والمـاسونية .

ولكن ركب الحق سيسير ، وسيتخطى العقبات ، وينتصر على الباطل . وكل مـا أرجوه أن يتعرَّف المسلمون على أعدائهم ، وألا يخدعهم الطلاء الكاذب أوالاسم البراق على مسمًى يحمل فى طياته السم ، ولعل فى هـذا البيان الذى سقته فى هـذا الكتاب وفى الكتب الأخرى من هـذه السلسلة « سلسلة مقارنة الأديان » ما يدمغ هـذا الباطل ويبعث شعاعاً من العلم والمعرفة لطلاب العلم والمعرفة

والله الموفق

(١) المسـألة اليهودية ص ٤٦ .

مراجـع الـكتاب

ملحوظتـان :

١ — المصـادر المذكورة هنا هى التى اعتمد عليهـا هذا الكتاب ، ووردت فى ذيل صفحاته ، أمـا المراجع الأخرى التى أسهمت بطريق غير مباشر ، فلم تذكر فى هـذه القائمة .

٢ — رتبت هـذه المصـادر حسب الترتيب الأبجدى لأسـماء مؤلفيهـا مع اعتبار الاسم المشهور للمؤلف (فمثـلا ابن خلدون وليس عبد الرحمن بن محمد) ومع عدم اعتبار الملحقات (ابن ، ال) .

١ — القرآن الكريم .
٢ — مجموعة من كتب التفسـير
٣ — مجموعة من كتب الحديث
٤ — الكتاب المقـدس .
٥ — قاموس الكتاب المقدس
٦ — التلمـود
٧ — التلمود شريعة اسرائيل .
٨ — بروتوكولات حكماء صهيون
٩ — مجموعة من المجلات العلمية والصحف
١٠— The Jewish Encyclopadia
١١— Encyclopadia Britannica
١٢— Encyclopadia of Religions and Ethics
١٣— دائرة معـارف القرن العشرين لفريد وجدى
١٤— Israelitc of America
١٥— مجلة الوثائق الكاثوليكية
١٦— مجلة الجامعة الاسرائيلية
١٧— من الفكر اليهودى (مجموعة اقتباسـات فى مجلد)
١٨— تقرير اللجنة الملكية البريطانية
١٩— تقارير من هيئة الأمم المتحدة
٢٠— تشريع حمورابى
٢١— أبو الفضل الجرفادقانى : الدرر البهيـة

٢٢- أبو الفضل الجرفادقانى	الحجج البهيـة
٢٣- » »	مجموعة رسائل
٢٤- Arthur Hertzeberg	Judaism
٢٥- ابن الأثير	الكامل فى التاريخ
٢٦- دكتور أحمد بدوى	فى موكب الشمس
٢٧- أحمد بهـاء الدين	اسرائيليات
٢٨- دكتور أحمد شلبى	موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية (١٠ أجزاء)
٢٩- دكتور أحمد شلبى	السياسة فى الفكر الاسلامى
٣٠- » » »	الاقتصاد فى الفكر الاسلامى
٣١- » » »	المسيحية
٣٢- » » »	الاســـلام
٣٣- » » »	اديان الهند الكبرى
٣٤- » » »	المجتمع الاسلامى
٣٥- أحمد كمـال	العقـد الثمين
٣٦- أحمد نجيب هاشم وآخرون	مصر فى العصور القديمة
٣٧- Allen G.	Evolution of the idea of God
٣٨- Efraim Emerton	Midieval Europ.
٣٩- اسرائيل كوهين	هذه هى الصهيونية
٤٠- اسرائيل ولفنسون	تاريخ اللغـات السامية
٤١- ايلياهو بشياصى	شمار الخضر
٤٢- ايلى ليفى ابو عسل	يقظة العالم اليهودى
٤٣- Berry	Religions of the Wor
٤٤- Browne	A Literary History of Persia
٤٥- البهـاء : ميرزا حسين	الايقـان
٤٦- » » »	مجموعة الالواح
٤٧- » » »	كتاب الشيخ
٤٨- » » »	نبذ من تعاليم البهاء (الاشراقات — البشارات — الطرازات)
٤٩- برستيد	تاريخ مصر من اقدم العصور
٥٠- بن جوريون	اسرائيل وسنوات التحدى
٥١- بن جوريون	مذكرات بن جوريون

المؤلف	الكتاب
٥٢ــ جولدا مائير	اسرائيل واليهود
Guignebert ــ٥٣	The Jewish world in the Time of Jesus
٥٤ــدكتور جواد على	تاريخ العرب قبل الاسلام
٥٥ــ جون بيبى	الستار الصهيونى حول امريكا
٥٦ــ حبيب سعيد	اديان العالم الكبرى (ملخص عن الانجليزية)
٥٧ــ الدبس (المطران)	تاريخ سورية
٥٨ــ رحمة الله الهندى	اظهار الحق
٥٩ــ روهلنج	الكنز المرصود فى قواعد التلمود
Jeremias ــ٦٠	The old Testament in the Light of Ancient East
John Scott ــ٦١	The Secret Government in Britain
René Sediliot ــ٦٢	The History of the World
Reinach ــ٦٣	History of Religion
٦٤ــ زكى شنوده	تاريخ الاقباط .
٦٥ــ دكتور سليم حسن	تاريخ المصريين القدماء
٦٦ــ سليمان مظهر	قصة العقائد .
Charles Foster Kent ــ٦٧	A History of the Hebrow People
Shotwell ــ٦٨	The Religious Revolution of today
Smith J. W. D. ــ٦٩	God and man in Early Israel
٧٠ــ صبرى أبو المجد	نهاية اسرائيل
٧١ــ عباس العقاد	الله
٧٢ــ عباس العقاد	ما يقال عن الاسلام
٧٣ــ عبد الله التل	خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية
٧٤ــ عبد الحليم الخورى	الماسونية ذلك العالم المجهول
٧٥ــ عبد الرحمن سامى	الصهيونية والماسونية
٧٦ــ دكتور عبد المعز نصر	الصهيونية فى المجال الدولى

المؤلف	الكتاب
٧٧ــ عبد الوهاب النجار	قصص الأنبياء
٧٨ــ عدلى حشاد	فلسطين فى طريق العودة
٧٩ــ عصام الدين حفنى	محنة التوراة على أيدى اليهود
٨٠ــ على امام عطية	الصهيونية العالمية وارض الميعاد
٨١ــ دكتور على عبد الواحد وافى	الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام
٨٢ــ غوستاف لوبون	اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى
٨٣ــ دكتور فؤاد حسنين	التوراة : عرض وتحليل
٨٤ــ Frank Briton	Behind Communjsm
٨٥ــ القلقشندى	صبح الأعشى
٨٦ــ كارل ماركس	المسألة اليهودية
٨٧ــ Carlyle	Heroes and Hero-worship
٨٨ــ Kirk	A Short History of the middle East
٨٩ــ Leiws Dasté	Le Societè Sécrete et Les Jenfs
٩٠ــ Laurance B.	From Babylon to Bethlehem
٩١ــ Mex margolis & Alexander marx	A History of the Jewish peeple
٩٢ــ Maspere	Struggie of the Nations
٩٣ــ محمد جاد المولى وآخرون	قصص القرآن
٩٤ــ محمد حماد (دكتور مهندس)	بحث عن لوح كامس
٩٥ــ محمد صبرى	المقارنات والمقابلات
٩٦ــ محمد صفوت	اسرائيل العدو المشترك
٩٧ــ محمد عبده	رسالة التوحيد
٩٨ــ محمد عبد الله عنان	تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة
٩٩ــ محمد عزة دروزة	تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم (ثلاثة اجزاء)
١٠٠ــ محمدعلى الزغبى	الماسونية منشئة ملك اسرائيل
١٠١ــ محمد على علوبة	فلسطين والضمير العالمى
١٠٢ــ دكتور محمد فوزى وعمر رشدى	الصهيونية وربيبتها اسرائيل

١٠٣ــ دكتور محمد محمود جمعه — النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية

١٠٤ــ Hertzl — The Jewish State

١٠٥ــ Hetler — my struggle

١٠٦ــ Hosmer J. — The Jews

١٠٧ــ ابن هشام — السيرة النبوية

١٠٨ــ ول ديورانت — قصة الحضارة

١٠٩ــ وايزمان — مذكرات وايزمان

١١٠ــ Weech — Civilization of Near East

١١١ــ Wells — A Hhort History of the World

١١٢ــ Wells — The Outline of History

١١٣ــ يائيل ديان — طوبى للخائفين